

تأليف

نجم الدين علي بن عمر بن علي

الكاتبي القزويني

المتوفى سنة ٦٧٥هـ

وضع حواشيه وصححه

محمد [illegible] مصطفى عبد البديع

دار البيان العربي

القاهرة



جوامع اللذة

تأليف

نجم الدين علي بن عمر بن علي

الكاتبي القزويني

المتوفى سنة ٦٧٥هـ

وضع هوامشه وصححه

عبد البديع مصطفى عبد البديع

دار البيان العربي

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

لفظة "الجنس" من أكثر الألفاظ وأبرزها -أو: إنها أكثرها بالفعل- التى تسبب عند الناس خوفًا مجهول المصدر، ورهبة من غير البحث عن أسبابها، وهذا واضح جدًّا فى تجنب الناس -فى العلانية- للحديث عنه، ومحاولة الظهور بشكل خجول حتى إذا كانوا -فى داخلهم- لا يريدون ذلك .

إن هذا الخوف من الناس، والرهبة من الجنس، مع محاولاتهم الظهور بشكل معتدل بعيد عن الجنس بالمفهوم الشائع عندهم هو الذى أوجد كل هذا الاضطراب فى علاقة الرجل بالمرأة، ورسّخ مفاهيم كثيرة خاطئة صدقها الناس، ووضعوها فى درجة غير قابلة للمناقشة، حتى أصبح كل حديث من رجل عن شىء متصل بالمرأة حرامًا، وكل محاولة فهم لامرأة- بكرًا أو غير بكر- مشكوكًا فى القصد منها، وكأن الناس تريد أن يعيش المجتمع فى شقين منعزلين، أحدهما رجال والآخر نساء!

وقد ساعد قصور الناس فى الفهم الدينى الصحيح مع طبيعة هؤلاء الناس المتدينة على فهم الجنس بهذا المفهوم الخاطئ ، حتى صار لدى الناس ارتباط وثيق بين فرج المرأة ومقر الشيطان، وبين الرغبة الجنسية وإرادة الخطيئة، وهذا -بالضبط- هو الذى أوجد ذلك الرافض لكل حديث عن الممارسات الجنسية، والعلاقة بين الرجل والمرأة أيًّا كان شكلها وطبيعتها، حتى أصبح كل حديث رجل لامرأة ممنوعًا، وكل نظرة من أحدهما للآخر محرمة؛ مشكوكًا فيها من الناس.

وهذه المفاهيم الخاطئة قد أضرت كثيرًا بالمجتمع، وأفرزت طبائع لم تكن موجودة، وأمراضًا نفسية لم يكن للمجتمع الإنسانى عامة -والمسلم خاصة- عهد بها من قبل، وليس السبب فى ذلك كله إلا حرص بلغ درجة كبيرة من التطرف، ومحافظة أقرب كثيراً إلى معانى السجن والحصار.

إن المجتمع الإنسانى -أساسًا- قائم على عنصرين لا غناء لأحدهما عن الآخر، ولا يمكن لواحد منهما أن ينفرد بإقامة الحياة وحده على هذه الأرض، والعلاقات بين عنصرى المجتمع متشابكة بطبيعتها، مثلها مثل سائر العلاقات بين أفراد المجتمع، ولذلك

فينبغى أن يدور الحوار، والمناقشات، ومحـاولات الفهـم الصحيـح لكـل هـذه العلاقـات القائمة بين أفراد المجتمع، ومن ذلك العلاقات المفسِّرة لمفهوم الجنس، وتصور ممارساته، والمباح من هذه التصورات وغير المباح منها، والنافع منها والضار، إلى غير ذلك.

ويجب أن نشير فى هذه المقدمة إلى أن الحلال والحرام يكتنف كل شىء من معاملات المجتمع، وكل تصرف له طرفان أحدهما أعلى درجات المحافظة، والآخر أبعد مسافات التطرف، ثم واسطة بينهما تجمع درجات كثيرة للمحافظة، أو للتطرف، ومفهوم الجنس من ضمن هذه التصرفات التى تنطوى على أشياء مباحة، وأخرى غير مباحة، وتصورات نافعة وأخرى ضارة .

ولذلك كان القصد من إخراج هذا الكتاب محاولة توضيح النافع، والضار من التصورات، والممارسات المرتبطة بالجنس، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، ولهذا نقدم كتاب: جوامع اللذة للعلامة : على بن عمر بن الكاتبى، القزوينى؛ لأهميته فى هذا الموضوع .

ترجمة المؤلف

اسمه : على بن عمر بن على الكاتبى القزوينى، نجم الدين، ويقال له دبيران .

مولده : ولد فى رجب سنة (٦٠٠هـ) .

من آثاره :

جامع الدقائق فى كشف الحقائق .

الرسالة الشمسية فى القواعد المنطقية .

عين القواعد فى المنطق .

وفاته : توفى فى رمضان سنة (٦٧٥هـ) .

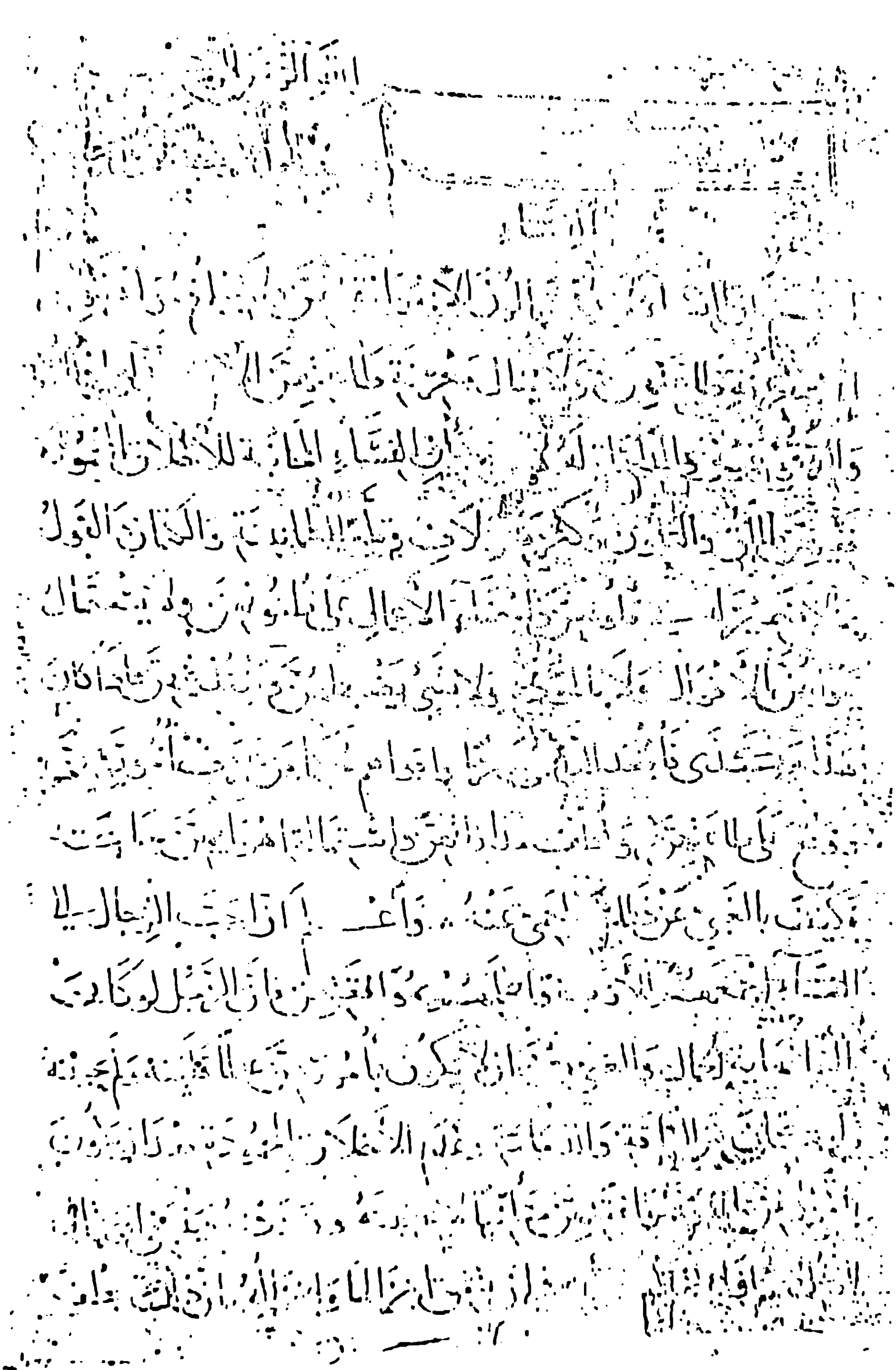
مصادر الترجمة :

١- فوات الوفيات (٢/٦٦) .

هدية العارفين (١/٧١٣) .

معجم المطبوعات (١٥٣٧) .

الأعلام (٤/٣١٥) .



الصفحة الأولى من المخطوط

بقلبيهما عليه وأشد لتأكيد المودة بينهما فاذا تم ذلك في أول الأمر
[illegible] قويا دام ودهما وتمت مجانستهما له ولو انه [illegible] لم [illegible]
منطقه لتمكنت محبته في قلب المرأة وهو الوجه الذي يكون به
التعلق بالعطف والموافقة واحتمال المكروه .. ومما يثبت المودة
[illegible] ان تحضر عندها امرأة أخرى بتفريط وتصف الا ان تكون
امرأة لا تدل بالرجال فان فعل ذلك يداخلها منه أمر شديد
ومما [illegible] له ومما يقرب من قلبها ان يطرفها بالشيء بعد الشيء
يأتي به من غير طلب منها له فان ذلك يكون في نفسها [illegible]
غضب لغير ما سبب بل تجر فتستميل الرجل ان ضرب عن مقابلة
المرأة ومقابلة النساء [illegible]
[illegible]

الصفحة الثانية من المخطوط

لزوجه من جارية له .. ولفرط إرادتهم للنيك ولحرارة التي بالتهم
والأسف الذي دخلهم ابغضوا النحول أشد من تباغض الأعداء فأما

وكان الحماني يعشق جارية لآل جعفر يقال لها طغيان وكان لهم
خصي يحفظها وكان أشد عشقا لها من الحماني وكان قد حال بينه
وبينها والدنو منها فقال الحماني

ما للمغنيات منا وللظباء الملاح ... أليس من أن خصي غار بغير سلاح

قال وجاء رجل إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال
إن هذه زوجتي مجنونة قال وما جنونها قال إذا غشيتها ذهب
عقلها قال ثم فلست لها بأهل قال وتزوج رجل قاضي بامرأة
من أهل المدينة فكان إذا غشيها اجهرت في الدوب وأفحشت ثم [illegible]
ذلك قولها شقه شقه ويلك حرا أمك هي ويلك شقه شقه
حرا أمك هي فاشتد ذلك على القاضي ونساها [illegible] فلما رجع إليها
وصمتت فتر وذهب نشاطه فلما رأى ذلك قال لم عودي إلى
عملك وترى الخير [illegible]

تم كتاب جوامع اللذة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه

الصفحة الأخيرة من المخطوط

باب
اجتذاب مودات النساء

اعلم أن النساء لاينالون إلا بموافقتهن، ولا يبلغ موافقتهن إلا بمعرفة طاعتهن، ولا ينال معرفة طاعتهن إلا الحاذق العلم فى ذلك والوقوف فيه، والمداراة له، غير أن النساء المجانبة للأخلاق المحمودة، فيهن الملق، والتلون، وكثرة الخلاف، وقلة الطمأنينة، والكتمان، والقول بما لا ضمير له فى قلوبهن، وإمضاء الأعمال على ظنونهن، ولا يستمال هواهن بالأقوال، ولا بالمودة، ولا بشىء يضبطهن، وينفذ فيهن.

فإذا كان هذا هكذا، فأنفذ الناس بصيرة، وأقواهم حكماً من عرف أمورهن، ووقع على طاعتهن، ولُطف مداراتهن، واستمالة أهوائهن لحاجته، فكيف بالغبى عن ذلك والعمى عنه.

واعلم أن أحب الرجال إلى النساء ؛ أجمعهم للأدب، وأحلمهم بموافقتهن، فإن الرجل لو كان بالغاً النهاية فى الجمال والغنى، غير أن لا يكون بأمورهن عالماً ؛ قَلَيْنَهُ، ولم يحببنه، ولو كان من الفاقة والدمامة، وعدم الأخلاق المحمودة بعد أن يكون بأمورهن عالماً وموافقتهن متأنياً لأحببنه، وودِدنه.

فينبغى أن يحتال الرجل فى أول تمكن منه لأيره منها، فإن يتفق إنزالها وإنزاله، فإن ذلك عطف لقلبها عليه، وأشد لتأكيد المودة بينهما، فإذا تم ذلك فى أول الأمر، وكان قوياً دام ودهما، وتمت محبتها له، ولو أنه نَذْلٌ لئيم ذوى فى منظره، لتمكنت محبته فى قلب المرأة، وهو الوجه الذى تكون الصلة بالعطف، والموافقة واحتمال المكروه.

ومما يثبت المودة ألا يذكر بحضرتها امرأة أخرى بتقريظ ووصف، إلا أن تكون امرأة لا تصلح للرجال، فإن فعل ذلك يداخلها منه أمر شديد، وربما لم تظهره له.

ومما يقرب من قلبها أن يُطرقها بالشىء بعد الشىء، يأتى به من غير طلب منها له، فإن ذلك يكون فى نفسها، وربما عَرض بها غضب لغير ما سبب، بل تَجنّ.

فسبيل الرجل أن يضرب عن مقابلة المرأة، ومقاتلتها، ويحتملها ويداريها، فإنها تنحلُّ سريعاً.

وربما توهمت أن الرجل دنياً، فتلزمه إياه من غير تحقيق منها، فتجفوه، وتغضب، فينبغي أن يحتملها عليه، وألا يتعاظم، فليس يريدها لتعلوه، بل هو يعلوها، ويجب أن دَس إليها من يعرف ما فى نفسها ؛ ليعاملها على قدر ذلك.

واعلم أن النساء يتكلمـن إذا غضبن بكـلام مختلـف، وربمـا يـردن، وربمـا لا يـردن، يدخلهُنَّ فى هذا الوجه بعض الغيرة، ولا يعلمن بما يتكلمن به، مما لهـن وعليهـن، فـإن كانت من الممتلئة شباباً، فيتملقها بالتقبيل لليدين والرجلين، والتقرب إليهـا، ومما يقـدر عليه من الأفعال.

فإذا كانت هذه الحالة من النِّصفة، فليَدُس إليها من يُعلمهَا أنه يريـد الاستبدال بهـا، التزويج، وليقبـل على غيرهـا بـالحديث والمزاح، فـإن هـى رضيـت وإلا أقبل عليهـا صويحباتها، وأعلمها أن النساء يطلبنه، وأنه يأتى غيرها فى ليله ونهاره، فـإن لم تـرض، حتال لنفسه والتمس غيرها.

ولاشيء أصيد لامرأة ولا أنقص لعُرفها، ولا أذهب لعقلها، من أن يحيط علمها بـأن نساناً يحبها، وإن تمكن منها يوماً فى طريق، فشكا إليها، واعْترت يده رعـدة، ودمعـت عيناه، فلو كانت فى نُسُك رابعـة العدويـة، ومُعـاذة القيسية لفسَّخها[1]، وأفسـد بقيـة دهرها.

قال العتابى[2] :

إذ هـنَّ فـى الرُّبـط وفـى المـوادِع تَلْقَـى إليهـنَّ كبـذر الـزَّارع

يُعنى إذا رأينه ينظر إليها، فتلك النظرة كبذر الزارع فى الأرض.

وقال الملك لبرجان وحُبَاحب أخبرانى : ما أحسن الأشياء موقعاً عند النساء ؟

قالتا : لفظ جميل، وغنج طويل.

---

(١) فسخ : أى أفسدها .

(٢) العتابى، هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد، أبو عمرو، الأديب، الشـاعر، مـن أرض قنسـرين توفى سنة (٢٢٠هـ) .

قال : فما الذى يكسب الحبّ فى قلوبهن ؟

قالتا : المداعبة قبل الجماع، والرَّهز قبل الفراغ.

قال : فما أنفع الأشياء فى إرضائهن ؟

قالتا : لزوم المضاجع، وإدمان المباضعة.

قال : فما الذى يعتريهنّ بالمحبة ؟

قالتا : اجتماع الأمر اللين.

قال : فما الذى يفسد مودتهن ؟

قالتا : استعمال ضد ما ذكرناه من الأحوال إليها من إغراء الوشاة بهـا، **وأن تهـوى** رجلاً آخر، فإن ذلك فيه قطع المودة.

ومن علامات ذلك :

تغير خلقها عليه، وامتناعها إليه.

واستعمالها الضجر فى كل ما تخاطبه به.

وتلزمه العنت فى سائر أعمالها.

وتنقصُ شهوتها عند الجماع.

وتضجر إذا جامعها.

وتحبُّ مفارقته سريعاً، فإذا تنحى عنها انطلق وجهها، واستبشرت **بذلك .**

فسبيله إذا شاهد هذه الخلال ألا يطمع فى مودة صاحبته، وأن يُخلّيهَا، **فإن المرأة إذا وقع** فى قلبها طرفٌ من هوى رجل لم تفكر أن ترتاد لزوجها باباً؛ **لقتله؛ لتريح نفسها منه.**

وقال الملك لبرّجان وحُبَاحَب: أخبرانى ما الذى يبعث النساء على التغير بعد شدة الحب؟

قالتا : شدة الغيرة، وفتور الكمرة.

قال : فما الذى يجرؤهن على الفساد ؟

قالتا : غفلة الرجل، وكثرة الأموال.

قال : فما الذى يحملهن على الانخلاع ؟

قالتا : سوء المعاشرة.

ويقال : من طلب ما عند النساء بالغلظة لا يزداد منهن إلا بعداً.

وأنشد بعضهم، وهو علقمة بن عبدة(١) :

فـإن تسـئلونى فـى النسـاء فـإننى	بصـيرٌ بـأدواء النسـاء طبيـب
إذا شـاب رأس المـرء وقـلّ مالـه	فليـس لـه فـى ودهـن نصيـب
يـردن ثـراء المـال حيـث علمنـه	وذو الشـرح منـا عندهـن عجيـب

ولأبى النّواويس الهمدانى(٢) :

أصبحـت عرسـى غضبى	أنـا أدرى لَمْ تغضـب
ليـس لـى مـالٌ بـه	ترضـى ولا أيـر مُعضـب(٣)
كلمـا رمـت بـه	نيكـاً ينثنـى ويتقلّـب
حُـقّ لـى مـن بعـد هـذا	عندهـا الرعنـا أصلـب(٤)

وليس الحفاظ إلا لمن كثر خيره، وكبر أيره، وقام ذكره، وغلظت فيشته .

قال الشاعر :

رأيـت الغوانـى لا يصـاحبن صاحبـاً	وخـلاً إذا لم يرضهـن الدمـالك(٥)
فمـن كـان ذا خـير وأيـرٍ وصلنـهُ	ومـن كـان رخـواً أيـره فهـو هـالك

وإن كان منهنّ من لا يرغب إلا فى الهدايا النفيسة القـدر، والفوائـد الجليلـة الخطـر،

---

(١) علقمة بن عبدة : ابن ناشرة بن قيس، من بنى تميم، شاعر جاهلى، من الطبقة الأولى، كان معاصراً لامرئ القيس، وله معه مساجلات.

(٢) أبو نواس : الحسن بن هانئ بن عبد الأول، أبو على، أديب شاعر، ولد بالأهواز من بلاد خوزستان، ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بنى العباس، ومدح بعضهم وخرج إلى دمشق ومنها إلى مصر وعاد إلى بغداد وتوفى فيها.

(٣) معضب : القوى .

(٤) الرعنا : المسترخى .

(٥) الدمالك مفردها الدملوك، وهو : الحجر الأملس المستدير .

وليس فيهن شيء من الخلال التى قدمنا ذكرها ؛ لأن من يُستمال بالجزيل من المال غير مخلص فى الوداد، بل كان انقياده للفائدة، وحرصه على وفور العائدة، فليس عند هؤلاء شيء أوقع فى القلوب، ولا أغفر للذنوب، ولا أستر للعيوب من الدراهم والدنانير، ولا يلتف الساق بالساق والأعناق بالأعناق إلا بالذهب والأوراق والبخور، والشقاق، والملح فى الأطباق.

واستعمال الغفلة بئس الخُلَّة، وقلَّ من اتكل من هؤلاء على إهداء أيره إلا صار الحرُّ لغيره.

ومن طمع فيهن أن ينيك الغضة البضة بغير الذهب والفضة، فقد خدع نفسه.

وفيهن من تغتفر كل عيب، وتستهين بالفاقة، والعدم مع بلوغ شهوتها من النيك اللذيذ والرّهز الشديد .

قال بعض الأعراب :

قالت سليمى لست لى بعلا يَمُنّ	يغسل جلدى وينسينى الحزن
وحاجةٍ ليس لها عندى ثمن	مَسْتورةٌ قضاؤها منه ومن
قلن بنات العم يا سلمى فإن	كان فقيراً مُعْدَمَا قالت وإن

وقال أخرٌ :

تقول لما ندمت كل الندم	زُوجت شيخاً إذا مشى جثم[1]
يدفعها بالركبتين والقدم	ويلى على مُرد اللّحا سود اللمم[2]
هل لكِ إن طلقت فى راعى غنم	متحرك الركبة معوج القدم
يرعى نهاراً فإذا أمس ألمّ	لاعيب فيه غير شيء من قَتَم

قالت رضيتُ فافعلوا نعم نعم

وقيل لرجل : إن النساء لا يقمن مع الأزواج مغتبطات إلا بكثرة الجماع.

فقال : لأجربن ذلك، فرجع إلى امرأته، وقال لها : إنه قد لحقتنى علّة، وقد ذكروا

---

(١) جثم : تلبّد بالأرض .

(٢) اللمم : صغار الذنوب

الأطباء أنى متى جامعت خُشِيَ علىّ التلف، فأعرضت عنه، ونقصت خدمتها له، وقالت : أنا لا أقدر على خدمتك، فاشترى جارية للخدمة، فلما مضى على هذا الحديث شهراً.

قالت : ياذا الرجل قد رأيت شيئاً في منامى، وأريد أن أهب نفسى لله تعالى، وألحق بأهلى .

فلما سمع كلامها، عرف المعنى ؛ فتركها إلى الليل، وهى نائمة فواقعها.

وأنشد قائلاً :

ما أنا بالجلد ولا بالحازم إن لم أزلْ ضغنك بالعجارم[1]

ضرباً ينسيك تقاضى الخادم

ثم قال لها بعقب ذلك : متى تلحقين بأهلك وتأخذين طلاقك لتهبى نفسك لله تعالى؟

فقالت : إن المعبر دخل اليوم الدرب، فقصصت عليه رؤياى.

فقال : هذه رؤيا أحلام.

فالمرأة لا تختار على الجماع شيئاً، ولا لها رأى فى غير المباضعة، والوصول إلى الشهوة مع من عظمت فيشته، وصلبت رهزته، واشتدت ضمته، وعَنُفَ إدخاله، وبعد إنزاله وحلا ماؤه، ولم يدخله خَجلَةُ الأحداث، ولا هيبة الإناث، وكان طيب المشاهد، حلو المفاكهة، قوياً على المعاودة، فهذه عند المرأة اللذة الكبرى، والأمنية العظمى، والأمل الطويل، والسُّؤل الجليل، لا تنجح فيه حيلة نسيب ولا هيبة رقيب.

ومنهن من يقرب مع الصديق، وخلع ابن العم الشريف، والزوج الأثير[2]، وآثر الخشونة على اللين، والشقاء على النعيم، والسفر على المقام، والفضيحة على الستر والتهتك على الإتقاء، والتبذل على الصيانة، والفقر على الغنى ؛ لنيل هذه الشهو حسب مرادهن، ووفق محبتهن.

وعلى قدر موافقة المجامعة، واستلذاذ النُّطف، ترعى المرأة حق الزوج، والجارية حق المولى.

فإذا لم تتفق هذه الأسباب المطلوبة من الرجال ؛ وقعت من النساء المصادمة

---

(١) العجارم : الزب القوى .

(٢) الأثير : المكرَّم .

وظهرت المباينة، وانعقدت المشاجرة، وهتك الستر، وسفرت الوقاحة، وكثر النفاق، وتمرمر[1] العيش، وتنغصت الحياة، وهجر المضجع، وادعى الطلاق، وبرزت الوجوه، وكشفت الشعور، وبدل المجامعة، وعزم على المقاطعة.

فكم من مصونة على لفحة الشموس قد هتك قناعها، وطرح خمارها.

وكم من لسان لها يهتدى إلى حجةٍ، قاده التباعد إلى طول الاشتهار بدموع غزار، فمن هذا لا تجف عَبْرتها، وتقوم بحجتها.

فمن ناظر يستمع ذلك منها، أو راغب قد طمع فيها، وكلٌّ معها لا عليها.

وربما صار السلطان المناظر عنها، والموكل لتثبت حجتها، وتلقين دعواها.

وأعظم آفات الرجال عند النساء، وأفسدها لموادتهن، وأجلبها للبغضة متهن الشيب، والناس يجتهدون فى تدليسه بأنواع الخضاب وإقامات المعار له، والاحتجاجات عنده بما يرصفونه من الأشعار الحسنة، ولا يجدى ذلك عليهم نفعاً .

قال الشاعر :

خضبت بياض الشعر أخفيه ... جاهداً وهيهات ما يغنى الخضاب وينفع

بلى زاد فى عيب المشيب لأنه ... يقال خضيب أشيبُ الرأس أصلع

وقال عبد الله بن المعتز[2] :

رأت طالعا للشيب أغفلت أمره ... ولم تتعهده أكُفُّ الخواضب

فقالت أشيبٌ ما أرى قلت ... شامةٌ فقالت لقد شامتك عند الحبايب

وقال فى الشيب والخضاب أيضاً :

فإن يكن المشيب طرأ عليه ... وأدّى البشاشة والشباب

---

(١) تمرمر : اهتز.

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد فى بغداد وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنف كتباً منها: البديع، والآداب، والجامع فى الغناء.

فـــإنى لا أعذبـــــه بشـــىء أشــد عليــه مــن لـسان الخضـــاب
رأيـــت الشـيب والحنـــاء عذابـــاً فســلّطت العــذاب علــى العــذاب

ولعلى بن الجهم فى المشيب[1] :

لا يرعـــكِ المشــــيبُ يـــا ابنـــة عبـــد الله فالشـــيب حليـــة ووقـــار
إنمــــا تحســــن الريــــاض إذا مــــا ضحكــت فــي خلالهــا الأنــوار

وقال ابن الرومى فى المشيب[2] : وهو أحسن ما قيل ويروى لعبد الصمد بن المُعَذَّل[3]:

لاح شـيبى فظلـت أمـرح فيــه مــرح الطـــرف فـــى اللجـــام المُحـــلاّ
وتـــولى الشــباب عنـــى فـــازددت فـــى ميـــادين بـــاطلى إذ حَـبوَلاّ
إن مـــن ســـاءهُ الزمـــان بشـــىء لاحـــق أمـــره أن يتســـلاّ

وقال عبد الله بن المعتز :

صـدت سـرير وأزمعـت هجـرى وصغـــت ضمائرهـــا إلى الغـــدر
قـــال كـــبرت وشـــبت قلـــت لهـــا هـــذا غُبـــار وقـــائع الدهـــر

وقال أيضاً :

يـا صـاحبى قـد كفـاك الدهـر تفنيـدى عَرَّضــت مــن لحظــات الخُــرَّدِ الغيــد[4]
وأرســـل الشــــيب فـــى رأســـى صقورتـه بزاتـه البيـض فـى غربـانى السـود

---

(١) على بن الجهم : ابن بدر ، أبو الحسن، من بنى سامة، من لؤى بن غالب، شـاعر، مـن أهـل بغـداد، كان معاصراً لأبى تمام وخص بالمتوكل العباسى ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان لـه ديـوان شعر، توفى سنة ٢٤٩هـ .

(٢) ابن الرومى : على بن العباس بن جريج البغدادى المشهور بابن الرومـى ، أبـو الحسـن، الشـاعر ولـد ببغداد سنة (٢٢١هـ) وتوفى بها سنة (٢٨٣هـ) من آثاره ديوان الشعر معجم المؤلفين (٤٥٣/٢) .

(٣) عبد الصمد بن المعذَّل بن غيلان بن الحكم العبدى ، من بنى عبد القيس ، أبـو القاسـم ، مـن شـعراء الدولة العباسية .

(٤) الخرَّد : الأبكار.

وقال أيضاً :

أخذت من الحداثة والتصابى	**وعزّانى المشيب من الشباب**
وقد كان المشيب سطور حسن	**فأمحيتُ السطور من الكتاب**

وقال آخر :

مات الهوى منى وضاع شبابى	**وقضيت من لذاته إطرابى**
وإذا أردت تصابياً فى مجلس	**فالشيب يضحك بى مع الأصحاب**

وإن ذهبت إلى إيراد ما قيل فى الشيب طال بذلك الكتاب، وعاق عن بلوغ الغرض به، وكذلك صفات الخضاب إذا كان ذلك مما يتصنّع به الرجال والنساء، ولو تكلفت مثل هذا لأفضى -فى إيراد كتاب الزينة بأسره، وفى هذا طول للاقتصار.

قال الهندى : الأحوال التى يحتال بها فى تطرية المودة، وتجديد ما أخلق منها ستة :

أولها : ينبغى أن يكون الرجل بصيراً بطبائع النساء، فهماً بما يلوح منهن ليستدل على ما فى نفوسهن .

والثانى : هو المبالغة فى المعرفة بوجوه النكاح .

والرابعة : صبره على ما يحتجن إليه من الجماع .

والخامسة : تلافى ما فسد منهن .

والسادسة : إبقاء المودة وحفظها .

قال : والتدبير فى المجامعة يكون من دفع الأعضاء ووضعها، واستعمالها فيما يستعمل به يكون على وجهين :

أحدها : على حركة .

والآخر : على سكون .

فأما أعمال الحركة فعلى وجهين :

أحدهما : علوى .

والآخر : سفلى .

فأما العلوى : فالمعانقة، والتقبيل، والتعضيض، والرَّهز.

والسفلى : فالولع بالفرج، وجسّ ما حوله، وكذلك السُّرةُ.

وأما السكون : فهو من أجل علم وأشرفه، وأدقه، وأغضّه، ولضنهم به، واشفاقهم من أن يصل إليه غير مستحق له، ما لم يودعوه كتاباً، ونحن نذكره فى كتاب **(الأسرار)** إن شاء الله.

وإذ قد ذكرنا الأحوالِ المُكسبةِ لمودات النساء، وشرحنا الأسباب في فسادها، فلنذكر الآن الأدوية التى إذا استعملها الرجل، وجامع امرأة اشتاقت إليه، ولم تصبر عنه، فأقواها فعلاً هذا الدواء :

وهو أن : يأخذ من بصل العُنْصل بصلة تكون طرية، فيشقها قطعاً، ويجعلها فى سُكرْجةٍ، ويصب عليها دهن زنبق خالص، ويطرح عليها وزن نصف درهم سيطرَّج، ومن جوف العفْص المتآكل شيئاً يسيراً، وينقع ذلك فى الدهن أسبوعاً، فإذا أراد الجماع طلى به ذكره، فإن المرأة تطالبه بالمعاودة لجماعها.

آخرٌ : يؤخذ سكبينج، وجرى، ومقل اليهود، وسَنَا محرَّق، وشِيحْ أرمنى، وبذر رازيانج مُحَرَّق، وكعب الخنزير محرق، وزرنيخ محرَّق يدق ذلك كله، ويعجن وزن مثقال منه بماء الرَّازيانج رقيقاً، ويطلى به الأحليل، ويترك حتى يجف، ويجامع، فإنه يفعل ما وصفناه.

دواء آخر : يؤخذ دار صينى، ودار فلفل، وزنجبيل صينى، من كل واحد جزء، فلفل أسود نصف درهم، يدق، وينخل ويبل بالماء، ويطلى رأس العضو إلى نصف منه، ويجامع .

آخر : صمغ أنجداث، يعجن بعسل، ويطلى به الذكر .

آخر مثله : تأخذ مُرّ، فتسحقه بلبن امرأة، ويطلى به الذكر وقت الجماع.

وإذا أردت أن لا تمنعك المرأة من المجامعة : فخذ قحف سلحفاة، واسحقه، ولُتَّهُ فى الماء الذى تتوضأ منه.

وما يحبب الرجل إلى المرأة : أن تأخذ لحم الشُقراق فتمسح به ذكرك، وتجامع، وكذلك دم اللقلق، ومرارة الذئب، ومرارة الدب وكذلك الزيت والشيرج مخلطين .

قالوا : من مسنح ذكره بمرارة شاة ؛ لم تُردْ المرأة غيره، ولم تطع سواه، وكذلك مرارة دجاجة سوداء، وكذلك ذئبة، وزنبق محرَّق مذاب ببول بغل حتى يصير مثل المرهم.

ومن أخذ مرارة الذئب، وأذابها بالعسل، وبالماء، وطلى بها أحليله وجامع ؛ أحبته تلك المرأة .

وكذلك مرارة الكبش السمين.

وكذلك مرارة الغذاف، إذا خلطته بدهن سوسن.

فى الخواص :

قالوا : من أخذ مخاليب الديك المصرى، فعلقها عليه، أحبه النساء.

ويكون الديك مما يعتلف القمح والحبوب لا ما يعتلف العذرة.

ومن أخذ فراخ الشفانين فأخرج قلوبها وحفظها عنده ، لم تزل امرأته تحبه ما دامت تلك القلوب معه من غير أن يُعلمها به.

ومن جعل تحت فص خاتمه ذَنَب سُلحفاة، ولبسه لم يجامع امرأة إلا أحبته.

وإن أخذ من ورد الغبيراء، فشممه للمرأة ساعة تنزل، لم تصبر عنه .

وإن أخذ ورد الغبيراء، فعجنه بماء صُلبه، وأمرّه على المرأة التى يريدها تبعته وأطاعته.

وإن شد فى طرّف مقنعة المرأة دودة حمراء وهى لا تعلم اغتلمت، وطلبت الجماع ولم تصبر عنهُ .

باب
السفارة والرسل

قالوا : كان فيما بين إدريس ونوح عليهما السلام، بطنان من ولد آدم عليه السلام، أحدهما : يسكن السهل، والآخر : يسكن الجبل، وكان رجال الجبال صِبَاحاً، وفي نسائهم دمامة، وكان رجال السهل دماماً، ونساؤهم صباحاً، فتمثّل إبليس في صورة غلام، وكان ذلك أول ما وضع القيادة في بني آدم، وآجر نفسه رجل من أهل السهل، فجعل يخدمه، واتخذ مزماراً، ونفخ فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله، فاجتمعوا إليه حتى جعلوه عيداً، وظهرت الفاحشة فيهم، وتبرّج النساء للرجال، فنزل رجل من أهل الجبل، فرأى جمال النساء، فرجع إلى أصحابه، وأخبرهم بما شاهد ؛ فنزلوا إليهم، وهو قول الله تعالى ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾[الأحزاب :٣٣] .

قال الهندي: إذا أراد الرجل أن يرسل إلى المرأة رسولاً، فلتكن المرأة جامعة تسع خصال:

منها : أن تكون كتومة، وتكون خلابة مكارةً، وأن يكون عملها كله من ست خصال:

إما متعبدة، أو غسالة ثياب، أو بائعة طيب، أو بزازة، أو قابلة، أو حاضنة.

وإذا بعثها، فليطمعها في شيء، بنيلها إياه ؛ فإنه أنجح لحاجته.

فإذا أنجحت فليزيدها، وليكن رسالته إليها بعد فراغ رجال أهل الدار من غذائهم، وفراغ النساء من حديثهم، وحوائجهم، وليكن معها لُطَفٌ من طيب، وريحان، ولتبلغ عنه أرق ما تقدر عليه من الكلام، وتخبر أن نفسه في يديها، وأنه إن لم ينلها هلك، وما شاكل هذا وأشبهه.

وقال عمر بن بن أبي ربيعة[1] من قصيدة :

فأتتها طَيِّةٌ عالمة تخلط الجد مراراً باللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها وتراخى عن ثورات الغضب

وسمع رجل هذين البيتين، وكان من أهل المدينة.

---

(١) عمر بن أبي ربيعة : عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة، القرشي، شاعر، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر ابن الخطاب ﷺ فسمي باسمه، وغزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقا سنة (٩٣هـ) .

فقال : فداك أبي وأمي، الناس في طلب قواده مثل هذه، منذ قتل عثمان بن عفان ﷺ ليُوَلُّونَها أمرهم، وما يقدرون عليها.

وقال بزرجمهر : يحتاج الرسول أن يكون فطناً ذهناً، حسن العبارة، ومن لم يتلطف للرسول بما له لم يبلغ مراده في أحواله، وقد استمال قوم الرسول بالنيك.

فقال بعضهم :

وإذا رأيت من الرسول تثاقلاً	وتنكرت حالاته وجوابه
غررت فيه بنيكة	ووعدته أخرى فخفَّ مجيئه وذهابه
إن الرسول ليشتهي من ظرفه	ما تشتهي فتفهموا أصحابه

ولابن جمهور القمي[1] (رحمه الله) :

يا تاركاً نيك الرسول تصاوناً	نيك الرسول كرامةً للمرسل
لولا جلالة أهله ومحلهم	ما نكته وأتيت ما لم يُجْمل
لكنهم بعدوا على كأنهم	كانوا على سفر بعيدٍ مُغْول
فجعلتُ نيكي للرسول كأنه	قطعي إلى الأحباب أول منزل

قال مؤلف الكتاب :

وأنا أستحسن اعتذار من اعتذر إلى صاحبه، وتخلص إلى هذا الرفق فقال:

لمت أني قرصت خد الرسول	ربما ناله بنان يديك
ثم عضضت ساعداً فيه	منه خرزات قد جلن في ساعديك
وتعجبت من ملامتك فيما لا أرى	فيه اعتذار إليك
وتأسفت أنني لم اقبل مقلةً	منه عاينت مقلتيك

ويستحسنون أيضاً نفاق الآخر حيث قال :

زعم الرسول بأنني جمشته	كذب الرسول وفالق الإصباح

(١) ابن جمهور (البصري) محمد بن الحسن بن جمهور البهري، أبو علي، أديب، توفي سنة (٢١٠هـ).

إن كنــــت جشـــــمت الرســــول فَعُجلَــتْ روحــى أنــامل قــابض الأرواح

قلبــى الــــذى لم يبــق فيـــه هواكـــم فضــــــلاً لتجميــــــش ولا لُمــــــزاح

ووجَّهَتْ عنان[1] رقعة إلى أبى نواس تدعوه إليها مع وصيفة لها.

وكان فى الرقعة : زرنا لتأكل معنا، ولا تغيبن عنا، فقد عزمنا على الشرب بـ

راجتمعنا.

فلما وصلت الجارية إليه أنشدها وقال :

نكنـــــا رســـــول عنــــان والـــــرأى فيمـــــا صنعنــــــا

فكـــــان خـــــبزا بملــــــح قبــــل الشـــــواء أكلنـــــا

جذبتهـــــــا فتمشـــــــت كـــــالغصن لمـــــا تثنـــــى

فقلــــت ليـــس علـــى الفعــــال كنـــــــــا اتفقنــــــا

قــــالت وكـــــم تتجنـــــا عَلَــــىَّ نكنـــــا ودعنـــــا

(١) عنان : جارية، شاعرة أديبة اشتراها هارون الرشيد بثلاثين ألف.

باب
قواعد النكاح

العاشق يصور نفسه فى طلب معشوقه بـالصورة التـى يكبرهـا المعشـوق، أوالصـورة التى يكبرانها جميعاً.

فإذا صَوَّر نفسه فى قلب صاحبه بإحدى هذه الصور دامت محبَّةُ صاحبه له.

فلذلك قال الهندى : إنه ينبغى أن يتجمل الرجل عند المرأة بأحسن هيئـة، ويتطيـب بكل ما يمكنه، ولا يوحشها بمطالبة الجماع فى أول مجلس، بل يُبْسُطُها بكل ما يجد إليـه سبيلاً، ويستعمل معها من المزاح واللعب ما لَطُفَ عندهـا، وكَثُر بـه سـرورها، ويحـذر مباشرتها، وهو محزوم الوسط، أو معقد شـعر الـرأس واللحيـة، بـل يسـرحهما ويطيـب جسده، ورأسه، ولحيته، ويمكنها من جسده لتعمـل مـا شـاءت، وجميـع الأخـلاق التـى تحبها النساء من الرجال.

فإن التعمل لها والتخلق بها من آداب الباءة، ونحن نذكره فى آخر الباب إن شاء الله.

فأما ما أشار به هذا الحكيم من ترك مباشرة المرأة لها فى أول لقائه لها، فكان من عادة نساء العرب فى ليلة بنائها وعُرْسها أن تمنع زوجها من افتضاضها أشد المنع، فإن تم ذلك لها.

قالوا : باتت بَلِيْلَةِ حُرَّةٍ، وكان ذلك مدحًا لها، وإن قهرها زوجها .

قالوا : باتت بليلة شيناء، وكان ذلك عندهم ذمًا .

قال النابغة[1] :

شـــمْس مَوانُـــع كـــل ليلـــة حُـــرَّةٍ	**يُخلـــين ظـــن العـــاجز المغيـــار**

وقال أبو السِّنْدِيْ فيمن باتت ليلة شيناء :

طيبوهـــــا ولم اطيَّـــــبُ عَمْـــــدًا	**ربَّ منـــع الـــذُّ مـــن إعطـــاء**
بـــت فـــى درعهـــا وبـــاتت	**ضجيعـــى فـــى نضـــير وليلـــة شـــيناء**

---

(١) النابغة الذبيانى: زياد بن معاوية بن ضبابة الذبيانى الغطفانى، شاعر جاهلى، من أهل الحجـاز، توفـى نحو (١٨ق.هـ).

يعنى بالنضير : تَطَاير الدم، وهو ما على الجسد من دم عَذَارتها.

وكانوا إذا طيبوا المرأة منعوا الرجل من التطيب ليشَمُّ رائحة طيبها.

وأما ما وصى به من استعمال الطيب، فإن أول ما يتفقده المتناكحان من أنفسهما طيب روائحهما، وهو كمال مُرؤتهما، وبه يغتفر ما سواه.

فينبغى أن يتعاهد المواضع التى تبدو منها الروائح المكروهة كالنّكهة[1]، والجناح[2]، والسُّغل[3]، وغير هذه المواضع التى فى بعض الناس .

وكذلك قال بعضهم : لابنته يوصيها قبل أن يهديها إلى زوجها بلَيْلَةٍ، احذرى مواضع أنفه.

وقال لأخرى : استكثرى من الماء ؛ حتى يكون جلدك ريح شىء ممطور[4].

وقالوا : أطيب الطيب الماء، وأجمل الجمال الكحل.

وليس فى سائر الروائح الثلاثة، أثقل وأبغض إلى إنسان من رائحة متغيرة.

وكذلك المواشط يطعمون العروس والقينات العُنّاب، واللبن، لأنهم يزفونها سحَراً فيخفن أن يجد الرجل من فيها خَلُوفًا.

وجامع رجل امرأة ظريفة كان يتعشقها، فلما كلمها شمت من فيه رائحة متغيرة فكتبت إليه تقول هذين البيتين :

تالله يا أخى إن فاكا ... قد غمنى فولنى قفاكا

وإذا غدوت فاتخذ مسواكا ... إنى أراك ماضغاً خراكا

---

(١) رائحة الفم .

(٢) اليد .

(٣) الكتف .

(٤) الممطور : المكان الذى يمطر ساعة ويكفى أخرى .

وقال الهيثم بن عدى[1] : أنه قد صح عند أهل التجربة **أن أكل السُّعد**[2]، والاشنان؛ ينقى رأس المعدة، ويشد اللثة، ويطيب النكهة.

وإن من استفَّ من الزنجبيل اليابس، واللبان الخالص أذهبا عنه الخلوف، **وما هو أشد** من الخلوف.

وعن الحكيم العرُّضى أنه قال لطبيبه : يا فلان إن صديقاً، متى تحركت الريح فى بطنه أخرجها، وإن كان فى مجلس حشمه، ويريد بذلك التعالج، فنحن منه فى اثنتين إما الصبر على ما يجىء منه، أو توقيفه عليه.

قال : يستف كل يوم مثقالين سُعْد ؛ فإنه يدبغ جوفه، فلا يكون للريح التى تخرج منه نتن.

وأنشدنى فى السُّعد لمحمد بن عبد ا لله بن العلاء كاتب زهير :

ليس للجَوفِ أَنَّةٌ وفساد كصنيع الأرياح فى الأمعاء

إن للهند فى التطيب سراً وعلاجاً يفوق كل دواء

---

(١) الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى الطائى البحترى الكوفى ، أبو عبد الرحمن، مؤرخ، عالم بالأدب والنسب.

(٢) السُعْد : نبات من فصيلة السُعْديَّات يشبه النحيليات بساقه وأوراقه، منه نوع ينتج بصلا صالحاً للأكل والسعديات فصيلة من وحيدات الفلقة تشمل عدداً كبيراً من النباتات التى تنمو عادة فى الأماكن الرطبة .

باب
آداب المحادثة والقبل

أما ما ذكره الهندى من استعمال المحادثة، والمزح :

فحُكى عن سقراط[1] **أنه قال** : الجماع بغير مؤانسة من الجفاء، هذا كما قيل ؛ لأنه يجب أن يكون بين الإنسان الناطق، وبين ما هو غير ناطق من الحيوان فاضلةٌ، وأن يتجمل بالزينة التى فضله الله بها فى وقت النكاح ليتميز بها عن البهائم، وينفرد عنها ويباينها فى انهماكها عليه، وتهجمها فى فعله، فلو لم يكن فى المحادثة والمزاح إلا هذه الفضيلة ؛ لوجب استعمالها، فكيف وهما يزيلان الحشمة ويبسطان بشرة الوجه، ويوطئان الأنس، وينفيان الانقباض، وفيها ما هو أجلَّ من ذلك، وهو أن الإنسان إذا ما يده لى من يريد الدنو منه، وهو مخاطب له، وذاك مستمع منه كان أنقص لحيائه فى نفسه، وأنفى للخجل عن صاحبه، لاشتغال تفكره بفهم ما يورده عليه من الخطاب، ولأنه غير مخلى مع فكره، فيتوقر على تأمل ما يُدعَا إليه، والتفقد لما يراد منه، فيستحى لذلك، ويخجل، وهذا أمر ليس بالصغير الفائدة .

فأما استعمال ذلك بعد قضاء الوطر، فهو النهاية القصوى فى الظرْف ؛ لأن السكوت بعقب ذلك مما يخجل، ويميت النشاط، وفيه دليل على النَّدم، وليس من الخلق الجميل، والأدب الشريف ؛ أن يرى المعشوق عاشقه نادماً على ما ناله منه، فإذا كان كذلك على ما وصفنا ينبغى للعاقل أن يعود إلى ما كان فيه من المفاكهة والملَق، والاستبشار ؛ لأن ذلك أكمل للأدب، وأدل على ظرفه وأنبل لفعله، فإن زاد فى الثانى على ما كان عليه، أولاً كان أزيد لفضله، وأتم لفتوته .

قال الشاعر :

اسـتـرحنا مـن الخجـل	وفرغنا مـن العمـل
ذهبـت حشـمة الغـزال	مـن الجمـش والقبـل[2]

والشاهد بصحة قولنا : إن الذين تكلموا فى الحيوان زعموا أن للحمام فى سفادِه

---

(١) سقراط : فيلسوف يونانى، ولد فى أثينا وعلّم فيها، فأحدث ثورة فى الفلسفة بأسلوبه. توفى نحو (٣٩٩ق.م) .

(٢) الجمش : الملاعبة .

خلّةٌ شريفة، يشرف بها على الإنسان، لأنه لا يعتريه فى الوقت الذى يعترى أنكح الناس من الفتور، وبه من المرح والفرح، وضربه لجناحه، وارتفاعه بصدره، وكسحه بذنبه، مما يفوق فى ذلك للإنسان الذى شهوته أقوى وأدوم، وهو بما فيه من القوة المميزة أقدر على التخلق لما يريده من الأخلاق المستحسنة، فليس يجد من نال الغاية القصوى فى التصنع والتغزل، وإذا فرغ يركبه الفتور، والكسل، وزوال النشاط والمرح، وأقوى فى الحال التى يكون فيها الإنسان وأفتر، هذا على أنا إذا جمعنا خصال الإنسان كلها فى قوام الشهوة، وقوته على التَصنّع لما يشاء، والتكليف لما يجب كانت دون قوة الحمام .

قالوا : فهذه فضيلة لا تنكر، ومزية لا تجحد، فإظهار السرور والمرح بعد قضاء الوطر ليزول الفتور، والانخزال اللذان يحشمان الخلّ ويخجلانه من أفخر تأدب، وأوفر طرب، وليس كل المعانى يجوز له الكلام فيها، ولا كل ملق يجوز له استعماله، فإن مسامرة المحبوب بالوصف، والاطراء مباين للأدب.

وكذلك قيل : ليس من الظرف امتهان الحبيب بالوصف.

وقال الحكماء : نعوذ بالله من عدو يسرى وجليس يغرى، وصديق يظرى.

والأجمل : أن يحصل مكان استحسان المدح التفدية للشىء المستحسن، فإن ذلك ينوب عن المدح، ويوفى عليه معاً بالتفدية.

فأما الكلام فى حال الجماع، فقد استعمله الناس فى قديم الدهر، وحديثه.

فأما ما جاء عن القدماء.

فحكى أن حُبَّى المدنية[1] قالت لابنتها قبل أن تهديها إلى زوجها : إنى أوصيك بوصية إن قبلتيها سعدت ونعمت بذلك، انظرى إن هو مد يده إليك فانخرى، وارهزى، وأظهرى له استرخاء وفتوراً، فإن قبض على شىء من بدنك، أو جارحة من

(١) حُبَّى المدنيَّة : كانت مزواجاً وكانت نساء المدينة سمين حبى : حواء أم البشر؛ لأنها علمتهن ضروباً من هيئات الجماع، ولقبت كل هيئة منها بلقب منها القبع والغربلة والتحير، وفى المثل أشبق من حبى قيل لها: ما الجرح لا يندمل؟ قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم لايجدى عليه .

جوارحك، فارفعي صوتك بالنخير مدًّا، وتنفسي الصعداء، وبرّقي جماليق أجفانك، فإن أولج عليك، فأكثري اللفظ، وغرّبي، وأظهري غنجًا وحركة، وعاطيه من تحته رهزاً موافقاً لرهزة، ثم خذي يده اليسرى فأدخلي حرفها بين إليتك، وضعي رأس أصبعه على باب استكِ ثم تحفزي وتحركي، ثم أعيدي النخير والشهيق، فإذا أحسست بإفضائه، فاضبطيه وعاطيه الرَّهز من أسفل بنخير وزفير حتى إذا هو خَرَّجَ أيره في خلال رهزك، فخذيه بيدك اليسرى، ثم أولجيه، وأظهري من الكلام الفاحش المهيّج للباءة، ما يدعو لكِ قوة الانعاظ .

فإن دخل عليك يوماً وهو مغموم، فتلقيه في غِلالة طيبةٍ، لا يغيب عنه بها جارحة من جسدك، ثم اعتنقيه والزميه، وقبليه، وأكثري النخير، فإن هش إليك، فأدخلي يدك من كمه، وأقبضي على ذكره، واعصريه والويه، وخذي يده، فأدخليه من كمك، وضعيها على صدرك وبطنك، ثم جريها بين إليتيك، فإن أنعظ، وإلا بادري الفراش، واستلقي على ظهرك، واكشفي بطنك وظهرك، وأبرزي له عجيزتك، واضربي بيدك مرة على حرِّك، ومرة على ردفك، فإنه لا يملك نفسه عند ذلك، ولا يهوى سوى مخالطتك.

واعلمي يا بنية أنك لا تستعطفيه أبداً، ولا تقيديه بقيد هو أبلغ من الوطء في الاست، فإن هو أراد ذلك منك، فأجيبيه إليه غير ممتنعة عليه، ولا متكرِّهه فإن القلب ينفر عند الممانعة، ويشمئز عند المدافعة وأريه من أنواعه، وبابلتهِ[1] ما تتوق معه نفسه إلى الطلب إليك منه، وإن لم يرده، فاستدعيه أنت منه، واكشفي عن عجيزتك أحياناً وقولي : يا سيدي لو علمت واحداً في الاست لبعت الابن والبنت، و لم تصبر عنه ولو حُبستَ، فإن هبَّ إلى ذاك، فانبطحي بين يديه، واكشفي إليتيك واضربي بيديك عليها، وقولي : هذا البيض المكنون، والجوهر المصون، فإنه لا يملك نفسه عند ذلك إلا متحلداً، فإن تحرك وإلا فارفعي قليلاً قليلاً، حتى تساوين وجهه، وانفركي أشد ما تقدرين عليه،

---

(١) باباات ، مفردها بابة : الصنف.

فأقسم بالله أنه لو كان فى نُسُك رابعة[1]، ومعاذة[2] ؛ لهمَّ، ودبَّ، وضرَّ، واستلذّ.

واعلمى يا بنية أنه ليس شيء من باب الوطء فى الاست تامَّة أجلب للقلب، ولا أسلب للب، غيره النصب على أربعة، فأذيقيه إياه مرة، فإنه لا يزال لكِ وامقا، ولخلوتك عاشقاً، وعليك يا بنيه بالماء، فتنظفى به، وبالغى فى الاستنظاف، وتعهدى مواضع أنفه وعيناه، ، فلا يشمن منك إلا طيبا، ولا ترى عيناه إلا موتقاً، فإذا أولج عليك، فأكثرى من اللفظ الفاحش، وقولى بين اضعاف لفظك : يا دائى، يا حياتى، يادوائى يا شفاى، يا سروري، يا حبيبى، يا طبيبى، يا شهوتى، يا فرحتى، يا غاية رجائى، ركبه، غيبه، أولجه، شَرِّجه، أخرجه، اعفجه، خرِّقه، لبِّقه، مزقه، ريِّقه، احرقهُ، واويلاه، واجحراه، وااستاه، أولجه، قتلتنى، ثم انخرى، وازفرى، وازحميه بعجزك، فإن هو أمسك عن الرهز فارهزى، فإن خرج أيره فخذيه بيدك وفُقِّى باب استك وأدخليه، فإنه يظن ذلك منك على سبيل المجون، فإن تباطأ عن تريّيق ذكره، فخذى من فمك ريقاً فضعيه عليه ثم خذى رأسه بيدك اليسرى، فادلكى به باب استك ساعة، ثم أولجيه وأزحميه بعجزك كله حتى يلج عن آخره فى استك.

فإن هو قال لك فى خلال إتيانه لك : أين هو منك؟

فقولى : فى الاست ولا أخرجه ولو حبست.

فإن أعاد القول، وقال : أين هو ؟

---

(١) رابعة العدوية هى : رابعة بنت إسماعيل العدوية، صوفية كبيرة وعابدة شهيرة، تمكنت فى معرفة دقائق التصوف مكانا عاليا، واستفتاها فى دقائق التصوف كبار المتصوفة فى عصرها قال سفيان الثورى، مروا بنا إلى المؤدبة، ولا أحد من أستريح إليه إذا فارقتها، وروى أن سفيان الثورى قال بحضرتها: واحزناه، قالت: لا تكذب وقل واقلة حزناه. توفيت سنة ١٣٥هـ ودفنت فى بيت المقدس.

(٢) معاذة هى : معاذة بنت عبد الله العدوية، من ربات الفصاحة والبلاغة والتفقه فى الدين والنسك والزهد بالبصرة، كانت إذا جاء النهار قالت: هذا يومى الذى أموت فيه فما تنام حتى إذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وروت معاذة عن عائشة أم المؤمنين، وهشام ابن عامر وأم عمرو بنت عبد الله بن الزبير، وروى عنها أبو قلابة، وقتادة وإسحاق بن سعيد، توفيت سنة ١٠١هـ .

فقولى : فى الغار.

فإن قال : ماذا يعمل ؟

فقولى : يخاصم الجار.

فإذا قرب إنزاله، فأكثرى النخير، ثم قولى : صبه فى اللبة، اسكبه فى الثقبةِ، غيبه فى الرُكبة، صبه فى الشرج، ففيه الشفاء والفرج.

فإذا أنزل فتطامنى قليلاً وهو فوقك، حتى تنبطحى علـى وجهـك، ولا تدعيه يقـوم عن واحد، وارهزى تحته رويداً رويداً، كما وصفت لك ولا تخليه عـن القيـام عـن أقـل من ثلاثة أو أربعة، فإنك تذهبين بذلك لبه، وتجلبين قلبه.

ثم أتت بعلها، وقالت له : إنى قد ذللت لك المركب، وسهلت لك المطلـب، فـاقبل وصيتى تحمد غبّ موعظتى.

قال : مرى بما شئتِ .

قالت : إذا خلوت بأهلك، فخذ فيمـا أردت مـن النيـك الصُلـب، والرهـز القـوى، وثاوره مثاورة الأسد فريسته، فإذا صرعتها، فعوِّل بالخمش، والقرص، وعض الشـفتين، ثم شلْ رجليها على عاتقيك، ثم أدخل يديك من تحت بطنها حتـى تجمعهـا مـن تحـت إبطها، واقبض على منكبيها بأطراف أصابعك، ثم ارفع باطن ركبتيها بيـاطن منكبيـك، ثم ضع رأس ذكرك بين شفريها، واجعل لسـانك فـى فيهـا، ثـم ادلـك الشـفرين دلكـاً رقيقاً، ثم أولجه حتى يغيب عن آخره، فإذا قضيت فالصق العانة بشفريها، واستعمل فى خلال ذلك النخير لتزيدها بذلك شبقاً، وغلمةً، وأجد الرهـز مـن فـوق، وترهـزك مـن أسفل على الأيقاع، ولا تفتران حتى تصبه فى حرّها، ثم تنعظ ثانياً، ثم كذلك ثالثاً قبل القيام، ثم قوما جميعاً فتنظفا بالماء، ثم ارجعا إلى فراشكما، فابطحها على الوجه، واقعد على فخذيها، وريّق ذكرك، وباب استها وادلك به الحلقة قليلاً قليلاً حتى تلين، وأولجه وتابع الرهز، وبالغ فى الإيلاج حتى تصبه فى استها، ثم ارهز رويـداً، وترهـز هـى مـن تحتك حتى تقوم، فإذا قمت فأخرج يديك من تحـت إبطهـا حتـى تقبـض علـى سرتها فتعصرها عصراً رفيقاً، ثم أرفعها إليك، وارتفع عنها قليلاً قليلاً حتى تصير باركـة علـى

أربعة، وارفع عجيزتها ومرها فلتخفض مُنتها، وتشخص منكبيها، فإنها تنفتح عند ذلك انفتاحاً شديداً، ثم أولج فى استها، وأجد الرهز، والنخير متبعاً لها، ولا تزال على ذلك حتى تعمل ثانياً وثالثاً، ولا تغفل أن يكون وطئك فى الاست نهاراً، فإنه أطيب، وألطف، وألذ، وأقرّ للعين ؛ لأنك تنظر إلى ما تعمل.

وهذا الكلام، هو من كلام القدماء وأهل البدو.

وأما المحدثون، وأهل الحضر فإنهم استطابوا أيضاً الكلام فى حال الجماع واستحسنوا المراجعات منه فأتوا به مسجوعاً متفقا.

فمن ذلك يقول الرجل للجارية: أين هو ؟

فتقول : فى بطنى.

فيقول : ماذا يصنع؟

فتقول : يندف قطنى.

ويقول لها : أين هو؟

فتقول : فى سرتى.

فيقول : إيش يعمل ؟

فتقول الجارية : يصفف طُرَّتى.

ويقول الرجل : أين هو ؟

فتقول : فى كرْكرتى.

فيقول : إيش يعمل ؟

فتقول يحاسب أكرتى.

ويقول الرجل : أين هو ؟

فتقول فى الخواصر.

فيقول : ما يعمل ؟

فتقول : يعبّى قواصر.

وكل إنسان يمكنه أن يولّد بحسب ما يحضره من الكلام، والباعث على ذلك إنما هو إفراط الشهوة، وأنه لا تكاد النفس تبلغ آخر غرضها منه.

فأما القبل، فقالوا : إنها دواعي الشهوة والنشاط، وسبب الانتشار والإنعاظ ومنبهات الأيور من الرّقدات، ومهيجات الإناث، والذكور للحركات، لاسيما إ خلط الرجل بين كل قبلتين عضة، وقرصة ضعيفة، واستعمل المص والمشادة، والنخير والمعانقة، فهناك تأججت الغلمتان، واتفقت الشهوتان، والتقى حلق البطان، وفرح به قلب الشيطان.

ولذلك أقام الظرفاء القبل مقام الاستئذان، واستدلوا بالطاعة فيه على حسن الانقياد والمتابعة وهذا موضوع على أصل صحيح، وذلك أن السبب في شغف الناس بالقبل إنما هو لسكون النفس إلى من تحبه وتهواه، وتعلم أن قد أطاع.

ولذلك قالوا : البوس رسول الزبّ إلى الحرّ .

وقالوا : القبلة إنما هي عدة للنيك، وسبب له، وأس من أساس البناء.

وقال أبو الحسن المدائني : التقبيل بزاق الجماع.

وكان يقال : إن المعافجة[1] تقبيل الرجال.

ومما يدل أن القبل عنوان الموافقة قول أبي يعقوب الخزيمي :

يا من إليه المبتهل ومن عليه المتكل	سددت يا نفس الهوى على بواب الحيل
ما كان ما أمكنني من أجل بعد أجل	إلا كظل طلعت عليه شمس فارتحل
فخذ ودعني من عسى وسوف يوماً ولعل	هل بقيت من حشمةٍ بعد اعتناق وقبل

وقال سعيد بن حميد :

أيها اللائم عندي خبر	لست أدري ضرني أما نفعا
أن لامت حتى اشتفى	من ثناياه وعينيه معا
فهي فيما بيننا تذكرة	إن تناسا أو جفاك قطعاً

(١) الجماع .

وقال آخر :

وبتنا بليل والنجوم كأنها ... قلائد در حلّ عنها نظامها
فما برحت حتى حللت خمارها ... وقبلتها عشراً فزال احتشامها

وقال أبو نواس :

يا ماسح القبلة من خده ... من بعدما قد كان أعطاها
أخفت أن يعرف إعجامها ... أبوك في الخد فيقرأها
لو كنت إذ قد خفت ... ذا قلته كنا إذا بُسْنَا محوناها
أو لتركنا شكل إعجامها ... ولامها منها سقطناها
فصارتا فيها لنا قبلةً ... للحسن في وجهك معناها

قال : وليس التقبيل إلا للإنسان والحمام، فإن الحمام يستعمل التقبيل، والمص، والرشف، وإدخال الفم في جوف الفم، وذلك هو التطاعم .

قال الشاعر :

لم أعطها بيدى إذ بتُّ أرشفها ... إلا تطاعم عصر الجيد بالجيد
كما تطاعم في خضراء ناعمة ... مطوقان لصاحا بعد تغريد

وذكر الحمام لايدعه إلا عند الهرم.
وقد شبه عبد الله بن المعتز القبل بنفر العصافير.
فقال وأجاد وأحسن .

وكم عناق لنا وكم قبل ... مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة ... من النواطير يانع الرطب[1]

وروى أحمد بن محمد الكاتب[2] باسنادٍ له :
قال الأصمعي : كل جماع ولا قُبل فيه فهو خداج .

(١) النواطير : مفردها الناطور : أي الزرع .
(٢) أحمد بن محمد الكاتب هو : أحمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: هو أستاذ أبي عبد الله الكوفي الوزير، وكان أحد الأفاضل من الكتاب بلاغة وفصاحة وصناعة، وكتبه (الشراب والمنادمة) . معجم الأدباء (١/٥٩٦) .

قال هلال :

الخداج : الناقص الاستقامة، من قولهم خدجت الناقة : إذا وضعت ولدها لغير تمام، وروى على بن الحسين الكاتب قال : حدثنا جعفر بن قدامة[1]، قال : قال الجاحظ : أربعة أشياء ممسوخة : أكل الأرز البارد، والبوس على النقاب، والغناء من وراء الستارة، والنيك فى الماء.

قالوا : وأحسن الشفاه وأشدها تهيجاً للنيك وموافقاً له، ما دق الأعلى منها واحمرت ونظفت وكان فى الأسفل منها بعض الغلظ، وإذا عُصرّ عليها اخضرت ؛ لأن القبلة لهذه الشفة أحلى وأعذب.

وقالوا إن ألذ القبل قبلة ينال منها لسان الرجل فم المرأة، ولسان المرأة فم الرجل، وذلك إذا كانت الجارية نقية الفم، طيبة النكهة، فإنها تدخل لسانها فم الرجل، وذلك إدخال يصيب ريقها، وحرارة لسانها لسان الرجل فينحدر ذلك الريق، وتلك الحرارة والتسخين إلى ذكر الرجل وإلى فرج المرأة فيثير ذلك شبقهما وغلمتهما، ويقوى شهوتهما ونهمتهما فى النيك، فيزدادوا بها صفاء وحسناً.

وقيل : إن ذلك الريق والحرارة ينجعان فى الجسم ويزيدان منه كزيادة الزرع المزروع فى الأرض الزكية، إذا روى من الماء العذب بعد عطشه.

وقال آخر : إن المنفعة فى إلتقام الفتى لسان المرأة، وشدة مصه إياه، وعضّه عليه، لأنه يصيب لسان الفتى نداوة وحرارة فتنحدر تلك النداوة والحرارة، من ساعته إلى أيره وتنتفع المرأة بهذا الصنع كانتفاع الرجل.

وقد يبلغ من شدة كلف الرجل بالنساء وعشقه لهن أن تدعوه لفرط الرغبة وشدة الشبق، أو غلبة الحرص وأن لا يرضى التقبيل دون أن يأخذ لسانها فى فمه، ويمص ريقها، وربما أدخل لسانه فى حرّها، وذلك لا يكون إلا من غلمة شديدة مفرطة.

---

(١) جعفر بن قدامة هو: جعفر بن قدامة بن زياد، أبو القاسم أديب من كبار الكتاب، من أهل بغداد، له شعر رقيق، ومصنفات فى صنعة الكتابة وغيرها، روى عنه أبو الفرج الأصبهانى .

وخبرَّ شيخ من جلة الكتاب قال : سمعت شيخاً من أبناء الدعوة، وهو يقول لمنصور ابن زياد : هل أدخلت لسانك فى حرٍّ قط ؟

قال : نعم وا لله لقد أدخلت.

قلت : فما كان طعمه ؟

قال لى : الملوحة.

قلت : صدقت، فما شبّهت رائحته ؟

قال : لم أعرض لذلك.

قلت : لأنك لم تستعمل الغزل، ريحه ريح البهار، إلا أن النساء كالدراهم فيه الجدد والزيف، ولهذا الشأن جهابذة يعرفون منه مالا يعرف جهابذة الدراهم بالانتقاد.

قال إبراهيم ابن سيار : سمعت أبا شعيب الدلال يقول : كان جرير بن رمضان يأمرنى بإدخال اللسان فى الحر، فكنت للعزية وقلة التجربة أتقزز من ذلك، فلما كان بعد، فعلته، فعلمت أنه كان با لله ورسوله أعرف منى .

قال إبراهيم : فلم أسمع كلاماً قط أعجب منه و لم أعرف.

قال ابن شاهين لرجل بلغنى أنك ربما أدخلت لسانك فى الحر، فلست أسألك عن طعمه إنما أسألك عن رائحته .

وقد زعم بعض الناس أن ريحه ريح البُهار .

وقالوا : إن الحرَّ مثل الفم، وربما كانت رائحته من قِبَلِ شراب طيب، أو من فاكهة، قد أكله صاحبه، فإذا لم يكن ذلك، فطيب سلامة من الخلوف.

وكذلك الحر فربما كانت المرأة استعفرت بأشياء فيها أخلاط العطر فيوافق للرجل تلك الحال منها.

وذكر بعض النخاسين : أنهم ربما قبلوا الجارية فى استها، فذكرت ذلك لإسحاق

ابن إبراهيم الموصلى[1]، كالمنكر لذلك، فضحك وقال : ما الذى أنكرت من هذا ؟ والله إنى لأقبل الجارية حتى أصحو على ردفها، فإن كان المجون والدعابة فى الجارية فإنه يزهل قلب مولاها حتى يحمله الشبق وشدة الشغف بها أن يدخل لسانه فى حرها واستها، وهذا مما لا ينكر .

وحدث محمد بن فارس النخاس، ببغداد، قال : استعرضت جارية لانية، خرجت من القصر، فجعلت أمرُّ يدى على عجيزتها .

فقالت : كم من فم سيد مطاع قد وقع على الكوة التى تحت يدك، فضحكت تعجباً من مجونها.

فقالت : ما الذى يضحك ؟ فوالله لئن ملكتنى لأجعلنَّ ردفى لك فراشاً، فأعجبنى ما رأيت من مجونها ؛ فاشتريتها.

قلت : فهل أجبت دعوتها، قال : والذى خلقنى، فإنه الله، لقد كنت أنبطح أقبل إليتيها حتى تضجر، فإن تمكنت قَبَّلْتُ استها، ولقد كنت ربما أدخلت لسانى فيه .

---

(١) إسحاق بن إبراهيم الموصلى، أبو محمد، كان الرشيد إذا أراد أن يولع به كناه أبا صفوان، وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب والشعر معروف، وكان الغناء أصغر علومه ولم يكن له فيه نظراء، فهو إمام هذه الصناعة. وكان إسحاق قد روى الحديث عن جماعة منهم: أبو معاوية الضرير وهشيم وابن عيينة وغيرهم، وكان مع كراهيته للغناء أحذق خلق الله به ممن تقدم وتأخر، وهو الذى صحح الغناء وطرائقه، وميزها تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله، ولا تعلق به أحد بعده، ولم يكن قديما مميزاً على هذا الجنس . انظر ترجمته معجم الأدباء(٢/٢١٥٦:١٢٩) .

فصـــل

ما يختاره النساء من أخلاق الرجال

الذى يهوى النساء من أخلاق الرجال : أن يكـون الرجـل شـجاعاً سـخيًّا صدوقـاً، حلو المنطق، بصيراً بالهزل، مزَّاحا، وفياً بالوعد، حليما محتملاً لما يرد عليه مـن تلونهـن، وذعارتهن، وأن يكون نظيف الثياب، حسن الخلقة ليس فى جسده عيـب، وأن يكـون كثير الإخوان معيناً على الحاجة، غير متبرم، ولا ضيق الصـدر، وأن يكـون متجنبـاً مـن معاشرة الأوضاع، والسُّفَلِ من لا خير فيه، بل لمن يشاكله فيما تقدم من الوصف.

ومن دواعى المودة منهن، وأن يكون الرجل نظيف اليدين، نظيـف الرجلـين، نظيـف الثياب، رحب الذراع، كثير المال، قبُـولا للمـودة، وجامعـاً لـلأدب والفطنـة، عالمـاً بمـا يوافقهن، عارفاً بأمورهن.

فإن الرجل لو كان بالغاً فى جمال وجهه ومحمود أخلاقـه، ومرضـى أحوالـه لم يحظ عند النساء إلا بعد معرفته بأمورهن وإن كان بخلاف ما تقدم من الوصف فـى الجمـال، وكان بأحوالهن عالماً ولموافقتهن متأتياً، أحببنه وهوينه.

وست خصال يحمدها النساء من الرجال، منها ثلاثة أصلية، ومنها ثلاثة مكتسبة :

فالأصلية : حسن العقل، والخلقة، والجمال، والخطر، وأن يكون طيب الذِكْر.

والمكتسب : بالأدب، والصناعة، والعلم بالشعر، والغنى، والمرتبة، والنظافة، وقراءة الكتب.

وقيل لبُرجان وحباحب : أى الرجال أحب إلى النساء ؟

قالتا : ذو المتاع الطويل، والبدن الرطب، والضمّ الشديد، والعمل العتيد.

والذى يكرهه النساء من الرجال : أن يكون غيور، مسرف فى ذلك، بخيلاً، غضوباً سليطاً جباناً، كفوراً للنعمة، متضرعاً عند طلـب الحاجـة، حتـى إذا بلغهـا أعـرض عـن صاحبها، وأن يكون قليل الرحمة، خفيف العقل، قليل التأنى، دنس الثياب، أكولاً، فقيراً.

فإن هذه الخصال، أو بعضها إذا كانت فى رجل أبغضته النساء .

باب
آداب المفترش

الذي يستحب من الأفعال : أن يخفى نظره، ولا يحدق نحو الفاعل، وأن يكون مواصلاً للخلاعة والمجون والمزْح .

ولذلك قال الأول :

ويعجبنى منك عند الخلاط حياة الكلام وموت النظر

وذلك أن شخوص النظر يحدث للمنظور إليه حياء لاسيما، وهو فى حال الجماع الذى الحياء منه يتركب فى الطبع، ولهذه العلة أبعد الفُرشِ من أماكن خلواتهم.

وأيضاً فإن الإنسان فى وقت الجماع يكون وجهه فى غاية القباحة، فلا يؤثر أن يراه خِلّه على تلك الصورة، فربما دعاه ذلك إلى مقته .

وأيضاً فإن من عادة المرأة أن تغمض عينيها فى وقت الجماع وإنزالها، وهى الحالة المطلوبة، والرجل يحب ذلك لأنه الغاية التى إياها يقصد، ولها يدأب .

وإنما كلام المجامع عند الباءة، وهو كمال المسرة، وتمام المرؤة ؛ لأن كل حاسة من حواس الفاعل تكون مشغولة بلذة، فالعين بلذة النظر، والفم بلذة الرشف، والأنف بلذة الطيب، فيحتاج أن تكون الأذن أيضاً متمتعة بألفاظ المحبوب لاسيما إذا كان ذلك الكلام مما يخلب القلب، فإنه ينضاف الفكر إلى استماع الحواس بألفاظه إلتذاذاً، يحسن معناه، فتتكامل اللذة، فإن الملتذ يريد أن يجد اللذات المتفرقة فى شخص واحد ؛ ليتم باجتماعهما صورة واحدة شريفة :

قال الشاعر :

وفى أربع منى حلت منك أربع فما أنا أدرى أيها هاج لى ذكرى

أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى أم النطق فى سمعى أم الحب فى صدرى

وروى عن الزبير بن بكار قال :

حدثنى ابن أبى اسرائيل المكى، وكان يتنخس، قال : قال لى على بن موسى الرّضا[1] عليه السلام : انظر لى جارية جميلة كاملة ألتمس منها الولد.

---

(١) على بن موسى الرضا هو : على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحسن، الملقب بالرضا ثامن الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت، ولد فى المدينة، وأحبه المأمون العباسى، فعهد إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته، توفى سنة ٢٠٣هـ-٨١٨م .

قال : فجعلت أتنوَّق له، وأختار إلى أن جئته بجارية، بمائتى دينار، ثم أتيته.

فقلت : كيف رأيت الجارية أعزك الله ؟

قال : إنها الفارهة إلا أن فيها عيباً.

قلت : وما هو ؟

قال : لا تغير.

قال الزبير : وكانت عندنا بالحجاز جارية، عرفت بأنها ترى مجامعتها شغفاً به وتكملة بما يعين الشهوة، فبلغت ضعف ثمنها على وجهها.

والمرأة إذا كانت عاقلة مجربة ؛ لاعبت الرجل وداعبته، وناغته، ورقصته، وغنته، وأرضعته ؛ حتى ينام وهو شبعان ريّان مسرور، فيسرى ذلك السرور فى عروقه كما يسرى الهم.

ألا ترى الملوك تنام على الغناء والضرب بالعود ليسرى ذلك السرور فى عروقها ويغيب فى صدورها، ويرى أن ذلك من عمارة الأبدان والترويح عن الأذهان .

ولذلك قال الشيبانى : حين انتحل غلس الملوك، وسماع مدخنةٍ تعللنا حتى نؤت تناوم العجم، يعنى ملوك فارس .

وكان النعمان بن المنذر[1] لا ينام إلا على سماعٍ، وهو ملك من ملوك العرب.

وأفخر آداب الباءة، وأسنى آداب المفترش، ما ألزمته رَمْلة ابنة الزبير بن العوام[2] نفسها، فإنها بلغت من الظرف فى ذلك مبلغاً لا أحد يزيد عليه، ولا لها نظير فيه، فلو ضُرب بها المثل فى ذلك لكانت تستحق ذلك .

---

(١) النعمان بن المنذر هو : النعمان بن عمرو بن المنذر الغسانى، من ملوك آل غسان فى الجاهلية، كانت له حوران، وعبر الأردن وتلك الأنحاء، وليها سنة ٢٩٦م، فبنى قصر السويداء بحوران، وقصر حارب. الأعلام (٣٨/٨) .

(٢) رملة بنت الزبير بن العوام : كان يهواها خالد بن يزيد بن معاوية، وذلك أن عبد الملك بن مروان حج ومعه خالد بن يزيد، فبينا خالد يطوف بالبيت إذ أبصر برملة، فعشقها عشقاً شديداً وقد قال فيها شعراً .   أقلوا على اللوم فيها فإننى   تخيرتها منهم زبيرية قلباً

أنه قيل لها : مالك أهزل ما تكونين إذا كان زوجك شاهداً ؟

قالت : إن الحرة لا تباضع زوجها بذلك لأنها لا تأمن قرْقرَة البطن.

وحدث الحسن بن على بن يونس الكاتب :

قال أحسست يوماً فى بطنى ريح، وأنا مع جارية أعشقها ونحن فى منزل لصديق لنا، يقال له أحمد بن المثنى، وكان مخرجه قريباً من مجلسه .

قال : فقمت إلى المخرج وعلمت أنى إن أخرجت تلك الريح، سمعت الجارية، وصرت عندها فضيحة.

قال : فتركت المقعدة وفزعت إلى ا لله، وأخلصت فى الدعاء فكشف ما وجدت.

وهذا الخبر وما تقدمه ؛ يدلنا على قباحة هذه الحال، وتبعث على اجتناب مثلها مع الخلِّ فى حال العشق، والتوقى من ذلّةٍ عند المضاجعة.

على أن فيثاغورّس قال : إنه متى أراد الإنسان أن يذهب ما يقلبه من العشق، فليضجع عشيقته بجانبه، فإنه إذا شم رائحة الفَسَّا سلاها من ساعته، فإذا كان ذلك كذلك، فليس فى آداب الباءة خلّةٌ أشرف من الاحتراس مما يؤدى إلى مصارمة الأصدقاء، ومجابهة الأوداء.

وقد قسمنا اللذه فى هذا الباب المتقدم وبعضه ها هنا لأنه يجب على المساكين جميعاً تفقده من أنفسهم، والشاهد بذلك خبر رمله ابنة الزبير، وخبر أبى يونس الكاتب، وكل ما تفعله المرأة من الأفعال التى يشتهيها الرجل منها، فهو من الأدب وحقوق الظرف.

وقال بعضهم : إذا نكحت المرأة، فأعطيتها ما تشتهيه منك ولم تعطك ما تشتهيه منها؛ ففراقها أمثل من إمساكها.

ووطىء عبد ا لله بن معمر، امرأته عاتكة بنت طلحة بن عبد ا لله، وكان منها نخير، وزفير وشهيق وغطيط قوى فسئلتْ عن ذلك ؟

فقالت : إذا لم تكن الجارية نخارة، فليعتقد زوجها إنما خالط حمارة .

وقد يوجد فى جوارى الهند من تجتلب بالغطيط والنطيط شهوات الرجال، وربما تغاشت الواحدة، وتمددت فيتوهم الرجل أنها ربوخ.

وحكى : أن ابن داجة تزوج بجارية، وكان هذا ابن داجة إذا جامع حَمْحَم مثل حمحمة الفرس، فلم ترض له الجارية بعادتها من تكلف النخير والغطيط، حتى تشبهت بالرّبوخ[1] فحظيت عنده، فنم عليه بعض الحسَّاد .

فقال : قال ابن داجة فى كلمة له :

وتكذبنى وتنخر عن رهزى وتحكى عن موشّمةٍ ربوخ

قال : وسمعت امرأة لعاتكة بنت طلحة، وعمر بن عبد الله يجامعها وهو زوجها، ولهما نخير وغطيط لم يسمع بمثله .

فقالت لها فى ذلك.

فقالت : إن الدواب لا تحب الشرب إلا على الصفير.

وقيل لحبَّى المدينة : ما الذى يستحب من المرأة عند الخلوة ؟

قالت: أن يسمع لفرجها صريراً، ولحلقها غطيطاً، ولخياشيمها نخيراً.

وروى النقاش :

عن محمد بن شيحان، قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق بإسناد له، **قال** : سمعت رجلاً سأل القاسم بن محمد بن أبى بكر عن النخير فى الجماع ؟

قال : إذا خليا، فليصنعان ما شاءا .

وروى : أن سعيد بن المسيب، كان نخرا .

فقال : أما النخير فلا، ولكن يأخذ فى حمحمة كحمحمة الفرس.

وكان مالك بن أنس يقول : النخير سفه، أعاقب عليه، ولا بأس به عند المجامعة .

وروى عمر بن قيس المكى : أن امرأة جاءت إلى عطاء بن أبى رباح، **فقالت** : إن زوجى يأمرنى أن أنخر عن الجماع .

قال : أطيعى زوجك.

---

(١) الربوخ : المرأة التى يغشى عليها عند الجماع .

وحكى : أن ابن داجة تزوج بجارية، وكان هذا ابن داجة إذا جامع حَمْحَم مثل حمحمة الفرس، فلم ترض له الجارية بعادتها من تكلف النخير والغطيط، حتى تشبهت بالرّبوخ[1] فحظيت عنده، فنم عليه بعض الحسَّاد .

فقال : قال ابن داجة فى كلمة له :

وتكذبنى وتنخر عن رهزى ونحكى عن موسّمةٍ ربوخ

قال : وسمعت امرأة لعاتكة بنت طلحة، وعمر بن عبد الله يجامعها وهو زوجها، ولهما نخير وغطيط لم يسمع بمثله .

فقالت لها فى ذلك.

فقالت : إن الدواب لا تحب الشرب إلا على الصفير.

وقيل لحبّى المدينة : ما الذى يستحب من المرأة عند الخلوة ؟

قالت: أن يسمع لفرجها صريراً، ولحلقها غطيطاً، ولخياشيمها نخيراً.

وروى النقاش :

عن محمد بن شيحان، قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق بإسناد له، **قال : سمعت** رجلاً سأل القاسم بن محمد بن أبى بكر عن النخير فى الجماع ؟

قال : إذا خليا، فليصنعان ما شاءا .

وروى : أن سعيد بن المسيب، كان نخرا .

فقال : أما النخير فلا، ولكن يأخذ فى حمحمة كحمحمة الفرس.

وكان مالك بن أنس يقول : النخير سفه، أعاقب عليه، ولا بأس به عند المجامعة .

وروى عمر بن قيس المكى : أن امرأة جاءت إلى عطاء بن أبى رباح، **فقالت** : إن زوجى يأمرنى أن أنخر عن الجماع .

قال : أطيعى زوجك.

---

(١) الربوخ : المرأة التى يغشى عليها عند الجماع .

وعن النقاش :

قال : حدثنا محمد بن يحيى البرماى قال : أتت امرأة عبد ا لله بن عباس، **فقالت : إن** زوجى أمرنى بالنخير عند الجماع .

فقال : أطيعى زوجك.

وروى عن بعضهم أنه قال : إنى لأجامع امرأتى فيعرف ذلك جيرانى.

وقال هرقط الهندى : ينبغى للمرأة أن تكون شفتاها فى حال المجامعة، كأنها تتلمظ شيئاً وليكن حقرة[1] عند الدفع بالذكر مستقبلة تلتقى الدفعتان فى حالة واحدة، ولا تحقر من تحته حقراً شديداً فإذا أراد الرجل إخراج الذكر من فرجها، فلتضمه ضماً شديداً، ولا تمكنه من سرعة إخراجه.

وحدَّث عبد الملك بن صالح الهاشمى قال :

بينما عيسى بن موسى قد خلا بنفسه مفكراً، وكان قد استكثر من النساء حتى انقطع، إذ مرت به جارية كأنها جان، فتحركت نفسه، وخاف أن لا يجد له قوة، ثم طمع فى القوة لطول الترك، واجتماع الماء فلما صارعها، وجلس منها ذلك المجلس، خطر على باله إن عجز كيف يكون حاله، فلما ذكره فتر، فأقبل كالمخاطب لقلبه، فقال : إنك لتجلسنى هذا المجلس، وتحملنى على هذا المركب ثم تخذلنى، وتغشينى بمثل هذا الذل، فلا وا لله لولا حيرة الخجل ما استعمل ما لا يُقبل، وذلك أنه لما حصل فى تلك الحال رأى أبلغ الحيل فى توهيمها أن العجز لم يكن إلا من قبلها أن يقول لها : تعرّضين لى وأنت ثَقِلَة ثم لا تستهدفين لسيدك، ولا تعينى على نفسك، حتى كأنك عند عبد يشبهك، أو سوقة لا يقدر على ملك، فلو كنت من بنات ملوك العجم أو من بنات ملوك العرب لألفاك سيدك على أجود صنعة وأحسن طاعة .

وأنشأ يقول :

النفس تطمع والأسباب عاجزة   والنفس تهلك بين العجز والطمع

ويستحب من المرأة الغنج، وقد أكثر الواصفون جودة الحسن بالغنج والدلال.

---

(١) الحقر : الوقف ، والضغط .

وذكر عن حبى المدنيَّة أنها قالت : الغنج ما كثر فيه النخير، وطال فى خلاله التنفس والزفير.

وقالت الفارعة[1] : وكانت من أجمل النساء، لكل شىء أسٌّ وأس الجماع الغنج.

قالوا : وإذا ظفرت بجارية مملوكة، أو حرَّةً لا غنج عندها فعلمها الغنج.

وهو أن ترش عليها الماء البارد على غفلة منها، وتنخسها بأبرة أو شوكة وهى غافلة، فإنها تنخر وتزفر، فادمن ذلك عليها مراراً من حيث لا تعلم فإنها تتطبع على الغنج.

وقيل لحبى المدنية : إن النساء قد أحدثن شيئاً .

قالت : وما هو ؟

قيل : النخير.

قالت : وا لله لقد نخرت نخرةً تحت رجل، فنفر منها ثلاثة آلاف بعير من إبل الصدقة، وكانت فى المربد، فمرَّت على وجهها، وذلك فى زمان عثمان بن عفان، فما تلاقوا بها إلى الآن.

وقيل للمدائنى : بأى شىء تستميل المرأة الرجل، فيكون لها أشهى ؟

قال : إذا كانت المرأة شابة، ولها فى النيك نهمة، فإنها تستميل الرجال بالمواتاة، وبحب صادق ومودة ومحبة واجتهاد، وتأخذ نفسها فى متابعته ؛ حتى ترى منه الأثرة والحب على الأم والأب، وكل حميم وقريب.

فإذا كانت المرأة كَهْلَةً فإنها تستميله بأنواع المطاعم والتحف والأشربة، والظرف والتجمل والتقرب باللطف وما تقدر عليه من القول.

وقالت الفارسية : تحتاج من أرادت أن تظفر بلذة النيك إلى التنظيف والتبرقش، ومعالجة الرجال، ومفاكهتهم ومداعبتهم، والخضوع فى القول ورخامة المنطق، والنظر

---

(١) الفارعة بنت طريف بن الصلت الشيبانى : شاعرة من شواعر العرب فى العصر العباسى، كانت تجيد الشعر، وتسلك سبيل الخنساء فى مراثيها لأخيها صخر.

بالأحداق بالطرف مرة، ومسارقة مرة، والتبسم فى وجوههم، وعرض نفسها عليهم، والاستئناس بهم، بحديث يشغل القلب، ويهيجه، وأن لا تزال رُكبها محلوقاً منظفاً وذوائبها مقضبة مرجَّلَةً، وثيابها مصَّبغة، ولجسدها ولوجهها غاسلة، ولشعرها إن كان فيه لحاجتها لاقطة، وأن تستعمل المرتك فى كل يوم بالماء البارد، فإنه رأس الطيب، وإذا أرادت النيك فلتبدأ بغسل رأسها، وتطييبه بالدهن الطيب من اللخالخ[1] الفاضحة الرائحة، وتستعمل السواك، والخلال، ثم تمضغ ما يطيب به الفم، ثم تستعمل الكحل فإنه داعياً لتهييج النيك.

وقال أبو عمرو بن العلاء :

أنكح ضرار بن عمرو ابنته من سعيد بن زرَّارة فلما أهداها إليه، قال لها : يا بنية امسكى عليه الفضلتين.

قالت : وما الفضلتين ؟

قال : فضل الكلام، وفضل الغلمة.

وحدث بعضهم فقال : الرفق فى كل شىء حسن، إلا فى أكل الرمان، والبطيخ، والجماع.

وحدَّث محمد بن العباس بإسناد له قال :

كان عمر بن الخطاب يكره أن يقعد الرجل مقعد المرأة حتى تبرد، وإذ قد ذكر جملاً من آدب الباءةواختصرنا ما أمكن جمعه من كلام العلماء، وأخبار الظرفاء، فلنذكر الآن الأدوية التى تمنع الرياح أن تخرج فى حالة النوم، وتستعمل عند الحاجة إلى ذلك.

وهى : بذر الكرفس الرومى، والنّبطى، والأنيسون، وبذر الرَّازيانج اليابس، وبذر الشبت، يؤخذ من أيها كان، وزن درهم واحد، ويسحق ويشرب قبل النوم فإنه يمنع ما ذكرناه ووصفنا .

---

(١) اللخالخ ومفردها اللخاء: هو المسعط سمى بذلك لأنه يكون فى أحد الجانبين من الأنف والمسعط وعاء.

باب
ما يقوى على الباءة

الأسباب التى يكون بها الضعف عن الباءة إذا زالت عن الاعتـدال هـى التـى يكـون منها القوة عليه إذا اعتدلت، والقوة تكون إذا كان المنى حارًا رطبـاً بقـدر معتـدل ولأن تولُّد المنى، فإنما هو فى الأنثيين، فإنه إذا كان مزاجهما يابساً، فإن مقدار المنى وضعف صاحبها عن الباءة لقلته ولأنه بارد جامد ليست له حركة، فإنه ينبغـى أن يكـون غـائراً فى قعر أوعيته فلا يدرُّ ولا يجرى إلى ما يلى ظاهر البدن من تلك الأوعية، ودليل حرارة الأنثيين شدة الشبق، وأن يكون الرجل منجباً أكثر أولاده ذكورة، وسرعة نبات الشـعر على العانة، وكثرته وغلظه، متى اجتمعت فى الأنثيين حرارة ويبوسة كان المنى غليظـاً، وكان الرجل كثير الشبق سريع الاحتلام كثير شعر البشرة إلى الفخذين، وكان صاحبـه مسرعاً إلى الجماع إلا أنه ينقطع سريعاً، وإن حمل على نفسه وأضـرَّ بـه، وإن اجتمعت مع الحرارة رطوبة كان الشعر أكثر، والمنى أغزر، وهذا الصبر على الجماع من صـاحب المزاج الحار اليابس وضرره أقل، وصـاحب هـذه الصفـة ربمـا ضـرَّه الامتنـاع منـه، وإن اجتمعت فى الأنثيين رطوبة مع البرد كان الشعر فى العانة رقيقـاً يسـيراً بطـىء النبـات، وكان صاحبه بطىء الإدراك بطىء الشبق، وكان أكثر أولاده إناثاً، وإن احتمع برد مـع يبس كان صاحب هذا المزاج مثل حال من غلب على أنثييه البرد والرطوبة إلا أن المنـى يكون أغلظ، وأقل هذه مزاجات الأنثيين.

فالأسباب التى تقوى على الباءة من الأطعمة والأشربة والأدوية على صنفين.

أحدهما : ما يزيد فى مقدار المنى ويحتاج إليها إذا نقص.

والآخر : ما يُسَخنه ويدره ويحتاج إليها إذا قصرت حرارته عن أن يدره حتى يـبرزه من قعر أوعيته إلى ما يلى ظاهر البدن، وإذا كان ذلك كذلك، فقد بان أن الأشياء التى تقطع عن الباءة على صفتين :

منها : ما ينقص منها من المنى ويفنيه.

ومنها : ما يبرده ويخمده، فليس ينبغى لمن احتاج إلى زيادة من الباءة أن يقتصر علـى معرفة ما يزيده فيه دون معرفة ما ينقص منه؛ لأنه إن لم يعرف ما ينقص منه لم يقدر أن

يجتنب، وليس الإنسان إلى استعمال ما ينفعه في باب من الأبواب بأحوج منه إلى تجنب ما يضره في ذلك الباب، لاسيما إذا كان الشيء مما يستعمله الناس في المطاعم والمشارب.

وقد قال بعض الحكماء : الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع، فالمنفعة في الأطعمة التي تولد المنى وتكثره هي ما اجتمعت فيه ثلاث خصال:

أن يكون كثير الغذاء.

وأن يكون فيما يزيده باحثاً.

وأن يكون جوهره ملائماً للمنى.

وذلك أن المنى كثير الفضول؛ أعنى جوهره من نفس الغذاء لم يتولد منه ما يكثر المنى، وطبيعة المنى مركبة من ريح ورطوبة مختلطين كالرغوة، ويدل على ذلك بياضه واجتماعه حين يخرج، وإنحلاله إذا لبث حاراً، وبياضه بياضه عند تفشى الريح الممازجة لتلك الرطوبة، كالرغوة تراها بيضاء مجتمعة وتولدها من رطوبة تخالط ريح، فإذا لبثت حتى ينفش الريح ذهب ذلك البياض بالإجماع، فرجعت الرطوبة إلى الرقة والانحلال، ولولا تولد المنى من رطوبة من نفس الغذاء المستحكم ومن ريح وجب أن يكون الطعام الذى يكثر المنى كثير الغذاء مولداً للرياح، وكلما كان الشيء أقرب إلى الشيء طبيعة كان تولده منها أسهل وأسرع، فلذلك وجب أن يكون الطعام الذى يولد المنى ملائماً في جوهره لطبيعة المنى.

ومن عرف أن الأطعمة تولد المنى، فهو قادر أن يؤلف بين طعامين أو أكثر، إن كان كل واحد منهما لا يبلغ أن يولد المنى.

مثال ذلك: من علم أن الباقلى كثير الرياح، مولد للغذاء الذى إلى البرد ما هو، فقد علم أنه قد اجتمعت فيه خلتان من الخلال الثلاث التى بها يكون الطعام مولداً للمنى وعدم جملة واحدة، وذلك كثير الغذاء مولد للرياح فهو من جهة هاتين الخلتين يذهب مذهب ما يكثر المنى إلا أنه ليس بحار، فهو من هذا الوجه غير ملائم لجوهر المنى، فيحتاج الأكل له أن يدخل عليه ما يكسبه حرارة بقدر ما يحتاج إليه ليكون ملائماً لطبيعة المنى.

والذى يعلم أن الطبيعة التى فى الدَّار؛ فلفل، والزنجبيل، والشفاقل حارة، وليس فيها

ما يولد المنى ويقوى على الباءة.

ومن علم أن البقل حار مولد للرياح إلا أنه قليل الغذاء، فقد علم من طريق ما هو حار مع رطوبته، ومن طريق أنه مولد للرياح، فقد ذهب مذهب ما يولد المنى، ويقصر به عن ذلك؛ لأنه ليس بكثير الغذاء، فإذا خلط مع ما له غذاء كثيراً، مثل اللحم الحولى، وما فوقه اجتمعت فيه الخلال الثلاث التى يحتاج إليها لتولد المنى وكذلك الحلتيث.

ومن علم أن حب الصنوبر حار لذيذ كثير الغذاء ليس بمولد للرياح، فهو يعلم من طريق حرارته ولذاذته أنه يذهب مذهب ما يكثر المنى لأنه يقصر به عن ذلك، وكان يفرق للأشياء المولدة للرياح من غير أن يكون بضار يتولد المنى بجهة من الجهات، مثل عقيد العنب، فإذا شرب منه شيء وأكل بعده وقبله ثمر الصنوبر، تولد منه غذاء يكثر المنى، وكذلك فى صفرة البيض الرقيقة، ومخ العظام، وأدمغة العصافير، فإن كل دماغ رطب يولد ذلك إلا أنه بارد مع رطوبته والعصفور طائر حار ولدماغه جملة من الحرارة التى فى بدنه وحصّة تساوى بها حرارة ما هو أقل برداً منه.

ومن علم أن الحمص قد اجتمعت فيه الخلال الثلاث أعنى به كثير الغذاء مولد للرياح حار رطب، وقد علم أنه كان فى تولد المنى لا يحتاج أن يختلط به غيره، يريد فى المنى، ومزاجه على انفراد قريب من هريسة الحنطة، ولاسيما إذا خالطها مخ العظام.

فهذه جملة من القول على الأطعمة التى تعين على الباءة.

إما أن تدره بحرارته وتبرده، مما يلى باطن البدن إلى ما يلى ظاهره منهما.

فإما أنه يخالط الغذاء الذى يتناوله الإنسان، فيتولد بينهما ما تجتمع هذه الخصال الثلاث، وكذلك حال الأدوية المعينة على الباءه .

العقاقير المعينه على الباءة :

بزر الأنجرة، أنيسون، توريد، لسان العصافير، الزعفران، القنبيط الحلو، الحرف، بزر الكتان، المغاث، كُلَى السقنقور، خُصَى الثعلب، الدارفلفل، الفودرك، العاقر، قرحا البهمنين، اللّعبة، الخولنجان، شحْم الأسد، خُصَى حمار وحشي، قضيب العجل،

الفلفل، الحلتيت، لبّ حب القطن، الماء الذى يُطفأ بـه الحديـد، الحسَّـك، بـزر الرطبـة، حب الرشاد، الباذرنبو .

الأغذية المعينة على الباءة :

البصل البلينـوس، الجرجـير، الحمـص الـبرى، الهليـون، جـوز الصُّنوبـر، حـبّ الزَّلم، النارجيل، حب الفلفـل، صفـرة البيـض، أدمغـة العصافـير، اللـبن الحليـب، الحَنْدقوقـى، اللوبيا، السَّميد، لحم الحملان، الفراخ، بيض الشفانين، البط، الهرايس، العسل، السـمن، الروبيان، الربيثا.

ومن الخواص :

قضيب الذئب: إذا شُوى فى الفرن، وقطعت منه قطعة، ومضغت، هيجت الباءة.

مرارة الدب: إذا أخذها الرجل، وربطها على فخذه الأيمن عنـد النـوم جـامع جماعـاً كثيراً من حيث لا يضره، ويؤخذ مقدار حُمَّصَةٍ مـن مـرارة دب، فيـذاب بمقـدار تسـع أواقى خل ويشرب، يهيج الجماع ويزيد فيه.

ذيل الثعلب: يسحق ويذاب بدهن ورد، ويطلى به الإحليل في وقت الجماع، فـيزيد فى الباءة والشهوة، ويعين على الحبل.

أسنان التمساح: إذا أخذت من الجانب الأيمن من فيه، وعلّقها الرجـل علـى عضـده الأيمن حرَّك الجماع حركة قوية.

ذكر ثور مستفحل: يجـذب ويؤخـذ منه شـىء يسـير، فيسـحق ويلقـى عليـه بيضـة نيمبرشت، ويتحسَّى؛ يهيج الجماع، ويزيد فى الباءة.

خُصَى الثعلب اليمنى: تجفف ويسقى منها وزن درهم بماء تمر الصرَّفان مقدار كأس، يزيد فى الباءة، ويسخن الكلى.

لحم الضب وشحمه: إذا أخـذ وطبـخ وأخـذ دسمـه، فخلـط معـه زنبـق، فطلـى بـه الإحليل، كثر الجماع.

قلب الهدهد: يجفف ويشرب، ويطلى به الإحليل يزيد فى الباءة.

لحم الزرازير: يطبخ ويؤكل يزيد فى الباءة.

خصى الديك ودماغه: يحركان شهوة الجماع .

قضيب الأوز وخصيته: إذا أخذ وأكل بزيت زاد فى الجماع.

شحم الكروان ولحمه: إذا أكلا زاد فى الباءة.

لحى الجرذون: يؤخذ ويعلق على عضد الإنسان الأيمن، يزيد فى الباءة، ويحرك شهوة الجماع.

خرز الجرذون البحرى: إذا أخذت من ظهره الوسطى مما يقرب من الكليتين، فعلقهما الرجل على صلبه فى وقت الجماع، زادت فى شهوته.

خصية الجرذون اليسرى: إذا جففت، وشرب منها وزن قيراط بماء حمص أسود مغلى، مع كأس شراب وأستار من سمن بقر أدر المنى، وحرك الجماع، وأسخن الكلى وزاد فى الباءة.

طرف ذنب الثعلب: إذا أخذ وأحرق وشرب بنبيذ، قوى شهوة الباءة.

مرارة النمر: إذا أمسكها الرجل بيده زادت شهوته جداً، وكذلك مرارة الثور.

دماغ الخُشَّاف: يمسح به أسفل القدم يزيد فى الباءة.

من أخذ لسان غراب أسود، وجعل معه شيئاً من أصول السوس، ثم جعله فى قصبة فضة، وعلقه على عضده الأيمن، أمن من أن يُسحر عند الجماع، وبلغ حاجته من النساء.

ومن أخذ ذنب أيل فأحرقه بجلده وعظمه، ودق رماده، ونخله وعجنه بشراب شديد، ثم طلى به على أنثييه، بلغ من الجماع حاجته، ولا يزال يجامع ما دام ذلك على مذاكيره، فإذا غسله انقطع.

الأدوية التى تولد انتشار القضيب وتصلبه وتمنع من النيام :

بذر السنذاب، بذر الحندقوقى، بذر الخردل الأحمر، بذر الأنجرة، ظلف المعزى، عكر الزيت القطران، العتيق، النّوى المحرق، القرطم البرى، أصل شجرة الجاوشير، صمغ السَّذاب، يؤخذ من أيها شئت مثقال، وتحتال فيه على الإنسان، وتطرح له فى الماء الذى يستنجى به، أو يرش فى سراويله الذى يلبسه، ويستعمل ذلك فى كل جمعة مرة، ويعاد مادامت الحاجة داعية إليه .

الأدوية التى تبقى الإحليل على حالته لا يضعف عن حركة الجماع ويكون متوتراً :

قشور الأترج اليابس، بعر الضب، جلد القنفذ، جلد السلحفاة البحرية، محرقة دم الحلزون، نوى مشمش بغير داخله، شابانك يابس، قردمانا محرق، تكباس محرق، يؤخذ من أيها شئت مثقال، ويدق ويسحق، ويعجن بدهن زنبق خالص، ويطلى به الاحليل شهراً دائماً فى كل يوم، فإذا انقضى الشهر استعمل الدواء الثانى، فإذا انقضى الشهر استعمل الدواء الثالث من أول الأدوية إلى أن ينتهى إلى آخرها، ثم يرفع أولها أبداً فإنه يكون ماوصفنا .

وإذ قد أوضحنا العلة فى القوة على الجماع من جهة مزاج البدن، فلنذكر الآن بعد الأسباب الحسية المنشطة له، والأفعال التى تعرض منها الشهوة، إذ كل واحد من النظر والسمع أحد الأعوان عليه.

قال الملك لبرجان وحباحب: أخبرانى ما رأس الشهوة ؟

قالتا : النظر لذى العين، واللمس والصوت للمحجوب، إذا كان تركيب طباعهما صحيحاً.

ويدل على ذلك قول بشار بن برد :

يا قوم أذنى لبعض الناس عاشقةٌ والأذن تعشق قبل العين أحياناً

وقال علماء الباءة : من أراد أن يكثر نيكه، فليكثر طروقه الحرائر من النساء، والسرارى، وليكن صبَّاراً عليهن وليختر ذات البزَّة، والحلى الفائق، المديمات للطيب.

وأنشد بعضهم :

وللعين ملهى فى البلاد ولم يقدْ هوى النفس شيئاً كاقتياد الظرائف

وقيل لبرجان وحُباحب: ما السبب الذى يهيج له الباءة؟

قالتا : عناق وخلق شجىّ، وحسن حديث من وجه جميل.

وقال غيرهما: إن مما يزيد فى الهمة طيب النفس بالمذاكرة والمطارحة، والمعوَّل عليه أن يكون القلب مسروراً فارغاً.

قالوا : ومما يقوى على الجماع؛ إدمان ركوب الخيل، وذلك أن كثرة الحركة، واحتكاك الأعضاء، وعصر بعضها بعضاً تسخن وتجذب أعضاء المنى رطوبة مفرطة، وحرارة، فلا يلزمها تعب لسبب ما ذكرنا من إسخانها وفرط رطوبتها وحرارتها، وأيضاً فإن المواد التى فى البدن عند الحركة المعتدلة بالركوب تنهضم، وتسخن الأعضاء التى فى الجوف، وكذلك الرِّجلان بأن حرارتها تزعج أعضاء المنى وأوعيته وتسخنهما، والهضم أيضاً يكثر المنى.

قال : وسبيل الرجل أن يورع نفسه ما استطاع ووجد إلى ذلك سبيلاً، وليجتنب التعب، والنصب، والهم والحزن، وليكن طعامه الدسم والحلو، وأكله باقتصاد، ولا يرتفع إلى كيله طعامه من الشبع، ولا يتخطى إلى غرث الطوى، وليقلل من الشراب، وليغسل رجله فى الشتاء فى كل ليلة بماء حار، ويمسح أسفل قدميه بالأدهان الطيبة، وليكن جلوسه على الطنافس، والأنماط.

فإذا قامت الجارية لتسقيه الماء فلتقم ببزة حسنة حلوة وهيئة جميلة، وليدلك حلمتا ثدييها وناصيتها بأصابعه وليمددها، ولتكن القمص والسراويلات التى تلبسها سابغات.

وقد يوجد فى بعض الناس من لا تنهض شهوته للجماع إلا بالنظر إلى غيره وهو يفعل.

وقد حكى: أن جماعة من الملوك والسوقة لا يستطيعون مجامعة جواريهم إلا بعد نظرهم إلى من يجامع، حتى أن بعضهم ربما أظهر تغضباً على الجارية؛ لئلا تتوهم صغر منزلته عندها فى أمره الغلام بنيكها.

وقد تكلم الفيلسوف على علة ذلك فزعم أن استعمال الجماع خلتين :

شهوة بشبق، ولذة تتبع الشهوة.

والشهوة منها طبيعية، ومنها لازمة ضرورية، ومنها باختيار اللذة التى تلزم الرجال الذين تمتد فيهم شهوة الجماع على الاستقامة، فهم يستعملونه على العادة الطبيعية.

فأما الذين يجامعون باختيار لطلب ما يلقون من اللذة، فإن جماعهم يكون غير طبيعى، فمن أجل ذلك لما لم يقدروا عليه عند ذكره، ولم ينتشروا لفعله؛ احتالوا بأنواع الحيل فيه؛ ليستدعوا الشهوة.

فمنهم: من يكتفى بالحديث، والكلام والمزاح.

ومنهم منه لا يقنعه ذلك، فيزيد عليه النظر إلى الوجه الحسن، أو يستدعى الأشياء الملائمة الداعية إلى ذلك، ومنهم من يكون ضعيفاً عن العمل، فلا يقنعه ما وصفنا من أسباب الحيل، ويستدعى ذلك بأن ينال قبلا، ثم ينكح هو من بعد ذلك عند انتباه الشهوة، لاسيما إن اعتادوا ذلك من صباهم أو عوّدهم ذلك من نكحهم، لأن العادة شبه الطبيعة، وخاصة إن كان الصبى مسترخياً مؤنثاً.

وحكى: عن بعض الناس أنه كان إذا أراد مجامعة بعض جواريه دعا بعض غلمانه، وأمره بنيكها إلى أن تتحرك شهوته، فإذا تحركت أنزله وعلاها.

قال : وأحضر يوماً جارية وأمر غلامه أن ينيكها، فلما علاها الغلام وجد له شهوة عجيبة، فصاح به ليقوم عنها، وقد قام أيره.

فقالت الجارية: يا مولاى أنت فى حرج إن لم تدعه حتى يفرغ، فإنى خائفة عليه إن لم يفعل أن يموت.

قال لها: لعلك أنت تموتين.

فقالت: هو أحدنا، فاختر أينا شئت، فضحك منها وأمسك عن الغلام حتى فرغ، ثم زوجها منه، والأخيار فى ذلك كثيرة .

فأما ما يحرك شهوة الرجل من المرأة فتحريكها عجيزتها، ووميضها بعينيها، وثلاثغها فى كلامها، وترجيعها بظهر كفها حتى تضرب بها صدر الرجل.

ومما يحرك أيضاً شهوة الرجل: ضخم عجيزتها، واستدارتها، وبياض سـ ـيهـ وامتلائهما، وصغر قدميها، ورخوصة لحمها، ونهود ثدييها، وصلابتها، ودقة خصرها، وطول فرعها.

وأما المرأة : فإنها إذا أبصرت الأير، اختلج حرُّها، فإذا جسته من تحت الثياب استرخت مفاصلها، وإذا أخذته بيدها، تفتقت شفاشكها من داخل رحمها.

وروى عن النبى ﷺ **أنه قال** : **((ما خلا رجل بامرأة إلا نادى كل شعرة منه بكل شعرة منها، وكما يحرك الرجل النظر كذلك المرأة))**.

وحكى: أن رجلاً تزوج جارية حسناء بكراً ذات عقل وحياء، فلما دخلت عليه امتنعت عليه، ودافعته عن نفسها فزاولها بكل ضرب فلم تجبه، فاحتال بأن أدخل عليها أزواجاً من الحمام ذات هدير وصور حسنة، وجعلها نصب عينها تنظر إليهن، فكانت إذا رأت صنعهن، فكرت فى فعلهن، وتحركت الطبيعة حتى صار أوفق المجالس لها الدنو منهن.

فإن الحواس لا تؤدى إلى النفس من قبل سمع أو بصر أو ذوق أو مجسة إلا تحرك من العقل فى قبول ذلك ورده.

والاحتيال فى إصابته أو دفعه أو الكراهة والسرور بقدر ما تحرك النفس منه.

وحدث أبو طالب بن البهلول: بإسناد له طويل يرفعه إلى خالد بن معدان، قال: من أكثر من تلاوة القرآن كثر جماعه.

وحدّث أبو بكر النقاش: يرفعه إلى الحسن عليه السلام أنه سئل عن الرجل يذكر امرأة غيره فينعظ؟

قال : أو يكون ذلك؟

قيل : نعم .

قال : لابأس به يترنّخ للنعظ فى الحمام.

ودواه أن يأخذ من ذنب الديك الريشة الطاووسية، قبل أن تنزل ويقطع طاقةً من أصل سذاب نبطية من بستان، مما يلى ظهرك ثم تجمعها جمعاً، وتدخل الحمام وقد رفعت ثيابك على يدك اليسرى، ولا تلتفت حتى تضعها فى المثعب[1] الذى يخرج منه الماء، ثم انزع ثيابك وأنت تقول على المثعب نحو الكلام والنار بما يريه الرّيان والسبع المثان أجب من أجابنا، ثم تأمر أن يحمى الماء ثم يغتسل، فإنه لا يغتسل منه إنسان إلا أنعظ فإن أردت حلّه فأخرجه والسلام .

(١) المثْعَبُ : سطح الحوض .

باب
معجونات الباءة

الأشياء المستعملة لكثرة الجماع والزيادة فيه ثلاثة :

أحدها : الأدوية، وهى أقوى وأبلغ من الأخرى .

والثانية : الأغذية، وهى أقوى من الثالثة وأضعف من الأولى.

الثالثة : الأطلية وهى أضعف الثلاث .

فأما الأدوية : فقد ذكرناها بالاختصار فى باب قبل هذا من الكتاب، ونحن نذكر ها هنا المركبة.

فأما الأغذية : فقد أوردناها فى الباب المتقدم من هذا الكتاب.

وأما الأطلية : فقد أفردنا لها باباً يلى هذا.

معجون هرمس الملك : وهذا المعجون يزيد فى المنى، ويقوى الشهوة ويصلب الذكر، فإذا أخذ الإنسان منه مثقالين بماء البصل، وصفرة البيض ودوام ذلك ثلاثة أيام؛ جامع فى كل ليلة دفعات كثيرة بلذة وصلابة فى الذكر، وشهوة تامة بغير انكسار.

وأن من أدمن أخذه ثلاثة أسابيع انتشر انتشاراً شديداً حتى يكاد الذكر ينشق.

ومن أراد القصد فى الجماع أخذ منه كندراً، ومصطكى، ثلثى مثقال، فمضغه ساعة، ثم أوى إلى فراشه من غير أن يصيب قدماه الأرض، ويجعل فى أذنه قطنة عند مضغه الكندر، ويشتم رائحة طيبة، فإذا قضى من الجماع وطره، وأحب أن يقطعه رش على رأسه شراب، أو يتحمل منه.

أخر : يأخذ عفص غير مثقوب أوقية، ومن ورق العليق، أوقيتين، ومن ورق الآس، أوقيتين، يطبخ ذلك ويستعمل.

أخر : يؤخذ أوقيتين ناردين، ومثله ورد، ومثله سليخة، وأوقية شب رطب، يُحَل ذلك كله بالمطبوخ ويلطخ به الموضع قبل الجماع.

أخر: يؤخذ شاهبلوط أوقيتين، ومثله عفص، ومثله شب يمانى، وأوقية عاقرقرّحا، ومثله فلفل أبيض، يدق ذلك كله، وينخل، ويعجن بدهن ورد، حتى يصير فى قوام العسل، ويلطخ به الموضع قبل الوقت .

الأدوية التى تحبب النساء إلى الرجال، وهو اثنا عشر :

البسد، المزرنجوش، البسباسة، الصعتر البرى، الورد، قشور الرمان، **قشور الأترج،** قشور الكرفس، والترمس، قشور الكندر، والقنطوريون، والإذخر الحَرمى، **يؤخذ منها** مثقال، **فيعجن** بألبان، وتتحمله المرأة بصوفة بالنهار وتخرجه بالليل، وهذه **الأدوية فيها** سبع منافع :

تقوى أشفار الرحم، وتحمى طريق الإحليل، وتطيب رائحة الحرّ، **وتضيق عنق** الرحم، وتحميه ما يسرع الإنزال من الرجل بكثرة إنزال المرأة، **وبكثرة ذلك ما يلتذ به** الرجل بصغر الثديين، لأن المواد تنجذب منه بتغمز الغدد التى فى جوانب الرحم، وتدسمه حتى يلتذ الرجل بوطأته، كما أن النساء يحببن الأيور الغلاظ، **كذلك الرجال** يحبون من النساء ضيق الأحراج والحرارة.

ومما يضيق الاحراج : عصارة الخرنوب الرطب، والصمغ، **والقرطة، والشب اليمانى** تدلك المرأة بذلك متاعها دلكاً شديداً، وتمكث ساعة، **فإنه يقبضه.**

وأبلغ من ذلك : أن تعمد إلى رامك، وسُلبّ، ومسك، وكرذمانة، **فيسحق ويغسل** به الأحراج، بماء بارد، ثم تدلك به.

ومما يضيقه أيضاً : الأفسين، العفص، الجلنار، الروسختج، الريحان، **القيصوم، أصول** السوسن، الدار شيشعان، الحماما، صمغ البطم، يؤخذ من أيها شئت درهمين، **يعجن** بالزيت وتتحمل به المرأة سبعة أيام متواليات، فإنه يضيق النساء الواسعات **من الولادة،** ومن كثرة الجماع.

ومما جُرب لضيق فروج النساء : يؤخذ إثمد، وعفص من كل واحد جزء، **يسحق ذلك** ويصب عليه شيء من طلاً، ويذاب، وتمسح به الجارية فرجها، **ثم تأخذ شباً يمانياً فتنقعه فيه،** وتلته به لتاً جيداً وتحركه حتى يذوب فيه، **ثم تعمد إلى خرقه كتان صفيقة، فتغمسها فيه،** وتتركها يوماً وليلة حتى يشرب ذلك، **ثم تخرجها ولا تعصرها وتجففها فى الظل، فإذا جفت أخذت جزءاً من عفص، وجزء من قشور الرمان مدقوقين منخولين، فتنقع ذلك فى التوتيا، حتى إذا اختلط غمست فيه الخرقة وتركته يوماً وليلة حتى ينشف ذلك كله من تجفيفها كما فعلت أولاً، فإذا توضأت استدخلت بعض تلك الخرقة ساعة كلما توضأت فاستدخلت بعضها فإنها تكون كالعذراء، سراً .**

ومن الأدوية التي ترد العذرة وتشبه الرواجع بالأبكار :

مخ عظام الإبل، الشابانك اليابس، السرطان البحرى مُحَّرق، **مرارة السلحفاة يابسة**، القندهار الدادى، جلد القنفذ، يؤخذ من أيها كان **درهم واحد يعجن بماء البصل** ويطلى به على صوفةٍ وتتحمل المرأة منه وقت نومها وإلى الغداة **أربع عشرة مرة، فإنه تثبت** عذرتها .

آخر : يجعل الثيب كالبكر، يؤخذ؛ شب، وعفص، وسُعْدَ، **وفقّاح الأذخر، ودقّ** السُّوس بالسوية، يسحق وينخل ويطبخ بالماء، ويحبس أياماً، **فإذا اشتد تكميشه، أخذت قطعة مصران** فرجٍ خفيفة وجعلت فيها دم فرخ، **وتحملت به في وقت الحاجة .**

باب
الاعتدال فى الباءة

الأصلح لمن أراد الاعتدال فى الجماع: أن يستعمل إذا كثر شبقه فاشتدت شهوته وأحس قبل ذلك فى بدنه بثقل ودغدغة، فإنه إذا فعل ذلك فى هذا الوقت خفَّ عليه بدنه ونشط واعتدل وضخم.

وقال سهل بن هارون : من ناك مقتصداً؛ دامت سلامته لا يقطع النيك إلا كل منهم.

وذكر عند سهل بن هارون حال من يريد أن يكون عند المرأة أنكح الناس.

قال : لا ينضفى، ولا ينقطع كما من ناك لنفسه وشهوته، وإنما ينضفى وينقطع من ناكه ليبلغ أقصى غايته لذة المرأة، وليعتقد أنه أنكح الناس. فإذا ناك للرياء والسمعة والطرمذة؛ ليكون بذلك مذكوراً فحينئذ يختل وينضفى وينقطع.

وأنشد بعضهم :

من ناك للذكر أصفى قبل مدته ... والنفس تطلب شيئاً غير موجود

والسبب فى أن من لم يكن شبقاً لا ينبغى أن يجامع هو، أما الذى يكون هائجاً مشتاقاً إلى الجماع يخرج منه إذا جامع على قلته من فرط المنى وكثرته وما يضر به جنس مثله فى بدنه.

فأما إذا كان البدن مستغنياً عن إخراج شىء مما فيه، فإنما يخرج بالجماع ما كان ملائماً له نافعاً كونه فيه، فمتى كان إلى اللذة أمثل، وهو يجب معها فى الإبقاء على الصحة، فليكن ذلك عند علمه بأنه لا يجد بعقبه ضعفاً، ولا ذبول نفس، ولا أن يبطئ إنزاله، فإنه متى حاول هذا المقدار، فقد ترك الإبقاء على نفسه، والحفظ لها واضطر إلى أن يستدرك ما فرط منه؛ لأن النطفة إحدى الفضالات التى تشتاق الطبيعة إلى نقصها، إذ هى كثرت، واحتدت، فمتى جاءت بسهولة ومن تلقاء نفسها خفَّ ذلك على البدن، واحتملته الطبيعة، وانتفع به، وكان دليلاً على استغناء الطبيعة عنه، وتسمحها به.

وما حل بعسر، ونكد، وعلاج شديد، فإن احتمال البدن لخروجه، وشقَّ ذلك لفقر الطبيعة، وشحها وضنها به.

والذى يُختار من الأوقات للجماع : أن يكون البدن قد اغتذى بما هضمه، وخف حركاته، ونشاطه، فهذه الحال تكون فى الأكثر بعد النوم الأطول، فمن كانت قوته ثابتة، لا يحتاج بعد الجماع إلى النوم لسكون ضعفه، ورجوع قوته، هذا الوقت أصلح الأوقات له، ومن احتاج بعده إلى نوم كان ممن يكثر الباءة، ويسرف فيه، فإنه لا ينبغى أن يكون ذلك فى هذا الوقت، لأنه لا يحتاج أن ينام بعده نوماً معتدلاً.

وينبغى لكل أحد أن يقل منه فى الصيف والخريف، وفى وقت فساد الهواء، والوباء، والأمراض الباردة، وبعقب إسهال وإخراج دم وعرق مفرط.

وينبغى لمن أراد الإبقاء على الصحة : أن لا يجامع على الامتلاء من الطعام والشراب، ولا فى حال السكر، ولا على الخمار، لأنه يملأ الرأس بخاراً دخانياً، ولا على الجوع والعطش، ولا بعقب السهر الطويل، والهم الشديد، فإن الإكثار منه فى هذه الحال، وفى سائر ما ذكرناه تسقط القوة، ولا فى حالة الفرح المفرط جداً ؛ فإنه يكثر التحليل من البدن حتى يحدث منه الغشى.

والسبب فى ذلك: أن الجماع قبل الطعام أنفع منه على الامتلاء، وهو أن عند الامتلاء تكون أوعية المنى ضيقة ؛ فيصعب خروجه من هناك، كما يظهر من حال المثانة أنها متى كانت ممتلئة لم يتهيأ الإنسان سرعة وسهولة، فإذا كان البدن خالياً خفيفاً، كانت أوعية المنى مفتوحة واسعة المجارى، فيسهل ذاك الجماع.

وبالجملة : فينبغى أن يكون فى أعدل أوقات وأقواها، وحين لا يحس الإنسان بحرارة وحِدَّة خارجة عن الاعتدال، ولا ببرد مفرط.

ولا ينبغى أيضاً أن يكون بعقب الحمام، ولا أن يشرب منه بعقب الإكثار منه الشراب الصرف القوى .

وقد تختلف العوارض التى تعرض من هذه الأسباب بحسب اختلاف أمزجة الناس إلا أن الإكثار من الجماع بعقب الرياضة والتعب، والجوع الشديد، والعطش المفرط بذوى الأمزجة اليابسة أضرُّ منه بذوى المزاجات الرطبة .

فصل

أوقات الجماع

روى أبو مُزَاحم الخاقاني:

عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : يكره الجماع ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بين غيبوبة الشمس إلى غيبوبة الشفق، وكره أيضاً في الليالي التي تنكسف فيها القمر، وفي اليوم مع الليلة التي تكون فيها الريح السوداء، والحمراء والغبراء .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : ((يوم السبت: يوم حرب ومكيدة، ويوم الأحد: يوم عرس وبناء، ويوم الاثنين: يوم دخول على السلاطين، ورفع الحوائج، ويوم الثلاثاء: يوم حرب وسفك دماء، ويوم الأربعاء: يوم الأخذ والعطاء، ويوم الخميس: يوم سفر وطلب رزق، ويوم الجمعة: يوم خطبة ونكاح)).

فأما الكلدانيون، يعني النبط: فإنهم ذكروا في كتابهم في الصورة : أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ بيتاً في مسكنه، يكون مقبرة لطلب الولد من مجامعة النساء، وليكن نظيفاً مبيض الحيطان، مطبق الأرض بطوابيق من الرخام، أو من طين مطبوخ بعد أن يكون صحاحاً نظافاً، ويعمد الرجل إلى قارورة فيها رطل ماء ورد جيد، ويلقى عليه شيئاً من مسك، وشيئاً من كافور ويخلطهما حتى يذوبا، ويرش في الأرض من ذلك البيت، وعلى ما قرب من الأرض من حيطانه، ليطيب رائحة البيت، ثم يبخره في الوقت بالعود الجيد المطراد النادر، ويغلق الباب حتى يصير غايةً في طيب الريح، ويكثر في طيبه من العنبر خاصة، والمسك، ويقلل الكافور ويترك الزعفران فلا يدخله في شيء من طيبه، فإن كان أراد أن يُولَدُ له ابن، أو ابنة جَمِيلَى الصورة فليعمد إذا كان الطالع الثور، أو الميزان، أو الحوت، والقمر متصل بالزهرة، أو مقارناً لها، فإن لم يكن ذلك، فليكن للزهرة والمشترى في الأصل، وليصور صورة على حائط البيت، أو في ورقة كاغدٍ كبيرة جيدة، فإن أراد أن يكون الحمل ذكراً جعل الصورة، صورة ذكر، وإن أراد أنثى جعلها صورة أنثى على أحسن ما يكون من الصورة، وأجود صنعة الصور في نفسه، ويستشعر أنه يريد أن يصور أحسن صورة تكون، وأجملها، فإذا فرغ منها عمل لها بالأصباغ ثوباًجميلاً، إما على هيئة الوشي أو الديباج المليح، فإذا كمل ذلك فليعمد الرجل أن يكون المطّالع أحد الثلاث بروج التي قدمنا ذكرها، والقمر مقارن، أو متصل

بالزهرة، ثم يجامع المرأة فى ذلك البيت وليبدأ قبل جماعها بتأمل الصورة تأملاً حسناً، ويتفقد ما أمكنه، واستطاع فى ذلك الوقت، وأن تنظر المرأة أيضاً إلى الصورة، فإن الولد يخرج مشاكلاً لتلك الصورة، فإن أراد الرجل أن يولد له ولد، سوى الصورة شديدة القوة والبطش، شجاع مقدام، فلينظر إذا كان الطالع برج الحمل، أو الأسد، أو القوس، أو العقرب، والقمر متصل بالمريخ من التسديس، وليعمل صورة من مس، إما صب، وإما ضرب، وليجعل بيده رمحاً، أو سيفاً، أو حربة، أو أى نوع من السلاح شاء، وليتعمد فى وقت كون المجامعة؛ أن يكون الطالع أحد الأربعة البروج التى ذكرناها، وأن يكون الطالع ينظر إلى المريخ، والمريخ مشرق سليم من النحوس، والرجوع، والاحتراق، والقمر متصل به، وتكون الصورة المعمولة من المسّ بحيث يراها هو، والمرأة، ثم يجامعها مجامعة طالب الولد، يفعل ذلك حسب العادة، وليعاود إلى أن تحمل المرأة، وليكن القمر فى برج مذكور، والمريخ فى برج كذلك، وربما كان الجيد فيه، ألا يطلع برج العقرب، حتى يكون الطالع أحد البروج المذكورة.

فإن أراد مريداً أن يكون له أولاداً ذكورةً، أو أحب أن يولد له ذكر، فليكن فى وقت مجامعة المرأة الطالع برجاً مذكراً، والنيرين جميعاً فى برجين مذكرين، وبين الشمس، وزحل نظر من تثليث أوتسديس ويكون نظرهما فى وقت الجماع إلى صورة ذكر.

وكان بعض علمائهم يرى أن ينظر الإنسان وقت الجماع إلى ذكر حمار، أو بغل قد قطعا، ونظفا وطيبا، وإذا دخل الرجل إلى ذلك البيت فى الوقت الذى ذكرناه من الطالع، ومواقع الكواكب نظر إلى الصورة، وإلى ذكر الحمار ومن كره النظر إلى ذكر الحمار أو البغل على الحقيقة، فليعمل مثلاً كذلك مما شاء من الجواهر، أو الخشب، فيأخذه الرجل بيده، ويجامع المرأة مع نظره إلى الصورة فى الوقت الذى حددناه من اختيار هيئة الفلك.

ومن أحبَّ أن يولد له ولد طويل العمر صحيح البدن فليعمل صورة رجل من حجر على أى قدر أحب، فإن لم يتفق ذلك فليأخذ لوحاً من حجر، فينقش عليه نقشاً ناتياً بارزاً عن وجه الجادة، فإنه يقوم مقام التمثال، ومن أراد أن يستقصى المعالى والمعانى فلينظر فى كتابهم هذا فإنه يجدها على التمام[1].

---

(١) وهذا كله من باب التخاريف والسحر، وأعمال الشياطين والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى .

باب
الأحوال التى يستطاب فيها النكاح

وهى ثلاثة أحوال توافق الرجال مجامعتهن فيها :

أولها : فُضِّل على سائر الأوقات:

فمنها : أن يجامع المرأة إذا حُمَّتْ فى ابتداء الحمى، وهو أيضاً موافق للمرأة .

قال علماء الباءة : إن أوفق الأشياء الإدمان للنيك، عند سقم المرأة، فإن فيه صلاحاً لأجسامهن، ومداواة لها، وهو أشد لهن ملائمة من الحقن، وإخلاطه للأدوية المشفيه.

ومنها : أن يجامع المرأة إذا فزعت لأمر قد همها، وارتاعت له، فإنه يسكن ذلك ويزيله.

وحكى : أن الأعرابى، عن القاضى الحسن بن عبد الله أنه قال : إذا أردت أن يخرج ولد المرأة ذكراً فأغضبها، ثم قَعْ عليها، وأنشد فى ذلك :

تسنمها غضبى فجاء مُسَّهدًا وأنقع أولاد الرجال المسَهَّد

يريد قليل النوم.

ومنها : أن يجامع المرأة فى الشهر السادس، من حملها، أو بعد ثلاثة أشهر.

وزعم جالينوس : أن بدن الرحم فى أول حمل المرأة يتندًا، فيسخن بحسب تزيُّده فى العضو، فإذا حضر وقت الولادة صار بدن الرحم طويلاً، دقيقاً لأن ثُخنَهُ إذا تمدد طولا وعرضا ينقص، فأماحالها فى المرأة المتوسطة بين هاذين الوقتين على حسب تَزيُّد عظمه يكون تَزيُّد ثخنه.

وزعم علماء الباءة : أن للمرأة فى ذلك لذة.

قالوا : لأنها كالإنسان الذى قد شبع من الطعام، وقد امتلأ وتناها، ثم أوتى بالطعام الطيب اللطيف النظيف، فهو إن وجد طعماً طيباً، فليس هو الجائع الخميصُ بطناً.

وزعم قوم : أن غاية الأمور وتجربيها أن مجامعة النساء نهاراً لا يكون إلا طيباً لذيذاً شهياً، ويكون الفرج أيضاً نقياً نظيفاً، ولأنها كلما مشت وجاءت وذهبت، احتكَّ بعض ذلك ببعض، فعند ذلك سَخُنَ منها كما يُحدث الحمى من احتكاك الأجرام، وعلى أن المرأة لطول انطباق فرجها بالليل عند النوم يعتريه ما يعترى الأفواه المطبقة من الخلوف، والخموم .

وأيضاً : فإن كثرة التوضأ بالماء القراح، وغسل ما هناك مراراً فى اليوم من أكثر الصلاح، على أن مجامعة المرأة بالليل .

كما قال إبراهيم بن هانئ : أن رجلاً وطئ جاريته زماناً وهو يراها بالنهار، ثم عمى فهو يتوهمها إذا وطئها ليلاً.

وأجلُّ من كلِّ ماذكرنا رؤية محاسنها الملذة، والحركات المهيجة.

فأما الأوقات التى تكون فيها المرأة أحسن:

فقالوا : محاسن الجارية الشابة، تتسهل وترق إذا احتصرت، وأخذت غبطة فى جمال العُكن، و لم يتقدم ذلك مرض.

وذكر يعقوب بن الربيع ذلك[1]: حيث وصف معشوقةً كانت له فى تلك الحال فقال :

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت	**للموت قد ذبلت ذبول النرجسْ**
وتسَّهلت منها محاسن وجهها	**وعلا الأنين تُحْثه بتنفسْ**
قطع الرجاء مطامعى يأسى	**كما قطع الرجاء مطامع المتلمس**

ويقال : إن المرأة إذا كانت عتيقة الحسن، ناعمة البدن، رقيقة اللون، **فإن لونها يكون فى أول النهار إلى الضحى الأكبر، يضرب إلى الصفرة.**

قال الشاعر :

وبيضاء العوارض فى ضحاها	**وصفراء العشية كالعرارة**

والصفرة تعترى البيض لأسباب كثيرة منها : أن البيضاء الناعمة إذا طال تضمخها بالطيب اعتراها لذلك ما يعترى الدُّرة والعاج .

وبيضُ النعام الموصوف به النساء فى الكتاب المنزل، وفى المَثَلِ السائر.

---

(١) يعقوب بن الربيع بن يونس؛ شاعر ظريف، بغدادى، استنفد شعره فى رثاء جارية له، اسمها؛ مُلك وكان الرشيد يأنس به قبل الخلافة . توفى سنة (١٩٠هـ) .

قال امرؤ القيس[1] :

كبكر المعاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير مُحَلَّل

والبكر فى هذا المكان يجوز أن يكون بيضة، ويجوز أن يكون دُرَّه.

قال الله تعالى : ﴿**كأنهن بيض مكنون**﴾ فجعلها بيضاً، وجعلها كأنها ربيتْ فى كنٍّ.

قال أعرابى : يصف صاحبة عطرٍ وزعفران، كالعاج، صفرَّها الإكثار والطيب .

وقال العرْجى[2] :

من كل صفراء مثل الرئم خُرْعُبَة فى ناضع اللون تحت الريط واللين

وزعمت الهند : أن المرأة الحسناء أدق ماتكون محاسناً، وأرق وأعبق صبيحة عُرْسها، وأيام نفاسها، أو فى البطن الثانى من حملها.

ولأعرابى يخاطب امرأته :

أغتبتنى غبَّ الغباء ونافساً وغبَّ الكلال بكل ذلك مُعْجَبِ

قد كنتِ بكرا قبل ذاك قصيرة لايقر حادث ذات حرٌّ كَثْعَبِ

يقول : قد أعتبتنى أن يحسن وجهك مرق لونك.

فهذه الأحوال كلها، وهى الأحوال التى تكون المرأة فيها أطيب **خَلْوَةً، وأدق** محاسناً، وأره لوناً ساعة الكلال والطيب، والنعاس، وعقب الافتضاض، من **رقة اللون**، وعبق المحاسن، وحرِّ الكثعب.

ومنها : أن يجامع المرأة إذا سارت على دابة سيراً طويلاً، ونزلت عنه، **وقد أعيت.**

وقال الحارث بن كلدة، طبيب العرب: إذا أردت أن تحمل منك امرأتك، فمشها فى عَرَصَة الدار عشرة أشواط، فإن رحمها ينزل فلا يكاد يُخلف.

---

(١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى ، شاعر ، جاهلى من أصحاب المعلقات، من أبناء الملوك، توفى قبل الهجرة ، على صاحبها الصلاة والسلام والبيت من معلقته .

(٢) العرجى هو : عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجى ، من شعراء قريش، الذين اشتهروا بالغزل والنسب، وكان مشغوفاً باللهو والصيد، عاش إلى سنة (١٢٠هـ) .

فمن كلف بمعرفة حالات النساء : على أن المرأة أطيب ما تكون ألذ خَلْوةً وأحرُّ حوناً؛ إذا غشيها الرجل بعد طول سيرها على ظهر دابة.

وزعموا : أنها تلقَحُ من الكوم التى يوافق منها إفراط الشهوة، والرجل المجرب لايكاد يخفى عليه انفتاح فم الرحم، والتقامه النطفة لابد أن يكون ذلك الكرم أشها إليها وألذ عندها.

وقالت البصراء بمعرفة الباءة : إن نيك المسارقة لذيذ؛ لأجل إعمال الحيلة فيه، وطلب الاختلاس له، وبرد ذلك على الفؤاد، إذا ظفر به وطالبه.

وأنشد :

ألذ النيك تأخذه سراراً ... بمنع الحب أو خوف الرقيب

وقيل لزياد بن محمد بن زياد : أنفقت فى منزل هذا المفنن خمسة آلاف دينار على جاريته شكر، وأنت تقدر أن تشتريها بخمسائة دينار.

فقال : يا مجانين، فأين تلك المسارقة والمداراة، ولذة الاختلاس للقبل، وأين نيك الدبيب، وأين نيك ما تؤجر عليه، إلى نيك ما تأثم فيه، وأين برد الحلال وفتوره من حرارة الحرام وحركته، وأين قبلة الإشارة من قبلة المباشرة، وأين لذة نيك القيان من لذة نيك المالك، لهن فى موضع القدرة والأمن، وأين عز الظفر عند المسابقة والمناقشة.

وقال أصحاب الباءة : إذا طهرت النفساء وتنظفت مما تجد عند الولادة، فأعجل لها بالنيك، فإنه لبدنها أصلح، ولنفسها أرجع، ولها فيما كابدت وجاهدت فى ولادها أنفع، وفى صحتها أبلغ، وأنجح كما أن الجائع الخالى الجوف السَّغب الصدى عطشاً إنما حياته الماء وبه صلاحه وقوامه، وكذلك المرأة عند تلك الحال تكون صحته وصلاحها وقوام أمرها بالنيك الصلب السائغ الذى تجد له فى مفاصلها وعروقها أفضل اللذة، وهو ولظمئها أروى، ولجوعها أسكن.

وأنشد بعضهم فى نيك حُبْلى :

يقول لما أن علاها وبرك ... قوم مرديكَ فى وسط الفلك

ارفع أعاليكَ وطاطىء أسفلك ... لاتقتلن طفلاً صغيراً ليس لك

نكنى مدينياً وذا الدرهم لك

ولاينبغى للرجل أن يباشر المرأة إلا بعد عشر سنين، فإنها فيما دون ذلك من السن يَضُرُّ إتيانه إياها بها، وبنفسه، ويضعفها كما يضعف عَرْف الدم، وقطع العروق منهن، لم تبلغ اثنى عشر سنة.

فأول كمال الجارية بلوغها بعد المقدار من السن ودخولها ثلاثة عشر سنة، وبعد ذلك تنهد، وتغلظ شفتاها، وأرنبتها، وكلامهما فهى تصلح أن تعشق الرجل من خلف، فيصيب بطنه ظهرها، فإن ذلك ينشطه للنساء، ويديم شبابه إذا احتضنها هو إلى أن تبلغ ثمانية عشر سنة، فهى غاية منية الرجل، ويكمل عند ذلك الخفر والحياء والموافقة إلى ثمانية وخمسين سنة، ثم يكون منها الاسترخاء الظاهر، واللين فى اللحم والجلد، وكثرة الشيب، وشبح الوجه، فإذا بلغت هذا المبلغ من السن انقطع الحيض، وقد يكره نكاح المنقطعة الحيض، لأن ذلك لا يكون إلا من نقص فى البدن، فعند ذلك ينقطع الولد ويكثر الماء، فأما الرجل فإن انقطاع نسله عند ذهاب شعر إبطيه، فإذا هو ذهب انقطع نكاحه ونسله .

باب
وصف الأخذ القبيح والنكاح الشنيع

وصفت ماجنة رجلا ناكها، فقالت : دفع في صدري وطرحني مستلقية، ورفع برجلي في الهواء، وأمرق عليَّ من بين فخذيه شيئاً هائلا كأنه جعبة، رابي الهامة، طويل القامة، شديد الامتلاء والاستقامة، فشرَّع به نحو صُدع حرِّي، كالرمح في يدي حنق، تعمَّد به قتل عدوه، فأدخله عَنْفاً، فوجدت ممره في جوفي، كمرور المجر في يدي نجار، وكالمصقلة يصقل بها الحديد، وسمعت لتربيع حرّي، وتثليثه، وقطريه، وشفريه، واسكتيه؛ لغلظ الأير وضيقه عنه أطيط كأطيط المحمل في ليلة نديه، وكمخض السِّقاء في يدي كردي، شديد الانتحاء، فخاض به في حرِّي خوض المخوض في عس اللبن، يرهز في ذلك ويقذف بمائه في حري، فيربو كما يربو اللبن عند الخوض، فقام عني وقد أفرغ ماؤه في جوفي، كالميزاب يتسلب من مطرٍ جودٍ، وانصرف.

وقال يعقوب :

سمعت امرأة تقول لأخرى : ناكني وا لله فلان بأير كأنه رَدَّ ولدي إلى بطني.

فقالت الأخرى : لكنه ناكني نيك من كان يطلب في حرِّي كنز من كنوز الأكاسرة، **ومن كلام بعض المجان في ذلك :**

قال : فجلست بإزائها وحركت متاعي، فرأت شيئاً كأنه ثعبان منعظا شاميا بجرَّانه، فرمته ببصرها محدقةً، ثم أغضت، وقد انتقع لونها، ثم عادت للنظر فأنعظته حتى غبَّ في غبائه، فاشتد فسرَّ عين الناظر، فطمحتْ حدقتاها وحالتا وترمرمت شفتاها، واختلجتا ونكست المغزل، فاختلط غزلها، ثم تبسمت وأرخت مفاصلها وطفقت تبلع ريقها، فعل الحمارة للحمار الداسر وامتد، وعَبُلَ، واشتد.

فلما رأيت تباشير إلتهاب الشهوة، وأمكنت الفرصة سموت إليها سمو الحباب، وكالأسد الحنق للوتر طلاَّب وقد قام على سنابكه، واستوى على سوقه، فلما انتهيت إليها كالفحل الباذل المدل الهبَّاب دفعت في صدرها، فاستلقت غير متعاسرة، وسد السعيد الحدَّ نحو صدغها، فأدغمه في حرِّها، فلما أوعيتُه فيها وطعنتها به، ظجرت كأنها امرأة تلد، ثم اعتمدتُ عليها بأشد الرهز والغمز وازداد متاعي عُظُما وغلظا،

حتى كاد ينفطر من شدة امتلائه، فأقبلت عليها أحاجرَّها، وأصفق ذبلاتها صفق طبالٍ يتعب بكفيه طبلةً. إذا حنق ضرباً واحتاج طرْباً.

وقالت جارية لبينادخت : إنَّ لى أم متشددة عليّ، وقد عذبنى مايعتادنى من الوجد بالنيك، وفتت كبدى احتراق نيرانه فى جوفى، وأذاب لحمى وبرا عظمى، وولَـهَ قلبـى، الأرق، والمُنى والقلق قرماً إليه، وليس من يرحمنى مما أنا فيه من سكرات حبَ النيك، وعرابده، وبلابله فى صدرى، ومـا يتغشـانى مـن حـرارة اشتعال شـهوته، فإن أذنـت ياسيدتى قتلتى أمى فيخلو لى درعى، وأشفى مـن النيـك، وأكـل ثمرتـه الشـهية الطيبـة، وأشرب بكأسه الروية الباردة على الفؤاد، وأسْكِنُ غليان قلبى وأطفـى توقـد صـدرى، وأقضى منه نهمتى، وأبلغ هواى ونهمتى.

فقالت بينادخت لوالده الجارية : مالك شددت رباط البغلة، وحبستيها راكية علـى قوائمها، خلَّى عنها، واخلعى عذارها، واقطعى رباطهـا، وفكـى عنهـا قيودهـا لتخـبّ، وتجرى، وتتمرغ، وانزعى عن الرَّمكة اللجام، والحكمة المانعة، وامرجيهـا تتبحبـح فـى المروج، وتسير وتركض فى عرَّاصها تتمعك فى رباطها لاتمنعيها فتحزن، وتنكسر فقـد كنت مرةً شابة، وللفتيان طلاَّبـة وعلـى أزواج غـيرى غلاَّبـه، ولـرُّب شـاب طعـن فـى ثلمتك عن اضطراب هيجان غُلمتك طعنانا نـافذا، وأخـذ كتفيـك بيـده وجذبـك إليـه فقرب بين أكتافك ووضعه فيك ممتداً، وأخذ بين رجليك حتى جمع بين طرفيك، وشال على الأرض إليتيك، واعتمد على وركيك، ونـاكك مستلقية، وباركـة، وعلـى جنبـا، وقائمة، ومتوركة، وعلى أيره قاعدة، وعينـاك للحـلاوة شـاخصتا، ورفـع منـك رجـلا ووضع رجلاً، فأولج فيشته فى حـرَّك، وعرقوبـك فـى عنقـه مـرة، ووسـط ظهـره مـرة أخرى، وعلى ذلك حتى يستقصى معرفة غُلمتك، واستعمال حكة حـرِّك عنـد استدار مرور الكمرة فيه، ووجودك للحـلاوة، ودبيـب الشـهوة، حتـى تودِّيـن أن الشـاب ولج بأسره فيك فضلا عـن أيـره، وإن أيـره جـذع مـن جـذوع الرَّواشـين، مدمـج مستدير لتشـهقى وتصهلـى وتنخـرى، وتتلمظـى، وتزفـرى تحتـه، وتـلزى عليـه بـألوان الرهـز، استقبال، وغربلة، وإتعاب، وترَّسُل، ومـع ذلـك الرهـز همهمـة ودعـاء نفسـك بـالويل وتقولين : ياحبيبى قتلتنى، سال بى السيل، وتكثرين من قولك شققت حـرِّى، فككـت

وركى، ثم تتبعين ذلك بأن تقولين هكذا فديتك، ياسيدى فنكنى أيها شفيتنى أصبت موضع الشفاء والمقتل، وما أطيبك، وأطيب أيرك، وأغلظه، وأطوله، وأصلبه، خذه وجره، وأوفره وأحسن منته، وأشد وقعه، ما أشفى وُلُوجه، وألذ خروجه، تريدين بذلك أن يدوم نشاط الفتى، ويكثر رهزه، ويشتفى من نيك حرّك وتَسْكين حكته، ورسيس دبيب الشهوة فيه.

ولقد قالت عميرة بنت الجمارس من أبيات لها فى وصف حالها :

فشمها وضمها ساعة	حتى إذا درَّت درور المراء
ودبَّ فى مفصلها قوله	تمشى السمر مشا فى الرُّقَا
وكسَّرتْ أجفانها مثل ما	رنق فى العينين فذًا بالفلا
جمّع رجليها إلى نحرها	ناظرها طيب التفات للفتى
حتى إذا مادنا طأطأ	فيها الرهز رَهْزًا مُهولاَ

وقال آخر :

تقول عميرة إذا أبصرتْ	أيرى شبيها مثل رأس الحمار
إليك عنى لست بحاجه	بأن أُرَى أضحوكة للجوار
قلت لها قومى على أربع	فإن ذا أهون عند الصرار
فاستعظمت أيرى وقالت	كذى تنح عنى وأقلنى من عثار
فخنقتَها عبرة وانثنت	وكشفت عن مثل قعب النضار
قلت لها ويحك ما الذى	أبرزته من بين ثنى الإزار
قالت حرٌ زينه لينه	له التهاب كالتهاب السعار
فشمت أيرى فى حر ضيق	ململم جهم شديد الختار
ثم تهجمت فحرّقت ما بين	حر الجهم وبين النفار
وولولت تصرخ يا ويلها	ولولة الحجاج عند الجمار
حتى إذا ما وجدت حرها	هرقت فيها قالت الله جار
قلت لها لابأس من عودة	قالت وهل عنك من اصطبار

وناغمتني ساعة مثل ما   يناغم الحاني سلاف العُقَار

ثمت قالت عُدْ له   سيدي بطعنةٍ تتركه في ذمار

فشمتهُ فيها كما شمته   مرة الأولى بغير انكسار

فمزقت لحمي بأسنانها   وكنت ظنا عالما بالغرار

وقال بعض بنات عليَّة الجهني :

إذا غاب فيها الأير قالت قتلتني   أتطلب دخلاً سيدي أنت في حرّي

وما قتلها بالنيك إلا حياتها   وإلا شفاء للحليق المزعفر

وتنهز طوراً ثم تشهق تارة   وتخفت أحيانا كذاك وتفتر

فنكها إذا كانت فتاة حديثة   ودارك عليها الرهز جهدك وأبشر

وطوّل عليها ما استطعت   ولاتني وقدم إذا ماغاب فيها وأخر

وصوّب وصعد ما استطعت   بشدةٍ بأير قيس شبر موفرٌ

فإن كنت ذا ذنب فعش في كرامة   وإن لم تكن ذو حال وإن كنت مفتر

وقال آخر :

الله يعلم يامغيرة أنني   قد دستها دوس الحصان الهيكل

وأخذتها أخذ المقضب شأنه   عجلان يشريها لقوم نُزَّل

وقال آخر :

فأنت لو أبصرتني خاليا   أنيكها عَزْدين في عرّدِ

حسبتني من رقة والداً   أو قلت إن شئت أخا جنْدِ

وقال آخر :

يعجبني الرهز إذا علمته   واحدة لواحدٍ أحبته

تقول لما أعجبها حسانهٔ   يأبتا يا أبتا ماأعنته

لكثعب رابَ قليل نفرته   حين اعتراه ساعة واعترته

وانتفخت منيته وفيشته   فحمدنيه لينه وحَذْبته

وعـــزَّةٍ بعدهمـــا وعبرتــــه وعنـــد وقـــع بعـــد ذاك قُرَّتـــه

كـــالرمح فـــوق المســـتقل طعنتـــه إذا علانـــى واســـتقرت فورتـــه

وقـــد تلاقـــت شـــفتى وشـــفته وأحســـن الدفـــع وعـــادت ضمتـــه

والتقـــت الأحشـــاء وطـــابت نكهتـــه كأنهـــا الـــورد عليهـــا نقشـــته

فالســـحق لاتفلـــح فيـــه ربتـــه حتـــى تـــذوق واســـعا عندرتـــه

كســـاعد البكـــر إذا اســـتدخلته فاســـتظرفت هـــذا وذاك ألفتـــه

فأخذت هذا وذاك ازدرته

وقال آخر :

مـــازال عنهـــا بلســـان ملصـــق بـــالجد والبـــاطل والتملـــق

وقولـــه الشـــىء الـــذى لم يخلـــق حتـــى أتقيـــه بخميـــس فيلـــق

ثـــم علاهـــا بمـــدق مفتـــق يجـــوب منهـــا مثـــل جـــوب السملق

يـــنزل فيهـــا تـــارة ويرتقـــى يقـــول أحيـــا اســـتها ترفقـــى

يفتقه الحرّ بكفٍّ المشبق

ولقى الفرزدق[1] جارية لبنى نهشل، وهى فى المرعى فوثب عليها ونكحها.

وقال ذلك :

أولجـــت فيهـــا كـــذراع البكـــر مدَلـــك الـــراس شـــديد الدَّســـرِ

زاد علـــى شـــبر ونصـــف شـــبر كأنمـــا أولجتـــه فـــى جمـــر

يُطـــيِّرُ عنهـــا مـــاعلا مـــن شـــعر مثـــل شـــعور النّـــاس يـــوم النَّحْـــرِ

تقلقلـــت لمـــا تركـــت نحـــرى تدعـــو بويـــل وبجـــزّ صـــدرى

إذ دَخَـــل الأفعـــى رحيـــب المقعـــر بحيـــث لا ترجـــع طـــول الدهـــر

---

(١) الفرزدق ، هو : همام بن غالب بن صعصعم التميمى ، أبو فراس ، من شعراء البصرة فى العصر العباسى ، عظيم الأثر فى اللغة والأخبار ، توفى سنة (١١٠هـ) .

وقال بعض الأعراب :

لو ذقت من بعد الرقاد فاها	لقلت واها ولقلت آها
تقول للفارس إذا علاها	لما استطال خلفه رجلاها
وغيب الأعور في صلاها	إن حرى ركبتة تغشاها

كالركب المكتوب في حشاها

وقال آخر :

يا أمتي أوجع عمرو عيني	بمذى حظ مدمج الحين
نيط بحقوي ماجد الجدين	مازال من كان يغر عيني
بكل عرد ناعم اليدين	يا أم لولا غلظ الشفرين
وطول حقوى كان كالفخذين	يشقى جرقته بساقين

وقال بعض بني عبد الله بن غطفان في مثله :

لما رأت أيرى أم السورد	انعظ حتى صار مثل الزند
كادت من الشهوة أن تستفدى	وولولت تكشى نيك العبد
تقول يا لهفي على ذا الوعد	فقلت كفى لا تروحي جهدى
وقلت شيلى عن جيش نهد	فابرزت عن ولوم صمد
أضيق من تسعين عند القد	فانظرى والتت بالورد
بقلهم يسردع رأس القرد	مزعفر جهنم شديد السورد
فقلت كفى، وانظرى ما عندى	فجعلت من شهوة تصدى
لما رأته مثل رأس الفهد	جهنم حماه غليظ العرد
فأجهشت من شهوة وجهد	لم كشفت ككشف الشرد
لوطد من بيكها بالمدى	وكنت لا أعطى على التصدى
شوها وارمي الألف بالملد	فراجعت وجعلت تفدى
فقلت لما ابرزت عن خمد	لعطر لحوى عطرات الأسد

فصبَّ فيها مثل لون الزُّبْدِ نطفة حر مزجت بشهد

فظلت قد جانبت نهج الرشدِ بشهوة إقبالها وتَرْدِى

كل كريم راغب فى الحمد من قيس غيلان بناة المجد

وقال آخر :

قلت لذات الكثعب المحلوق قَوْل تقى ناصح شفيق

غطى الذى يبدو من المخروق فكشفت عن أبيض مفلوق

مضمَّخ الجبهة بالخَلُوق واستنزلت بالنخر والشهيق

تغيض ماء نازح التريق بفيشة بادية العروق

كمثل زند البطل الفسيق

وقال آخر :

قلتُ لها إذا أولعت بالنَّحس هل لك ياخليلتى بالطفس

قالت نعم وأعْرَبَتْ بالرَّمْس مامكنتنى من شديد المسِّ

وكثعب مستوفر المجس رابِ منيف مثل عرض الترس

فشمت فيها كعمود الجبس أمغسها ياصاح أى مغس

حتى شفيت نفسها من نفس

وقال آخر :

مالك من عرسك منجا فارجع إلى فتاة كالغزال الأتلع

تمشى الهوينا بجميش مقنع كأنه هامة شيخ أصلع

أن يطعم الفيل إذا لم يشبع أو يرد النيل إذا لم ينقع

همَّته الضجعة فوق الشرجع وفارس يقعد بين الأربع

يَذحجها دحْماً بصدق مُرْدِع يَمُجُّ فيها مثل دهن الخروع

كما يداويها من التصنع وحكةٍ مثل حكاك الأقرع

وقال آخر :

كمــرةٍ تصــرف مــن أســنانها ... مشــرقةِ الحُــوق علــى جردانهــا
لاقــت أبــا الرخــف علــى غَمَدانهــا ... وأمُّــه تحمــل مــن خلقانهــا
لمــا اســتوت فــى ملتقــى عجانهــا ... ظلــت مــن الشــهوة واســتمكانها
تلــوك منهــا جــانبى لســانها ... تخلــفُ لاتــبرح مــن مكانهــا

وقال أبو النجم :

أتيت بعض بنات الأعراب فقلت لها : هَلُمِّى أسقيك عذباً وأعطيك بكر ابن أسمرين.

فلما سمعت ذلك أجابتنى فعلوتها، فقالت وهى تحتى :

جاريــة لمّــا تشــهَّا هــا الملــك ... مخطوطــة المتنــين جمــاء الــورَكْ
تقــول لمــا أن علاهــا وبَــرَكْ ... وأولج الفيفــاء فيهــا ودلــكْ
ويلــكِ لا تقتــل شــخصا ليــس لــك ... ارفــع أعــاليك وطــأطىء أســفلك
واســلك بجردانــك مجــرى ماســلك ... أبلــغ لهــاتى وَأجلْــهُ فــى الحنــكْ

قال أبو النجم فأجبتها أقول :

هلكت أنتِ والصبى قد هلك

فقالت :

دونــك لابــورك فيمــن أعجلــك ... حتــى الصبــ عملــك

وقال سحيم :

فــإن تضحكــى منــى فيــا رُبَّ ليلــةٍ ... تركتــك فيهــا كالقبــاء المفــرَّج
اشــيل برجلاهــا والصــب راســها ... وأدفــع فيهــا كــاللراع المدملــج

آخرٌ :

إنَّ نيــك الحمــار نيــك مليــح ... ليتنــى نكــت مثــل نيــك الحمــار

آخر :

اشــتهى ان اتيــك مــن عــذَب ... القلــب بهجرانــه وطــول ســقامه
واحــداً جــوف بطنــهِ قبــل ... ان يســكر مــن خلفــه ومــن قدامــه

قال علماء الباءة : إن كلما احتذا الرجل رأس المرأة نصب رجلها واستها فإنه ئد لاقصاء الأير إلى قعر حرِّها، وألذ للنيك، وأطيب، وأبلغ فى نشاطها.

وقيل لأم الجحاف مولاة الزبير : أيُّ الأشياء أوقع فى قلوب المتفتنات من التنعم قت النكاح؟

قالت : موضع لايسمع فيه إلا النخير، وشهيق يجلب الماء من غشاء الدماغ، ومخارج عظام، بحيث لاعدوى على زانية ولا خوف على زان.

وكان أبو خالد المعتزلى يقول: لوددت لو أن كمرتى فى رأسى حتى أدخل كما أنا ذا جامعت فى حرِّ المرأة.

وقالت بعض نساء العرب :

ليتنى قد لقيته فوضعْ هَنْهُ فى هنىْ
وخلونا كما أحبُّ على خير موطن
فجمع بين ركبتى وصدرى فهزنى
وتنفست تحته وتغاشيت للمنى
مذ تصمَّيت حبه صرت فيه كأننى
والهِ ظلَّ طفلها تنشد الناس لاتنى

ولعبد الصمد بن المعذَّل :

جارية أباؤها نضاراً تغذى بالشهد وبالحوارَى
واللحم والخمر لها قصاراً لها سنىُّ تائها أشبارَا
حدائق أنهارها بحارا وشجر أطيارها حيارا
فى كل ريح بالذُرَى ستَارا مثل العَذارى لهم العَذَارا
انصبت فى ذروتها المهارا بقينةٍ فى الغُىّ لاتبارَى
بتُّ بها سكران فى سكارى حتى إذا ما رقد الغيارا
من أهلها ونام من يُدَارى رمت ولا رأى لمن يمارا
وقد بدا منها الذى توارى حتى وصَلْتُ الشعر بالصمارا
تَحدُّر الصقر على الحُبارى وقلت أحسست لها استعارا
كبكر ذى وخدات نارا

وقال ذو الإكثار :

ولقــد قــال ذو كثــار فياحســن مــا احتــذا

ليــت أيــرى وإنَّ حُــرِّك جميعــا تواخـــذا

فــأخذ ذا بَشَــعْر ذا وأخــذ ذا بشعِــرْ ذا

أشــتهى منــك منــك مكانــا محنبــذا

فــأضع فيــه فيــه ذراعــاً ومثــل ذا

باب

أنواع النكاح

من الأدوية التى يتعالج بها الرجل فى طلب النكـاح المحروص عليـه، الشـهى اللذيذ لمطلوب بأنواع الصفات، الذى قد بان فضله على سائر الشهوات ربما أضرت بالجسم لحرارتها، ولغير ذلك من طبائعها فهى إذا وقفت من وجه أضرت من غيره، حتى يكون الإكثار منها مهلكا للجسم مع المؤونة التى تلزم عليها، وخدع بعض الأطباء واعـتزامهم وتبسطهم فى الطلب، هذا مع تعذر وجود الصحيح من الأدوية، ومـا لا يؤمـن تدليـس بعض الصيادلة بالعقاقير.

فتلطف الحكماء بوضع ما لايكون على البدن، ولا على الصغير الحال، القليل اليسـار محمل، ولا على النفس استبشاع، بل ما يقوى النشاط، ولا يـذم عاقبتـه، فـألفوا أنـواع أعمال الجماع لما فى ذلك حركة النفس واشتعالها، وهبـوب الرجـل عنـد اللفـظ بـه، والتصريح بذكره، حتى يعتاد عند وقوفه على أنـواع البـاءة، وطرائقـه وفنونـه ومشـاهد غرائب أشكاله والاستدرار، وشدة النَّغط، فيكـون لـه فـى العمـل أعِظَـم الحـظ، وتـدر عروق الأير، ويحمى أديمه وينتفـخ خَرْقـهُ، ويستوى سـقوطه، وانحنـاؤه، ويغلـظ مجَّسهُ ويصلب تراخيه ويخشوشن متنه ويسمع عاليا جرسه، ويشتد وقعه، فصرحوا إليه ونبهـوا عن الكناية، وركبوا أنواعـه علـى أفرعـةٍ؛ للقلـب واغـراؤه بـالعمل التماساً للتحريـك، والتسويق، فلهذه العلة ألفوا فيه الكتب، وصوروا فيه أنواع الأشـكال، ووضعـوا عليهـا الأسماء والألقاب، فكل واحد ممن وضع كتاباً فى ذلـك لقبـه بمـا ثبـت فـى نفسـه مـن معناها، ومارآه أحق بتسميتها، وجميعها ترجع إلى خمسة أنواع :

الاستلقاء من الرجل والمرأة.

اضطجاعهما على جنب.

تناكحهما وهما جالسان.

تناكحهما وهما قائمان.

وأن تكون المرأة باركة على رجليها واضعة صدرها على الأرض .

والاستلقاء ثمانية وجوه :

أحدها : أن تستلقى المرأة، وتلصق فخذيها بفخذى الرجل، وهو المعروف بين الناس.

آخر : أن تستلقى المرأة وتلصق رجليها على جوانب الرجل، ثم يدخل يديه تحت فخذيها ويجامعها، ويشبك أصابعه، وربما عمل ذلك على وجه آخر، وهو أن يفعل بها ورجلاها مبسوطتان واحدة على الأخرى.

آخر : أن تستلقى وتضع قدميها على خاصرة الرجل ويأخذ هو عقبها إليه.

آخر : وهو أن يضع الرجل فخذه بين فخذيها، وليس يعرفه كل واحد وقد سماه قوم الخاص.

آخر : أن تستلقى المرأة وتضع قدميها على صدره وتجمع يديها على قفاه فتجذبه إليها حتى تنثنى هى، فتصير ركبتها ملتصقه بصدرها، وذكره فى فرجها.

آخر : أن تستلقى المرأة، وتبسط إحدى رجليها، فيجلس الرجل على فخذها المبسوط ويرفع رجلها الأخرى إلى فوق منصوبة ما استطاعت.

آخر : تستلقى المرأة، ويدخل الرجل ذراعيه تحت فخذيها، ويعبر ساعَدَيْه تحت ظهرها، ويثنى أصابع يديه على رؤوس أكتافها، فهذا نهاية المبالغة .

وأما الاضطجاع فهو ثلاث وجوه :

أحدها : أن تضطجع المرأة على جنبها الأيمن، ويستقبلها الرجل، وهو مضطجع على جنبه الأيسر، ويضم فخذها إلى صدرها.

آخر : أن تضطجع المرأة على يمينها ويضم الرجل فخذيها إلى ثديها .

آخر : أن يجلس الرجل على يمينه ملازمها ويرفع من فخذها الآخر قليلا لتنفتح.

وأما الجلوس على وجهين :

أحدها : أن يجلس الرجل وسط فخذيها، ثم تجلس المرأة فيضمها إليه بيديه .

الثانى : أن يسند الرجل المرأة إلى حائط، ويلصق فخذيها ببطنها، ويجامعها.

وأما القيام فعلى ثلاث وجوه :

أحدها : أن تأخذ قدمها الأيمن، وهى قائمة، فيضعها على الأيسر، ويفتح فرجها بيده ويدخل ذكره فيها، ويضع يده على متنها.

فقالت : هذا الخفى، لأن أحد الخفّيْن على عاتقك، والآخر على الأرض.

ثم خرجت ورجعت فانبطحت، وقالت : الق بطنك على ظهرى، فأولجه، وأخرجه بقوة، وأولجه ورده فى كل زهزتين ففعلت، فكنت أسمع حجرها، تقول : بق بق، فقلت لِم هذا؟

فقالت: للين الشرج، وكثرة الريق وهذا يقال له : البقى، فلم أزل أنيك حتى صببته فى جوفها.

وخرَجَتْ، وجاءتنى، وبركت، وتفتحت جدا حتى انفرجت إليتاها انفراجاً شديداً، وريّقت شرجها، ووضعت رأسه على الباب فأخذته بيدها و لم تزل تدلك به شرجها حتى لان، ثم قالت: إذا أنت أولجته فقم قياماً دون الانتصاب حتى يكون فى ساقيك بعض الانحناء ثم أدخله وأخرجه إلى فوق بقوة، فإنه باب من أبواب النيك فى الاست، لم يستمتع الناس بشىء ألذ منه، وأكثر الريق بين كل رهزتين وأمرره بين الإليتين أحياناً حتى يلين الشرج، وماحوله، ففعلت، وكنت أراه إذا أولج يُمّر كأنه فى تنور، فإذا أخرجته إلى فوق سمعت لحجرها صوتاً كالذى يقول : بخ بخ، فلما سمعت ذلك نخرت وأخرجت لسانها تتلمظه، فاستطبت ذلك.

وقلت : ما اسمه؟

قالت : البخى.

وخرجت واغتسلت ورجعت فبركت، ووضعت يديها على ركبتيها، وقالت : ريق رأس ذكرك وأدلك به باب الاست قليلاً قليلاً، ثم أولجه بقوة، ففعلت فسمعت لشرجها صريراً شديداً لقلة الريق، ونخرت نخيراً مفرطاً غير أنها تصبرت حتى صببته.

ثم قالت : هذا الصرّار.

ثم خرجت، ورجعت، وبركت كالساجدة، وريقت عجيزتها، وشرجها بيدها، **وقالت لى** : ريق ذكرك، وأدلك به باب الاست ساعة، ثم أولجه قليلاً قليلاً، ثم سُلّهُ وأخرجه إلى رأس الكمرة ثم أولجه، فكنت أسمع لشرجها إذا تحرك كخرط الرخام، فلم أزل كذلك حتى فرغت، وقمت.

فقالت : هذا خرط الرخام.

ثم خرجت ورجعت وبركت، ووضعت على باب إستها ريقا كثيراً وريقت ذكرى إلى أصله ودلكت به شرجها، ثم قالت أكثر ريقه فى كل رهزتين ثم أولجه إلى أصله، ثم أخرجه حتى تنحيه كله عن الشرج، ثم أعده كذلك، فكنت إذا أولجته رأيت شرجها يتقبل أيرى كفم الصبى إذا التقم الثدى، فإذا بلغ الباب أصل أيرى طوّق عليه طوقاً أبيضاً كضيق الشرج، وغلظ أيرى، فإذا أخرجته انطبق شرجها، واجتمع فوقه مثل الزبد، فلم أزل كذلك حتى صببته فى استها، ثم قامت.

وقالت : هذا المضيق.

ثم خرجت، ورجعت، وألصقت بطنها، إلى الجدار وأخرجت عجيزتها قليلا ثم **قالت** : إذا أنت أولجته، فأخرجه، حتى يبعد عن الباب، وتنح أيضاً أنت عنى مقدار ذراع، ثم أصفق بأيرك الباب، وأولجه بقوة، ورهز صلب، فلم أزل كذلك حتى صببته فى استها ثم تنحيت وقد عملتُ عملاً عجيباً، وكنت أصفق به باب الاست، فأسمع له دوياً كالصفيق بيد على يدٍ.

فقالت : هذا باب تحبه الملوك، ويسمى المصفق، وقد يسمى الحمارى.

ثم خرجت ورجعت فاستلقت على ظهرها، ورفعت رجلاها فوضعتها على عاتقى **وقالت لى** : أولجه فى الاست كله ففعلت، فلما أقمت ساعة مالت قليلاً قليلاً حتى صارت على جبنها الأيمن، وقمت أدفع أيرى فى استها، وهى تنخر حتى صببته، وأردت القيام.

فقالت : مكانك ثم رهزت رهزة خفيفة حتى تحرك وقام، ومالت حتى انبطحت، ورهزتها رهزا صلباً وجاءت من النخير بشىء عجيب وجعلت تقول : أولجه كله، غيبه كله، وأردت القيام.

فقالت : مكانك وأخرجته بيدها، فأدخلته فى فمها فمصته و لم تزل تغمزه بيدها حتى قام، وانبطحت كما كانت، فأولجته فى استها، ثم قامت، وهو فيها حتى بركت على أربعة، وهى تعاطينى الرهز الصلب حتى صببته فى جوفها، وأردت القيام.

فقالت : مكانك فلم تزل ترهز وقامت قليلا وهو فيها حتى صارت قائمة.

وقالت: لى تراخى لى إلى خلف وأنا أتبعك ففعلت حتى صرت على ظهرى وأتبعتنى وفى فيها حتى قعدت عليه، فلم تزل تصعد وتنزل ساعة، ثم دارت عليه حتى صار وجهها فى وجهى، فعملت عليه ساعة، ثم دارت عليه.

وقالت: أدخل إصبعك من تحت فخذى ففعلت، وقمت حتى ألقيتها على ظهرى وصرنا إلى الحال التى ابتدأنا فيها بالعمل، فلم أزل أرهز وترهزنى من تحت رهزا موافقا لرهزى حتى صببته فيها، وقمت.

فقالت : هذا الباب يسمى أبو رياح، وهو أكثرها عملاً وتعباً.

ثم خرجت ورجعت وبركت، وجعلت بيدها ريقا على باب استها وكذلك على ذكرى، ثم قالت : أكثر من الريق، وأنت تدخله شعرة شعرة، وأنت تنظر إليه وأخرجه كذلك، ففعلت فكنت إذا أدخلته أرى شرجها ينفتح قليلا قليلاً حتى يغيب الأير كله، فإذا أخرجته نظرت إلى خلف الشرج، وهو ينفتح كذلك، فلم أزل حتى صببته فى سُرْمها، ثم قمت.

فقالت : هذا حل الإزار.

قال ابن دعيوس : ثم ودَّعتها وخرجت، وعاودتها بعد أيام شوقا إليها، فبركت تحتى، وقالت لى: أكثر الريق وبالغ فى الإيلاج واعلم ما تعمل، وعليك بالرهز الصلب، والدفع الشديد، ثم تفججت، وريقته وأولجته فى استها، فكأنه وقع فى حريق فخرج منها مخضوباً إلى أصله، وفاح ريح الزعفران، فلم أزل أولجه، وأخرجه حتى خضبت مابين إليتيها وعانتى ومراقى وأنا فى زعفران خالص فلم أذل كذلك حتى صببته.

فقالت: هذا الورسى .

فقلت: صفيه لى.

فقالت: يعجن الزعفران بدهن بنفسج، ودهن ورد، حتى يصير مثل المرهم، ثم تأخذ قالباً فتجعله على باب الشرج ثم يحشو ذلك بأصبعه حشواً بليغاً، حتى يحصل كله فى الاست فإذا أدخلت الأير فى الاست كان ما رأيت.

قال: فقلت : إن الزعفران حار محرق.

فقالت: إنما تخلطه بدهن بنفسج وورد ليكسر حدته.

ثم إنى أبركتها ثانيا، وأولجته فيها إيلاجاً مداركا، وهى تنخر وتعمل العجائب حتى صببته فى سُرْمها، ثم أخرجته فخرج أخضر كالسلق وفاح ريح العنبر.

فقلت : ما هذا؟

قالت : السدرى .

قلت : وكيف ذلك؟

فقالت : سدر مشاب بعنبر معجون.

ثم عاودتها بعد ذلك فألقتنى على ظهرى، وقعدت عليه تقابلنى بوجهها، ثم دارت عليه حتى ولتنى ظهرها، ثم بركت قليلا قليلا، وأتبعتها حتى صارت باركة، فلم أزل كذلك حتى صببته فى استها وقمت.

فقالت: هذا اللولبى .

القول فى الخِلْطِ :

حكى محمد بن عيسى النخاس :

قال : قلت لجارية ما تقولين فى الخلط؟

قالت : من أفعال بنات القحاب.

قلت : و لم ذاك؟

قالت : لأنه لا يجدا الفاعل ولا المفعول به لذةً .

قلت: وكيف؟

قالت : كما يأكل الرجل الموز بالعسل، فلا يجد طعم واحد منهما.

وقال المصعبى: اشتريت جارية رومية، فصرت بها فى منزلى، وأردت الخروج.

فقالت : وا لله لا تبرح حتى تعمل واحداً.

فقلت : شأنك، فبركت على أربعة، وفتحت إليتها، وقالت : أولجه فى الاست إلى أصله، ثم أخرجه، فأوجله في الحِرِ، ثم رُدَّه إلى الاست، فلا تزال تفعل ذلك حتى تفرغ.

قال : فبدأت فأولجته فى الاست إلى أصله، فنخرت، وغربلت غربلة عجيبة شديدة، ثم أخرجته فأولجته فى الحرّ، و لم أزل كذلك حتى صببته، فكان به من اللذة شيء عجيب.

فقالت : هذا باب من الخِلْطِ.

وقال المعبدى : اشتريت جارية ، فلما خلوت بها وأردت وطئها.

قالت : مكانك أتعرف رأس النيك؟

قلت : لا،

قالت : لذة النيك فى الحرّ أن ترفع برجلى، وتقعد على أطراف أصابعك، وتولجه فتنظر إليه كيف يدخل، ويخرج، وتثنيه ساعة بعد ساعة، فإذا أردت الصب، فلك وجهين :

أحدهما : أن تخرجه فتصبه فى السرة، فتراه كأنه سبيكة من الفضة، أو تولجه فى الاست، فتصبه فيها، فترى الشرج يعصره، ويمصه مص الجدى ثدى أمه، وأقل الريق إذا نكت فى الحرّ، فإنه أطيب له، وألذ ما يكون فى الحرّ على أربعة، لأنك ترى الركب تذهب وتجيء وتنظر إلى البطن والثديين والسرة، وألذ مايكون النيك فى الاست إبراكاً، فأكثر الريق، فإنه أطيب، وألذ وغيبه إلى الأصل، وبالغ فى الإيلاج، وقبل الإليتين كل ساعة، فإن ذلك يزيد فى شبقك، ففعلت ذلك، فما رأيت أطيب منه.

وقال بنان بن عمر بن حفص، صاحب محمد بن موسى المنجم: سمعت إنساناً بالبصرة يقول : حلفت بالطلاق أن أنيك امرأتى نيكا من دُرٍّ، قال فجئت إلى فقيه فى حلقه الجامع، فسلمت، وقلت : أصلحك الله، إنى حلفت أن أنيك امرأتى نيكا من دُرٍّ، فما أدرى وقع بى الطلاق، أم لا؟ فتبسم الفقيه ثم قال : أنا أنيك امرأتى كل يوم نيكا من در، اذهب عافاك الله، فأقم امرأتك على أربع، وقم من خلفها، وبل كمرتك بشيء من البصاق، ثم أدخل أيرك فى استها إلى أصله، وأخرجه وأدخله فى حرّها إلى أصله، وافعل ذلك دائما حتى تنزل، فإن ذلك نيكا من دُرّ لمن عقله.

قال : وما فرغ الفقيه من فتياه، حتى سال لعابه من الشهوة.

وذكروا: أن الزنج والحبشة أكثر ما ينيكون فى الاستاه مع الأحراج.

قالوا : وفى الهند طائفة يقال لهم (اللومن) ينيكون سوى الأحراج ويقصدون مواضع أخر مثل بين يديها، وفى فيها، وفى إبطها، وباطن مرفقها، وباطن ركبتيها، وأما الأحراج خاصة.

فقدمنا القول فى أنواعه وقد فرّعه الناس، ولقبوا كل نوع منه بلقب يليق به، وجميع ما أوردوه غير خارج من الأقسام التى ذكرناها فى أول الباب.

ومن غريبه نوع يقال له خاتم أخواجا، وهو أن يجعل تحت عجز المرأة مخدتان حتى ترتفع ثم يجلس الرجل على صدرها وظهره إلى وجهها .

ثم تأخذ المرأة إبهامى رجليها بيديها، وتجذبها إلى نفسها جذبا شديدا نحو رأسها حتى يصير الرجل جالسا بين رجليها، فإنها إذا انشالت شديداً برز فرجها كله، فيولج حينئذ فيه، وهو يشاهد عجزها، وفرجها، وجميع ما يتصل بذلك، ومنهم من سمى هذا الشكل (الروبيانى).

أما الشكل الذى لا تحبل منه المرأة، فهو أن ينيكها الرجل قاعداً متمكناً، وإذ قد ذكرنا أصناف الجماع، فلنذكر الآن صفة الذكر فى الفرج.

فنقول : إن حركات الذكر فى الفرج على ضروب شتى، ولكل شيء من ذلك صفه، والنساء يختلفن فيه على ضروب شتى، فمنهن من تريد ذلك كله، ومنهم من تكتفى بنوع منه.

فمن ذلك : أن يتحرك الذكر فى الفرج صعداً فيعمد بطرفه على أعلى الفرج ولقبه **(الهيكل)**.

ومنه: أن يتحرك الذكر فى الفرج مهبطاً، ويتعمد بطرفه أسفل الفرج واسمه **(الأبحر)**.

ومنه: أن يتحرك الذكر مرة مصعدا، ومرة هابطا، لقبه (المتحير).

ومنه: أن يكون الذكر فى جانب الفرج ولقبه (المعوّج).

ومنه: أن يسكن لا يتحرك ولقبه (الواقف).

ومنه: أن يتحرك على نوعين أو أكثر من هذه الأنواع ولقبه (لقط الحب) ؛ لأنه كالطير يلتقط الحب من جوانبه .

باب

ذكر السليم والضار من أنواع النكاح

أحمد الأشكال : استلقاء المرأة على الفراش الوطى، وعلو الرجل عليهـا، وأن تكـون وركها عاليا، ورأسها منصوباً ما أمكن، وليس فى أصناف الحيوان من يجامع علـى هـذا الشكل إلا القنفذ فإنه يطأ الأنثى من قدام كما يفعل الإنسان.

وأما صعود المرأة على أير الرجل : فربما أكسبه قروحاً فى المثانة والأحليل والأدرة، والانتفاخ.

وحبس المنى عند الجماع : يورث الأدرة، وفساد المزاج فى الأبدان المستعدة لذلك.

والجماع من قيام : يورث ألماً فى الورك.

والذى على الجنب : ردىء لمن أعصابـه ضعيفـة، ويعسـر أيضـاً معـه خـروج المنـى، ويورث وجعاً فى الكُلىَ وربما أورث فى القضيب.

فأما ما يوجبه الظرف، فنقول : إن افتراش المرأة ذل لهـا فظيـع تقشـعر منـه لكشـف السوءة، فظهور العورة، وتأمل تجردها، فـإذا انضـاف إلى استـذلاها بالنكـاح أن يكـون ذلك بأحد هذه الأشكال التى ذكرناها فى الباب الذى قبل هذا كـان أبلـغ فـى إذلالها وامتهانها؛ لأن ذلك دليل على صغر منزلةٍ، ونقصان محبةٍ، وعنوان ملل، وإذا كان ذلـك كذلك، فالعدول بالمزَوَّجَةَ والمعشوقة الخطيرة القدر عن هـذا الشـكل المقـدم ذكـره فـى صدر هذا الباب الـذى تشـهد العقـول بموافقتـه لمـا فـى الطبـاع، واستعمال غـيره مـن الأشكال الغريبة منافٍ للمروءة مباين للأدب، وإن يسامح فى ذلك بعض الناس لنفسه بصاحبه، فلا يجب أن يكون فى أول مجلس إلا عند ابتداء الملاقاة.

وحكى : عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنهـا قـالت : النكـاح رقٌّ، فـانظر عند من تضع رقك.

كما أن فعْل ذلك مع من ذكرنا يقبح، فكذلك العدول بالإماء والمواحر من النسـاء عنه مخالفاً للصواب إذ كان ذلك مسـتحباً فيهـن لمـا يظهـرن مـن المثابرة علـى النكـاح والمصالتة عليه، والتلهف على بلوغه، كما فضل الله تعالى الأزواج على الإماء، فكذلك خصصناهن بالتفضيل، وذلك أنه فرق بينهن فى أشياء كثيرة.

منها : أن الأمة إذا صلّت لم تستر شعرها، والحرّة يكبر قدرها عن ذلك؛ لأنه ضِعَةٌ ومحقرة.

ومنها : أن الحرائر يحصن للأزواج، والسرارى لايحصن للموالى.

ومنها : أن الظهار فى الحرائر دون السرائر، وكذلك الأيلى.

ومنها : أن على الإماء إن أتين بفاحشة نصف ما على المحصنات من العذاب أعنى الضرب.

وكما قصَّر بالأمى والعبيد عن حال الحرائر، و لم ينزلهن منزلتهنا، كذلك أجريناهم فيما ذكرنا، على أن ابن سيرين رأى غير ذلك، وقيل له : أيفاحش الرجل امرأته فى النكاح؟

فقال : أفحشه ألذه.

وقالت العلماء بصنعة الباءة : المرأة تنتقل فى كل شهر إلى ثلاثة أحوال: فإلى عشر من الشهر طامث، ومن العشر إلى تمام العشرين، يجمع الرحم دما مكان الذى خرج منه بالطمث، ومن العشرين إلى آخره يكون الرحم واقفا ليس بمشغول، وإنما يجتمع إليه ما يتولد من الغذاء، لأن الكبد إذا أحالته وجمعته، وفرقته فى الجسد فصار مايؤدى إلى الرحم أكثر، فنكاح المرأة فى العشر التى تكون فيها طامثا مكروه لنذرته، وكراهته.

ويقال : إنه يقصر العمر، ويتخوف منه البياض، ويخاف فيه تعسر الحوائج.

وإن طلب الولد فى الحيض كان مشوهاً، ومخبلاً، أو ناقص الجسد أو كان به صمم أو عماً، أو ما أشبه ذلك.

فالنكاح فى العشر التى تليها، فهو ألذ ما يكون، وأشهى؛ لأن الدم يجتمع فى الرحم مكان ما نفذ عنها فيكون النكاح شهيا طيبا موافق لحرارة الدم، ولا ينبغى أن يطلب منها الولد لشغل الرحم، فيما يجمع الدم، فإن طلب منها تخوف عليه أن يكون الولد مخدجاً، أو ناقصا، أو يضعف بالدم فلا ينضحه الرحم، فيولد لسبعة أشهر، ويلقيه إلقاءاً قهراً، فهذا العشر يصلح للدم فقط.

والنكاح فى العشر الأخير هو الذى يصلح لطلب الولد.

وزعم ماسرجيس : أن من أراد أن يجامع امرأة أن يجىء فيلصق صدره بصدرها مع التقبيل، وعض الشفتين، والمص للسان ليحمَا مَافى صدرها من الماء، وإن أحب أن يْحمَا فليلزمه من ظهره ويلصق بطنها به حتى يحما ظهره، فإن عظم منحدر ماء الرجل من ظهره.

وقيل : إنه وجد حجر بحلوان عليه مكتوب :

الأول من الجماع: عجز.

والثانى: قضاء.

والثالث: شفاء.

والرابع: شوق.

والخامس: آفة.

وقال محمد بن سيرين، رحمه الله : كانوا يستحبون الوتر فى كل شىء حتى فى النكاح.

باب
فضل الاغتسال وما جاء فيه

أما الغسل بعد الجماع، فنقول : إن الله تعالى أدب خلقه به، وحضَّ على فعله لما فيه من عظم المنفعة، وذلك أنه لا شيء أبلغ لعلاج البدن من الاغتسال بالماء، ليخلف عليه رطوبته مكان ما حلله الجماع عنه، فإن كان المغتسل به حاراً عدل أعضاءه، وقوَّم أودها وأصلح من جسمه المقدار الذى زال عنه لاستوى نُطف المسام التى يخرج منها مايخرج عند هذا الفعل، وذلك أن الطبيعة تكون قد رمت إلى ظاهر الجسم بأجزاء خفيه، ومهما كان من عرق أوبخار فإنه سهل، فمتى لم يغتسل هذه الأجزاء، وتنحى عن الجسم خشيعته أورثته زفرا كريه الرائحة فولد القمل والصيئان.

فإن كان الماء المغتسل به بارداً قوى أعضاءه، وشد مفاصله بما تجتذبه الطبيعة من قوة الماء، ورطوبته، ويكون خلفاً بما خرج عنها، وهو مع ذلك عذب يجذب معه النشاط، وطيب النفس، والارتياح ما قد شاهده ويُحسُّه.

وبإسناد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إذا اغتسل العبد من الجنابة خلق الله من كل نقطة تساقط منه ملكا يسبح الله ويقدسه، وثوابه لذلك العبد**».

وقال الفراء : قال الأصمعى : إنما سميت الجنابة جنابة لأنها جانبت الطهارة، ومعنى ذلك أنها ضدها.

وقد تكلم قوم، فقالوا : كيف أوجب الله تعالى الغسل من الجنابة وهى أنظف من الغائط، و لم يأمر من الغائط إلا غسل الموضع فقط.

فيقال لهم : إن الله تعالى أراد بنا اليسر، و لم يرد بنا العسر، ولو أمر بالغسل من النجو والبول ، لقد كان يكون غاية العسر، واقتصر فى الطاعة على ما تحمله الطاقة وأخف فى المؤونة، ولأن لهم سبيل إلى حبس المنى، ولا سبيل لهم إلى حبس النجو والبول، وفرض فى ذلك الوضوء فقط.

وفرض فى المنى غسل جميع البدن، والشاهد بذلك أنه يخرج من الإنسان إنسان مثله من ينتزع شبه من قرنه إلى قدمه، ويحكيه فى جميع آراءه وأموره.

باب
الاحتراس من الحبَل

الحيلة فى أن لا تحبل المرأة يكون بأمرين :

أحدهما : من فعل المجامع.

والآخر: باستعمال الأدوية التى تفعل ذلك.

فأما فعل المجامع فإنه يكون بنوعين:

أحدهما: استعمال شكل من أشكال الباءة، قد ذكرناه فى موضعه من هذا الكتاب، وهو النيك من قعود.

والآخر: استعمال العزل عنها ، وله شرائَط، إن ذكرناها طال الكتاب.

ونشرح جملتها: إن الحرة يشترط عليها، والأمة لا بأس بفعله معها من غير شرط.

وفى التوقى من الحبل والحيلة فى التخلص منه؛ صيانة فى المودة وأمن من الفضيحة، والنجاة من أكبر إثم وأعظم وزر، وذلك أنه ربما يحتال الإنسان أن يرمى بولده ومهجة قلبه.

فقد حكى: أنه كان لأبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الماذرانى، جارية ربَّاها وأدبها وكانت لها قريحة صحيحة، فلقنت منه ومن جميع المنادمين، وأخذت عنهم، وبرعت حتى قالت الأشعار وصنفت، وناظرت، وكان لإبراهيم بن أحمد، ختن يعرف بابن بشر، فأحبها، وخدعها وراودها عن نفسها، فطاوعته، وأحست منه بحبل، فأعلمته، وأظهرت له الجزع من مولاها فوعدها أن يشتريها، وسألها الاجتماع بمولاها على الحيلة فى ذلك، ففعلت، واتصل بإبراهيم بن أحمد طمعا فى شرائها، وراسله بأخته فلم يجبه، ورأى مولاها أنها مقيمة على طلب البيع، فأغضبه ذلك، وأمر بإخراجها إلى سوق النخاسين، فعرضت، واشتراها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وهى غير شاكة فى أن من يشتريها إنما يشتريها لابن بشر، فلما وقفت على أن الأمر إنما جرى على سبيل الحيلة عليها حتى أخرجها من دار مولاها حزنت لذلك، وأغضت على كمد شديد، فلما كان بعد مدة كتب إليها ابن بشر بُرِقعة مع عجوز كتبها إليها يصف فيها شوقه، ووشحها بأبيات شعر استعارها.

فلما قرأت الجارية الرقعة أقلبتها، وكتبت فى الحال على ظهرها، وردّت العجوز.

فلما أقبلت العجوز لتدخل الدار كان إبراهيم قائما بإزاء الدار.

فقال لها : من أنت؟ فارتاعت، فاستراب إبراهيم بها، وأمر بتفتيشها، فوجدوا الرقعة معها، فقرأها إبراهيم، فإذا هى من الجارية إلى بشر ونسختها:

من المعشوقة الثكلى إلى من باعها خُبلى

سلام أيها المولى سبيل السنة المثلى

ألم أنبِئكَ أنى بك لا أسلم من بلوى

ألم أذكرك الله ألم أفصح لك الشكوى

ألم تزعم أنى لك مادمت على الدنيا

وأنى ملك كفّيك على غاية ما أهوى

فأين الحلف والوصف وما أعقبنى الشقوى

وأين العهد والميثاق والتصريح والنجوى

لقد أحلنى حُبك بعد الشرف الأعلى

وبعد الخز والبز وبعد الغاية القصوى

وبعد القصف واللذات والنعمة والجدوى

ينادى بى مع الدايات أين المقرب الحلى

أما بعد : فيا فاضح العشاق، ومنتهى الفساق، فقد أتانى كتابك الوارد بشعرك البارد تنحو فيه نحو غيرك، وتتشبع بما لست منه كخابط عشواء، وسالك ظلماء، إضاعة للأثر، وتركاً لليقين، واستعمالاً للغير، ولعمرى لقد حل بى الخطا، وأدركنى فيك ضعف رأى النساء، ولحقنى فيك المثل السائر من قول القائل : يداك أوكتا، فوك نفخ.

لاغترارى بك، وإضاعتى الحزم فيك، حتى ملأت بطنى، وأثقلت ظهرى، وهتكت سترى.

وأقول ما نقص من مالك ما زاد فى عقلك ولا وفر وفرك ماهتك سترك .

وأقول :

مـن ذا ألـوم وأنـت المذنـب الجـافى	كفـاك علمـك مـن إيضـاح برهـان
لاتسـأل النـاس عمـا أنـت تعلمـه	وانظـر لنفسـك فـى سـر وإعـلان

ويلك والويل حلَّ بك، متى رأيت العشاق أحبلوا، فـأحبلت، والتمسـوا الولـد كما التمست ، أو ما قرأت أشعارهم، واتصلت بك أخبارهم، إن العاشقين يلبثان مـدةً من دهرهما وبرهة من التقائهما لايعدوهما ذلك إلى غير توكيد العهد، وتجديـد الـود ليس لعجز منهم، ولاتقصير عما أدركته غايتك لكنهم جعلوا للعشق عهـداً، وللفسق حداً، فالعشق ما أجروا سبيلهم عليه، والفسق ما أدنى بك سبيلك إليـه يـاتيس الغنـم، وفحل البُهْم، وذكر الرَّخم .

وأقول :

ما رأينا ولن نرى عاشقا يطلب الحبل
إنما غايـة المحـب إذا فـارق الزلل
لحظة بعد لحظـة فـإذا زاد فالقبـل
فإذا جـاوز ذا وذاك فمزور ومفتعل
ذاك يجرى الذى به يدرك النسل والحبل

ألم تعدنى ما وعدا الشيطان، وتمنحنى ما أعقب الحرمان، أولم تزعم أنـى لـك يدك، ومالك عهدك، حتى إذا التقتا حلقتا البطان، وأصابنى الريّان، جعلتنى مثل جرو الكلب إن سكت عدم وإن نبح رجم، كأنى سفير لا فى العير ولا فى النفير، مستحلا لما سلف من ذنبك، مستحسنا لما سبق من جرمك، حتى إذا انتشـر فـى النـاس أمـرك، وصـارت الركبان بذكـرك وصـرت عظـة المرتـدع، وسيرة الممتنـع، أقـررت حتـى صـار اقـرارك وانكارك يستبين لوجود الفاحشة ودنو الفاضحة .

وأقول :

لئـن كنـت أوطـأتنى عَشْـرَةً	لقـد كنـت اخلصتـك الـود حينـا
وإن كنـت أعلمتنـى خدعـة	لقـد كـان قولـك عنـدى يقينـا
ومـا انـت للعشـق أهـلاً لـه	كـذى يفضـح العشـق العاشـقينا

وبحسبك يا متخلف، لقد أصبح ولدك عبداً يباع فى الأسواق وينادى عليه فى الزقاق لا يعرف من أبوه، فيدعى به، ولا نسبه فينسب إليه، فإن كان من عهار، فللعاهر الحجر، وعلى الجاحد الوبار إلى ما احتقبت من العار، واكتسبت من الشنار وما لعمرك فيها خيرة لمختار.

وأقول :

ياذا الذى كان حظى منه تعذيبى	حققت ما قيل فى مسترعى الذيب
خلفتنى لأكف الدهر تعركنى	عرك الأديم بتصعيد وتصويب
من بعد ما كنت ضد الدهر أمنحه	قسراً فينقاد لى فى ذل مغصوب
أصبحت قودا لمن قد كان لى تبعاً	واستذل لمن قد كان يسمو بى
كذلك من غرّه من نفسه ثقة	يمسى ويصبح فى همّ وتعذيب
ياطول همسى ومن يرثى لمكروب	قد ركبت الهوى من شر مركوب
هذا وقد ضرب الماضى لنا مثلا	أخلق به مثلاً من ذى تجاريب
لا تحمدن أمرءًا حتى تجربه	ولا تذمنه من غير تجريب
فاذهب فمالى فيك اليوم من أرب	لئن أسأت لقد أحسنت تأديبى

فلما وقف إبراهيم على الرقعة أنفذ، وسأل عبيد الله فى بيع الجارية، وردها عليه ولج معه عبيد الله إلى أن دفع إليه ربح خمسمائة دينار، وأخذ الجارية إليه، وقال لصهره ابن بشر: إن لم تقبل ولدك طلقت ابنتى منك، فألزمه الولد ورجعت الجارية إلى مولاها.

وقال أبو الحسن الجوهرى : قرأت هذا الخبر على أبى العباس أحمد بن يحيى، ثعلب النحوى، فاستحسنه، وقال : يا سبحان الله! هذه الجارية أخطب من ابن القرية، وأفقه من أبى حنيفة، وآدب من ابن المقفع، فلما علمت أن هذا هكذا لِمَ ناولته رجلها.

فقلت : يا أبا العباس لو ضرب عليك ما ضرب عليها ناولته يدك ورجلك.

وكان بعض الأعراب لايزال يحبل الجارية فى الحى، ثم يسأل مواليها أن يهبوا له ولده منها.

فقيل له فى ذلك : إن كنت لابد فاعلا، فاعزل عنهن.

قال : بلغنى أنه مكروه.

قيل: أفتقدم على الزنا وتتورع عن العزل؟

قال : نعم، لو لم يكن فى العزل إلا قبح اسمه، وشدة إثمه، وإن الإنسان أحوج مايكون إلا السكون تطلب نفسه الحركة، وأطيب ما يجد لذته حين ما يخرج فيشته ويضيَّع نُطْفته ، وهذا أمر ينبغى أن يحضره الفتوة والمرؤة.

وقيل فى كتب الباءة :

إذا أردت أن تعلم أن المرأة تحبل أم لا، فيدخل الرجل فى فرجها قبل أن تحيض بثلاثة أيام تمرة صرفان، من أول الليل، وتمسكها إلى الصباح، ثم تستخرجها، فإن وجدت تلك التمرة قد ضرب لونها إلى الحمرة، فقد تقارب حملها وإن ضرب لونها إلى البياض، فإن حبلها عسر لا يرجى، فإن لم يتغير لونها حبلت بإبطاء.

وقيل أيضا : إذا أردت أن تحبل المرأة بغلام، فيشد الرجل بيضته اليسرى من خصيته بخيط، ويجامعها فى ليلة، أو يوم يهب فيه ريح الصبا، فإنها تحبل بغلام.

وإن أحببت أن تحبل بجارية، فيشد الرجل خصيته اليمنى بخيط، ويجامعها فى ليلة أو يوم يهب فيه ريح الدبور.

وقيل أيضاً فى كتب الباءة :

إنه يؤخذ زرع الرجل فى خرقة بيضاء نظيفة، وزرع المرأة فى خرقة أخرى، وتترك الخرقتان حتى يجف ما عليهما، ثم يغسلان، فأيهما ذهب منها الأثر، كان اعتياض الحبل من قبلِ صاحب الذرع الذاهب الأثر.

فإن زرعاً يذهب أثره لا يكون منه ولد.

وإذ قد قدمنا ما يجب تقديمه فى هذا الكتاب، فلنذكر الآن الأدوية المانعة من الحبل.

الأدوية المانعة من الحبل :

يؤخذ نوشادر وشب يمانى وسقمونيا، من كل واحد نصف درهم، سذاب يابس درهم ونصف، ويدق الكل وينخل ويغلى، بأوقيتين دهن ورد، ويجعل فى قارورة، فإذا أراد الرجل الجماع استعمل قبل أن يدنو من المرأة .

آخر : يسحق الكندس ويعجن بعسل، ويجعله الرجل على ذكره، ويجامع، فإن المرأة لاتعلق، وزعموا أن النخاسين يفعلون ذلك.

وإذا أخذت المرأة وقت الطهور دانقين سقمونيا مسحوقاً معجوناً بالعسل واستعملته، أو طلا به الرجل إحليله وجامعها لاتحبل.

آخر : معجون إذا استعمله الرجل لم يكن من المنى الذى يخرج منه ولد، وهو مسحوق يعرف بمعجون السكيخة، وفيه ثلاث فوائد:

أحدها : أن المرأة لاتحبل.

والثانى : أنه يحبب المرأة إلى الرجل.

والثالثة : لا يضعف بدن المستعمل له من كثرة الجماع.

أخلاطه خشخاش أبيض، وأسقيفون، من كل واحد درهمان ونصف، مرارة الشبُّوط وبزر السذاب ولولو، وصابربينا، وقثا الحمار، من كل واحد وزن درهمين، سليخه ومرّ، من كل واحد نصف درهم، صَعْتر فارسى وكافوه، من كل واحد سدس درهم، تجمع هذه الأدوية مسحوقة منخولة، وتعجن بعسل منزوع الرغوة، ويرفع فى إناء، ويستعمل بالغداة فى الوقت الذى يراد فيه الجماع بالليل، والشربه منه مثقالان، وإن أراد بالنهار استعمل بالليل.

وبالجملة : **إنه ينبغى أن يكون قبل وقت الجماع باثنتى عشر ساعة، نافع إن شاء الله.**

معجون آخر : **إذا استعملته المرأة لم تحبل، وإن كانت حاملا أسقطت على المكان**

وأخلاطه : بزر الحندقوقى، وخرو الفيل، وخردل أحمر، ونوى الزعرور، ويؤخذ من **هذه الأدوية أجزاء سواء ويدق وينخل ويعجن بميعة سائله وتتحمله المرأة بصوفة، فإنه** يمنع من الحبل، وإن كان هناك حمل سقط.

ومن الخواص :

قالوا : **إذا أردت أن لاتحبل المرأة، فخذ شيئاً من الزرنيخ، واجعله فى قطعة من جلد** جمل، وعلقه عليها فإنها لاتحبل .

آخر : إذا أردت أن لاتحبل امرأتك، فخذ زرنيخا، وصرّه فى جلد أيل، وعلقه على رجلها، وكذلك إن علقته على رجل دجاجة تبيض فإنها لاتبيض.

باب

تلافى المضار الحادثة عن إكثار الباءة

يحتاج من أكثر من الجماع أن يقلل من إخراج الدم، ومن التعب، ومن التعرق فى الحمام، فإن تدبر بدنه بالترطيب، والتسخين، وما يقويه، ويكثفه؛ لأن الجماع يبرد البدن، ويجففه، ويضعفه، ويخلخله، وأن يزيد فى الغذاء، والنوم، والشراب، والدعة والتطيب بالأدهان والاكتحال.

وبالجملة: إنه يحتاج فى كل واحد من الأعراض الرديئة التى يجدها لكثرة الجماع فى جملة مزاجه، أو بعض أعضائه أن يدبر ذلك بما يضاده، ويقاومه وأن تتقدم قبل وقوعه باستعمال التديثر المضاد للأعراض التى يحدث كونها، ونحن نشرح حال أصحاب المزاجات، وما يتدبر به كل واحد منهم.

أصحاب المزاج البارد اليابس :

سبيلهم أن يتدرجوا إلى الاستكثار من الغذاء والشراب والتدبير المسخن للبدن المرطب، وأن تكون الأغذيه والأشربة من الحرارة، والرطوبة كمثل مزاج البدن.

فإن كان البدن إلى الرطوبة: كانت الأغذية مسخنة، وجملة التدبير إلى الحرارة.

فإن كانت يبوسة المزاج أكثر من برودته: كان تميُّله إلى الرطوبة فى الأغذية أكثر من تسخينها.

والبدن البارد اليابس: على تعادُلٍ فيها إذا استكثر من الجماع، فسبيله أن يتدرج إلى الاستكثار من الخبز السميد ولحوم الحملان، والشراب الأحمر الذى له حلاوة، وغلظ معتدل وليطيب طبيخه بالزنجبيل والدارصينى والفلفل، ولا يقرب حامضاً ولا مالحاً، ولا عفصا، وليزد فى الاستحمام بالماء العذب المعتدل السخونة، ولا يتعرَّق فى الحمام كثيراً، وليتنقل باللوز، والسكر ويرتاض رياضة معتدلة ويعنى بالهضم، ويزيد فى نومه ووطائه ودثارهُ، ويتمَّرخ بدهن الخيرى وبالبان، ويأكل المربيات المعتدلة كالشقاقل، والأترج وحبَّه الخضراء، ويأكل الأخبصة الرطبة واللوزينج، والقطايف، والزلابية بالعسل، والسكر، ويشتم النمام، والمرزنجوش، ويتنشق الأدهان.

أصحاب المزاج الحار الرطب :

هؤلاء أقل ما يضرهم الباءة، بل كثير يضره تركه حتى يعتريهم الكآبة وسوء الهضم، وسقوط الشهوة ووجع البطن، وثقل ودوران وورم فى أعضاء التناسل، فمن عُرض له ذلك فليستعمل الباءة باعتدال والتقليل من الشراب، ثم يتطيب وينام نوماً كثيراً فإن ذلك يُعِدْ قوته إلى حالها، ومتى رأيت البدن يعتريه بعقب الجماع نافض فاحش فاستفرغه بالأدوية المفرّغة للمرار الأصفر، ثم عد إلى تدبيره وترطيبه.

أصحاب المزاج البارد الرطب :

ينبغى أن يعنى بتسخين هؤلاء أكثر، فتكون أغذيتهم حارة إما بالطبع، وإما بما يختلط بها من التوابل، وليأخذ المربيات المسخنة، كالمثرودنطوس المعمول بالأسفيقون، ويشربون الشراب المادى، أو نبيذ العسل، وهو الأجود المصرى المسمى المزر، فإنه نافع لهم.

وبالجملة: فإنهم يحتاجون إلى الأدوية الحارة المشهورة بأدوية الباءة، فإن احتمالهم لها، وانتفاعهم بها بقدر ميلهم إلى البرودة.

أصحاب المزاج الحار اليابس :

ليكن الغرض ترطيبهم وحفظهم من أن تشتعل بهم الحرارة الغريزية ، وذلك يكون للأغذية المرطبة من البقول ، وألوان الطبيخ ، والسمك الطرى والبيض واللبن الحليب ، والاغتسال الكثير بالماء الفاتر والبارد، والتمريخ بالأدهان المعتدلة، وترك التعب والحركات ، والسهر والاكثار من الشراب الأبيض الرقيق بالمزاج الكثير ، أو نقيع الزبيب الذى لايكون فيه عسل ، ويكون ما يأخذونه من أدوية الباءة الكثيرة الترطيب المعتدلة الأسخان، كالدواء المتخذ من اللبن والترنجبين ، وأكل السمك المكبب ، والبيض النيمرست ، ولحوم الجداء الرضع المعمولة باللوز ، ودهنه بالسكر الطبرزد ، والخبز السميد، والتمر الشهريز المنقوع فى اللبن .

فأما أصحاب المزاج المعتدل :

فإن هؤلاء ينتفعون بحفظ أمزجتهم بالأشياء المشاكلة لمزاجهم من المأكول والمشروب، وسائر التدبير، ويسلك بهم فى التدبير مسلك أهل المزاجات الباردة اليابسة.

باب
علاج الانقطاع وإعلال الذكر

إن فى الذكر والأنثيين قوة تجتلب إليها من جميع الجسد، والحركة إنما تكون فيها من الدماغ، وربما كانت من قبل المحبة التى تأتى من القلب، وربما كانت من القوة العارية التى تأتى من الكبد، فإن كان ذلك من القوة التى من الدماغ ، فإن أداة الأعضاء العصبانية تسترخى وتضعف ، وإن كان ذلك من قبل القوة التى تأتى من القلب، فإن حمية الريح وشدتها قد تستنقص، فمن أجل ذلك ينتشر الذكر ولا ينتفخ ، وإن كان من قبل الذى يأتى من الكبد عن نقصان رطوبة الكبد وقوتها المدمجة ، فمن أجل ذلك تقل الشهوة وتذهب وأيضاً فإنه إذا كثر ماء الصلب والمنى، وكثرت الريح التى تأتى من القلب هاجت من بعض العلل كثر الإمزاء، وكثر انتشار الذكر، فإذا امتنع الذكر عن فعله ، فانظر أى شهوة ذهبت، فعالج الأصل الذى نشأ منه ، فإن كان سببها للدماغ ، فاجعل العلاج للدماغ، وإن كان سببها للكبد فعالج الكبد ، وإن كان السبب فيه مرض الثلاثة ، فعالجها كلها كيف شئت ، وأمكنك، إما تارة واحدة ، وإما واحد بعد الآخر.

وذلك إن القوى التى تصل إليه من الدماغ إذا امتنعت عن فعلها فى هذا العضو من قبل فساد مزاج عرّض فيه ، أو فى مجارى هذه القوة امتنع بذلك العصب الذى يؤدى إليه الحركة ، والحس من الدماغ ، فعاق ذلك الذكر عن فعله.

فإذا امتنعت قوة الحرارة ، والحرارة التى تنحدر إليه من القلب لضعف القلب ، أو لشدة تعرض فيه ، أو فى مجارى الريح إليه، لم يقم الذكر ، ولم ينتشر.

وإذا امتنعت القوة التى تنحدر فى عروق الكبد وعروق الكليتين إلى الأحليل من الكبد ، بردت عند ذلك شهوته ، وامتنع عن فعله لفقد الغذاء .

علامات ذلك : إذا رأيت المنى يستنقص ، فاعلم أن ذلك من قبل الدماغ .

وإذا رأيت الذكر لايكون سريع الانتشار ، ولاقوى الحركة فاعلم أن ذلك من قبل عروق القلب.

وقد تأمر الأطباء عند غلبة الرطوبة الغريزية أن يفتض الأبكار .

ثم قال : وإن كان ذهاب الشهوة من علة فى الدماغ ، **فعالج للدماغ بأن تنظر** ، فإن كان من فضل اجتمع فيه ، أو من شدة البخار **فتق ذلك بالأدهان ، والغرغرة** ، والأيارجات ، والكماد والصبّ وإن التكميد يحل، وكذلك **الأدهان**.

وأما العطاس: فإنه ينزل الفضول .

وأما السُّعوط : فإنه يفتح السدد التى فى المجارى .

فإن كانت تلك الفضلة من كيموس جار لم يقربه شىء حاراً أصلاً، لكن تستعمل الأدهان الباردة ، وصب اللبن.

فإن كان ذلك من ضعف الدماغ فاستعطه بالسَّليثا ، وأشباهه، وقوه بكل **ما تقدر عليه**.

وإن كان ذهاب الشهوة من قبل الغم ، فاسقه دواء المسك ، **وذلك إذا كان الغم** من غير علة ، فإنه إذا عرض بغير سبب ، فإنما ذلك من قبل المرة السوداء، **فأخرج الدم الفاسد**، واسقه الأدوية المسهلة الغاسلة لأوساخ البدن ، ثم اعطه دواء المسك، ومايجرى مجراه .

فإن رأيت ذهاب الشهوة من قبل ضعف الكبد: فاسقه الأدوية النافعة للكبد من رسلكركم والأمروسيا، وأشباه ذلك فهذا أصل ما أورده إسحاق بن سليمان **فى شعره** الذى نظمه فى هذا المعنى ، ولم يورده على جهته لنباهته فى العباره .

فأما جالينوس فإنه قال : إن الأعراض اللاحقة لانقطاع شهوة الجماع ، **فهى**:

أحدها : من كثرة الهم ، والغم الدائمين .

والثانية : من رخاوة المفاصل.

والثالثة : من التعب الشديد .

والرابعة : من النظر للوجوه .

والخامسة : من احتراق بعض أوردة الأوعية.

والسادسة : الأورام والقروح العارضة فى الإحليل . .

الأعراض اللاحقة لقلة المنى والشهوة وقوته، خمسة، وهى :

أحدها : من ضعف الأوعية، وذلك أنها إذا ضعفت لم يقدر على ضبط المنى .

والثانية : ضعف الكبد، وذلك أن الكبد إذا ضعف لم يحمل دماً يصلح لذلك .

والثالثة : الامتلاء من الأطعمة خاصة الباردة اليابسة ، لأن هذه تبرد العروق، فإذا بردت لم يخرقها دم وتكون ضد المنى .

الرابعة : من قبل السن إذا أمعنت فى الكبر قلّت منتها .

الخامسة : الجماع بغير استعمال الأدوية التى تغزر المنى، وتخلف ماذهب منه ، فينقص على طول الأيام ويقل .

وأما الأعراض اللاحقه للإنسان عند دنوه من المباشرة من الانقطاع خمسة :

أحدها : الفزع .

والثانية : الحياء .

والثالثة : كثرة البلغم المجتمع فى أوعية المنى ، فإنه إذا حمى حميت أعضاء الجماع ، وإذا دبت للحاجة انصب ذلك البلغم ، فقطع حرّها وكسر حمّاها.

والرابعة : ينقص شهوة الذى يدنو منه خاصة ، وأن يكون بغير شهوة غريزية .

والخامسة : قلة العادة بأن يكون الإنسان لم يعرف النساء.

فهذه الأشياء العائقة عن الجماع، والأعراض القاطعة لشهوته .

فأما الأحوال المانعة العائقة عن الجماع فإنها من جهة مزاج البدن :

فنقول : إن منها ما يحدث عن الحر واليبس .

وعلامته: أن يكون صاحبه كثير الشهوة بنظره وقلبه وفكره لكثرة الحرارة ، وأن يكون كثير الأنعاظ للحدة ، والحرارة، وأن يكون نزر الماء لفرط اليبس .

وعلاجه : استعمال الأشياء الباردة الرطبة، كالسمك الطرى ، ومن نبات الشبابيط، والبنى، واللبن الرايب ، وخاصة رايب البقر، وأكل البطيخ والخيار والقثاء، وبقلة الحمقا، والخسّ والقرع والبقلة اليمانيه ، وما أشبه ذلك، وأن يدهن الذكر والأنثيين بدهن البنفسج ، ودهن الينوفر، ودهن السمسم المربا بدهن القرع ، ودهن حب القرع.

والذى يجب للمحرور، أن يستعمله فى الصيف، أن يتعالج للزيادة فى الباءة ، وخاصة الإنعاظ أن يمرّخ ذكره وأنثيه والركب وأسفل السرة بالبان الساذج، من غير أن يكون فيه مسك ولا عنبر ولاشىء من الأفاويه، وأن يأكل الهليون ، والجرجير والنعنع مع حبوب الحولى من الضّأن والحمص المنقوع ، والهليون بالفراريج الذكوره المسمنة بالحنطة والأرز بعد أن يطبخها بلبن الحليب وأن يأكل الشقاقل المُربّا والأترج المُربا، والجوز المرُبَّا، وكل هذا بعسل الطبرزد وفى الشِتاء بالزنجبيل المربًّا بالعسل .

ومنها : مايحدث من البرد ، واليبس.

وعلامته : قلة شهوة الجماع من غير انعاظ ولاتكون شهوة أصلاً ،وربما كان المنى قليلاً يسيراً حاراً ، وعلاجه بالأشياء الحارة الرطبة، مثل حبوب الحولى من الضأن، والهليون ، والبصل الطرى ،والنعنع ، والزنجبيل، والدار فلفل ، والشقاقل، والأسقنقور، وملحه ، وإدمان أكل الحمص المنقوع مع ملح الأسقنقور ، والزنجبيل، والفلفل فى الملح قبل الطعام ، والانتظار عليه طويلا حتى يعمل ويؤكل على ما وصفنا.

ومنها : مايحدث عن البرد والرطوبة.

وعلامته : قلة الشهوة للجماع والإنعاظ لمكان البرد ، والمنى يكون كثيراً رقيقا مأتياً لكثرة الرطوبة .

وعلاجه : بالأشياء الحارة اليابسة كأخذ الترياق والمثروذنطوس والسخرينا واستعمال الفلفل ، والخردل، والدارصينى ، والفجل النبطى ، وأكل العصافير ، وفراخ النواهض، والقنابر بالملح الذى فيه الفلفل والحلتيت ، والدارصينى ، ويتمسح بدهن الناردين، ودهن القثاء ، والبان وفيه مسك وعنبر وعاقر قرحا وجنديبدشتر .

وأما صاحب مزاج الحرارة والرطوبة: فمحمود للجماع مقوله مثبت ملائم لمذهبه.

وتقوية هذا المزاج بالأشياء الحارة الرطبة من حبوب الحولى ، والجزر ، والسلجم، والبصل، وصفرة البيض مع البصل الأبيض، والزنجبيل، والدارفلفل.

فأما الأشياء القاطعة للمنى المجمدة له: فكل لطيف محلل للنفخ كالسذاب، والفوتنج، والحرمل، والكمون، والمرزنجوش.

وكل بارد مجمد : كاللينوفر والورد والخلاف والبزرقطونا والبَنجْ ، والكافور.

وكل يابس قوى التجفيف: كالشهدانج والخرنوب ، والجاورس ، والعدس ، والشعير، والجمار.

وكل الأشياء القابضة : والحامضة والمُزة، والجامعة للحموضة والعفوصة كالحصرم، والسماق، والرمان الحامض، والتوت، والسفرجل، والتفاح، والمشمش، والخل، والشراب القهوة.

والبقول الكثيرة الماء والبرد: كالخس، والقرع، وبقله الحمقا ، والأكشوث، والكسفرة الرطبة، والطرخون ، وبقلة اليمانية ، والحماض ، والهندبا ، والباذروج ، والقثاء، والخيار .

ومما يضر بالباءة جداً : شرب الماء ، والتخم المتواتة، وإتيان الحائض، والذى لم تؤت زمانا طويلاً، واللواتى لم يبلغن.

وأضر ما بالرجل المنهوم بالنساء من كثرة الوطء، الذى يتعاطاه بشدة الرهز وقوة الطعن، فإن ذلك مما يقطع المنى ويورث البَهَر، ونفخ عند فقار الظهر .

ومن العلل التى تعرض فى الإحليل : خروج المنى فى غير وقته .

وذلك يكون من ست جهات :

الأولة: أن يقلل الإنسان من الجماع ، فيحبتس المنى ، ويجتمع الأول فالأول؛ فإذا كثر فى موضعه سال وخرج .

ومنها: أن تضعفه مواضع المنى ، فلا يقدر على حبسه لضعف المسام الحابسة ، لأن الله تعالى جعل فى كل عضو قوة حابسة تحبس الشىء إلى استكمال المنفعة به.

ومنها: من شدة القوة الدافعة ، فإنها إذا قويت دفعت المنى بغير إرادة من الإنسان.

ومنها: من قبل رقة المنى ولطافته، فلا يحبتس فى مكانه كالجرَّة يكون فيها عسل ، فلا ترشح، فإذا جعلت فيها ماء رشحت .

ومنها: من شدة حرارة المنى وقوته فإذا كان حاراً لم تستطع مواضع المنى من حبسه لفرط حدة الحرارة .

ونظير ذلك الماء الحار يصبه الإنسان على كفه ، فيورثه حرارته فيصبه من كفه مستفرغا.

ومنها: من فساد مزاج يابس مقبض فيسيل لمكان العصر العارض من المثانة.

وإذ قد ذكرنا قبل من كلام الأطباء فى علاج الانقطاع ، وأشباهه فلنذكر الآن بعض كلام الفضلاء فيه، ومن شكا إلى قومه أمر الجماع.

قال سليمان بن على :

قلتُ لرؤبة بن العجاج : ماعندك فى هذا الأمر يا أبا الحجاف؟

قال : يمتد ولا يشتد، فأظمأ، ثم أورد فلا أشرب .

فقال سليمان بن على : ذلك الكبر .

قال رؤبة : لا ولكنه للرعاث، لأن الناقة إذا بركوا عليها الفصيل فرَّغت كل شىء من ضرعها فقطع ذلك أصل اللبن.

وقال الحجاج بن يوسف لإكيل بن السراج العكلى : ماعندك للنساء؟

قال : وا لله إنى لأطيل الظمأ، وأزد فلا أشرب.

وقال بعض الأكاسرة : كنت خائفا إذا أنا كبرت الأير ذمنى النساء، فإذا أنا لا أريدهن.

قال الشاعر :

فأما الحسان فيأبيْننى وأما القباح فآبا أنا

ونظر شيخ إلى سرب من نساء كأنهن الأقمار، فقال : خزاهن ا لله وأخزى من يبغضهن.

وقال محمد بن زياد : قلت لشيخ : ماعندك فى النساء ؟

قال : القلب متسرع إليه وليس غير ذلك.

وكان معاوية بن أبى سفيان يقول : ما رأيت رجلاً منهوماً بالنساء وإلا رأيت ذلك فى منته.

قالوا : والدليل على من قل نكاحه أنه يكون أصلح منّةً وأظهر جلداً وأجود لبدنه وأظهر سُمْنًا.

وقد قال بعضهم : وأطول عمراً .

ومايجد ذلك فى جميع الحيوان وذلك أن الشفنين طائر يحب أنثاه، وهو شديد الهيج كثير السفاد، فإذا صيدت أنثاه استوحش، و لم يطلب أنثاه أبدا، فهو مهزول بالكمد ويسمن بالتأهل.

وأنشد أبو عبيدة :

عجبت من أيرى كيف يصنع
أدفعه بإصبعى ويرجع
ويقوم بعد الجهد ثم يضرع

وقال بعض الأعراب :

قد كان أيرى يا أميم حرا ... عند الهياج مسعداً مُيَّرا
فصار مايزداد إلا شراً ... حتى إذا ما قام واسبطرا
وانتفخت أوداجه ودرًّا ... عاد إلى خاسئا مُزْوَرًّا
كأنما أسقط شيئاً مُرًّا ... أريد بحراً ويريد برًّا
يالك من أير جزيت شراً

وقال آخر :

أصبح أيرى نائما عروقه ... وليس فى الناس حرٌ يذوقه
لاخير فيه يعجبه تَبْرِيقُهُ

وقال أبو عمرو الجزمى :

أقول لها أقيميه فقالت ... فديتك لايَهمُ ولايقوم
إذا كان أيرى ذا خلاف ... علىّ مع الزمان فمن ألوم

قالوا : ومتى خاف الرجل أن ينقطع إذا قعد ذلك المقعد انقطع، ومتى فكر فيه وهو فى العمل فتر .

ومن الناس من ينقطع عن أمته وزوجته إذا سمع فى البيت الآخر كلام أوخاف أن يدخل عليهما بعض أهل الدار.

وقال بعضهم : ليس فى الأرض مطلوب ألم من أير.

وقال الأصمعى : روادت أعرابية شيخاً عن نفسه، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أبطأ عليه الانتشار فأقبلت تستعجله وتوبخه.

فقال لها : ياهذه إنك تفتحين بيتاً، وأنا أنشر ميتاً .

وأنشد :

يالهف نفسى على نعظٍ فجعت به ... إذا التقى الركب المحلوق والركب

قال الأصمعى : انظروا كم بين هذا الشيخ وبين الشاعر الذى يقول فى نظر الغيرة:

نظرت إليها حين مرت ... كأنها على ظهر عادى فتاة من الجن

ولى ناظر لوكان يحبل ناظر ... بنظرته أنثى لقد حملت منى

فإن ولدت مابين تسعة أشهر ... إلى نظر أنثى فإن ابنها منى

وحدّث محمد بن أحمد بن مخزوم، وهو أبو الحسن الورّاق :

قال : حدثنا أحمد بن محمد القرشى، قال : سمعت سويد بن سعيد يقول : أى شىء معنى قول القائل :

أنعمى أم خالد ، ربَّ ساع لقاعد .

قلت : فقد روينا عن معاوية فى زوجته أم خالد ، فقال : لا، بل كان بالكوفة رجل لايكاد يتحرك عليه إحليله، فدعا بجارية فغمزته، فتحرك عليه فجلس من الجارية مجلس الرجل من المرأة ففطنت امرأته، وكان يقال لها: أم خالد، فجاءت ونحت الجارية ودخلت موضعها فجعلت الجارية تدور فى الدار، وتقول :

أنعمى أم خالد، رب ساع لقاعد، فأرسلتها مثلاً .

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمى : حدثنا أبو العيناء عن بعض

أصحابه قال : اشتريت جارية مليحة، فقمت إليها فلم يقم عليّ.

فأخذته بيدها، وقالت يصلح للمضير.

قلت لها: كيف ؟

قالت: يامولاى أليس هذا بقلة الحمقا .

صفة طلى لاسترخاء الذكر :

يؤخذ شيئاً من بَوْرق، وشيء من ورس، فيعجن بعسل منزوع الرغوة، ويلطخ به الذكر، وماحوله، وليدمن ذلك أياماً فإنه عجيب .

باب
من الحيل فى الباءة وأحواله

الحيلة للرجل السريع الإنزال حتى يبطىء : أن يشغل قلبه ، وهمته عن المرأة بشىء يشغله عن شهوتها ، وأن يتذكر غير ماهو فيه من سائر الأمور كالعذاب ، والحبس ، وما أشبه ذلك.

والحيلة للبطىء الإنزال : إذا كانت المرأة أسرع منه أن يشغل قلبه بها، ويصرف شهوته كلها إليها ، ويتوهمها الغاية فى الحسن والجمال، ولذة المنكح وإن لم تكن كذلك.

والحيلة فى نيك المرأة الهرمة : أن تشد تكُتها فى حقوها شداً محكماً، ثم تجذب جلدها كله إلى فوق الشد حتى ينبسط شناج حرها ومايليه ، ثم تفتح فى سراويل المرأة موضعاً موازيا لحرها فيأتيها منه .

الحيلة فى نيك المرأة الواسعة : يجعل تحت عجزها مخدة حتى ترتفع، وتمد إحدى رجليها، وتضم الأخرى، وتنيكها من قدام .

الحيلة فى تهييج غُلمة المرأة : أن تفرك حلمة ثدييها، فإنها تهتَاج هياجاً شديداً ، ومما يشهد بصحة ذلك أن المرأة إذا حملت انقطع لبنها لأن بين الثدى والرحم اتصال .

فى الخواص :

قالوا : إذا أردت أن تأتى امرأتك وهى نائمة لا تعلم ، فخذ ضرس إنسان ميت ، وعظم هدهد من الجانب الأيمن، فصيرها جميعاً فى خرقه ، وضع الصرة تحت رأسها واصنع ما شئت ، فإنها لا تعلم حتى تأخذه من موضعه .

صفة قفل الأير :

كانت لأبى الخطاب بن صباح جارية تهواه ، فحملها الشغف به ، والغيرة عليه أن عملت هذا القفل وأنفذته إليه ، وطالبته بأن يقفل على ذكره.

وصفته : وهو أن تعمل حلقة صغيرة سعتها مقدار امتلاء الأير ، وهو غير قائم ، ويكون فى وسطها لولب كالخلخال ، ثم تجعل فى رأس كل طرف من أطراف الحلقة شاخة قائمة قوية، ويكون فى رأس كل شاخة شاخة أخرى معكوسة رقيقة، مثل ما

يكون لفراشة القفل ، ثم تعمل أنبوبا لطيفاً مفتوح الرأس الأعلى ، ويكون على الرأس الأسفل فلس مثل ما يكون لأسفل القفل ، ويكون فيه ثقبان لتدخل فيهما الشاختان كدخول الفراشة فى القفل، فإذا أريد فتحه أدخل فى الأنبوب مفتاح لطيف لتضم الشاختان ، فينفتح وإن أريد قفله على الذكر أدخل فى الحلقة ، فإنه إذا كان فيها لم يقدر على القيام.

فلما وصل هذا القفل إلى أبى الخطاب وقف عليه، وقال للرسول : قل لها : تطول من كل جانب من جانب شفريها ثلاث طاقات من الشعر النابت عليها حتى أجمعها ، وأعقدها ، وأضع عليها أسرجه وأختمه ، فإذا فعلت هذا، قفلت أيرى كما رسمت .

صفه خطاف الحر :

يؤخذ ذنب حمار وحشى صغير ، فتحلق الشعر الذى عليه ، ويطلى بخطمى، ويأخذه الرجل فى كمه فإذا قعد الرجل من المرأة مقعدة أخذه وأدخله فى حرها ، فإنها لاتشك ألبتة أنه أير قائم ، فإذا أراد أن يخرجه لحقها أمر عظيم لأن أصول الشعر الذى فى الذنب مستقبلة لشفريها .

الحيلة فى مطالبة المرأة بالنيك : أن تطرح فى الماء الذى تستنجى به كسجك، وهو الذى يطرح على قفا الرجل ، فيحكه ذلك فلا يزال يحكه حتى يصفع نفسه.

وإن شئت أن تجعله فى الإبريق الذى تتمسح به المرأة.

وأقوى من ذلك أن يؤخذ زنجار وشبًّا ، ويسير من نوشادر، فيسحق ويجعل فى الماء، فإنه يقع عليها حكة عظيمة.

قال أهل المعرفة بالأشياء : إن أراد الرجل نيك المغنية ، فلن يدرك بغيته منها ، أو يرضى للزامرة والرقيبة قبل المعشوقة، فليحمل على نفسه وإن كانت الزامرة سوداء ذات مشافير ، والرقيبة عجوز بيضاء العذائر ، وإن كان الرقيب مخنثا، فبخ بخ، هناك سعد جد العاشق ، وثلج صدره ، وملك الأمر ، فينيك المخنث فردين ، ثم ينيك الزامرة فرداً، ويظهر للمخنث أن الداعى له إلى ذلك خفة روحه ولين بدنه ، وضيق مبعره ، وحسن فتحته ، وحرارة جوفه ، وأنه أطيب من المغنية مناكا، وأجود أوراكا ، وأملح انفراكاً ، وأن يتفقده بيسير من البر ويطرح له إذا جلس مخدة ، وإذا شرب حيّ .

قال الشاعر :

نيك الرقيب لما تريد معين ... وبه لعمرك ما تحب يكون

إن الرقيب إذا قضيت زمامه ... أضحى يقود عليك وهو أمين

وقال آخر :

نك كل زامرة ترى مع قينة ... فإذا فعلت غدت عليك تقود

وكذى الحوافظ أرضهن بنيكهم ... يحظى بما يهوى الفتى ويريد

الحيلة فى نيك غلام فى حمام حتى لايقع فى نيكه غبن[1].

الحيلة فى ذلك: أن تطرح القطع فى قصعه فيها ماء ، ثم تأمره بلقطها من القصعة، يكون هو متشاغل بلقطها ، والرجل يأتيه وإن اتفق دخول إنسان من قبل أن يفرغ ، يكون الغلام قد لقط بمقدار ما عفجه الرجل فلا يلحقه غبن .

ومن الناس من يطرح القطاع فى أرض الحمام، ويأمره بلقطها، فإن لقطها من فوق لأرض يتعب أيضاً .

وحيلة يعملها العُلُوق حتى تعلم اللاطة أنهم قد أطلوا وهو ذا أطلى العلق بالنورة لا ينزع خاتمه ، فإن رائحة النّورة تحدث فى الخاتم طاووسية ، فإذا نظر اللوطى إلى الخاتم بهذه الصورة علم أنه قد أطلى فى ذلك اليوم فيدعوه .

الحيلة التى يحتاج إليها الدَّباب :

يحتاج إلى ثلاثة أشياء :

أن تكون معه حصاتان يحذف أحدهما السقف ، ثم ينظر قليلا ثم يحذف بالأخرى، فإن وقعت الثانية ، و لم يتحرك أحذ ، فالجماعة نيام.

والصواب أن يكون فى فمه شىء من الأشياء التى شأنها أن تدر الريق ، فإن فى وقت الدبيب يجف الريق، وقد يحتاج إلى فضل ما يحتاج إليه فى غير وقت الدبيب ، لأن لا يحس المنكوح بذلك.

---

(١) وهذا من أعظم الذنوب ، وأقبحها ، وخسف الله بقوم فعلوا ذلك .

والثالثة : أن يأخذ المخدة التى كان عليها نائماً فيزحف بها حتى إن لحق وضع رأسه عليها ونام ووهم أنه كان فى ذلك الموضع نائماً .

ويحتاج من دب إلى غلام بعد هذه الأشياء إلى أن يكون جيد الحدس، صحيح النظر ليأمن ما لحق أبو نواس .

وذلك أن أبا نواس له حكاية حكاها عنه ابن أبى المنذر.

قال : دعاه صديق له إلى بعض بساتين الخلد ، وكان معهم غلام حسن الوجه صائن لنفسه ، وكان يسقى القوم، فوضع أبو نواس عينه عليه ، وفطن الغلام لذلك ، فتخوفه، ولم يزالوا يشربون تحت أشجار مثمرة على أنهار مطردة إلى أن سكروا ، فناموا ، والغلام قاعد خوفا من أبى نواس ، فلم يزل كذلك حتى غلبه النوم ، فنام وغط حتى إذا علم أبو نواس أنه لم يبق أحد منتبه، قام إلى الغلام ، وأخذ فى عمله وحمله الشبق والسكر على أن حاف وقحم، فانتبه الغلام مذعورا، وكان جلدا قويا، فأخذ أبو نواس صيّره تحته ، وأقبل عليه ضربا ، وعضا وعالجه حتى تخلص من تحته فرماه بأترجةٍ فأصاب فكّه ، وأفلت فى الظلمة من يده .

قال ابن أبى المنذر : فلقيته ، فرأيت ما بوجهه من الأثر ، قلت له : ما هذا ؟

فقال : كان من خبرى كذا وكذا.

قلت : ياهذا نفسك ربح ، مع ما تخاطر بها ، وما أظنك تنجو من فعلاتك هذه الردئية.

فقال : دع عنك واسمع هذه ، فإنها أحسن شىء فى هذا المعنى ، قلت هات.

وأنشدنى :

اصبح أيرى معرضا عنى وكان من قصته أنى كنت ... بقصر الخلد فى روضة بين جنان الطل والمزن

خلالها النور لدى نرجس معتنق للآسى فى غصن ... من أصفر يرنو إلى أحمر وابيض فى اللون كالقطن

وبرمكى الصدغ فى حلة كانه من حسنه جنى ... ظل يسقى القوم من قهوة ناصعة من صنعة الدن

حتى إذا الليل بدا بالدجا ودبت الصهباء فى قرنى ... قلت لأيرى حين أبصرته تدمع عيناه من الحزن

إلك إن قصرت فيما أرى بت سخين العين فى سجن | فلم أزل أرصد حتى إذا مال على الجنب من الوهن
لم توفاه رسول الكرى فأطبق الجفن على الجفن | دببت كالعقرب جنبيه وتارة أحبو على بطنى
قصداً إليه فتبطنت ماحوى السراويل إلى المتين وكان | من وجدى أننى خالفت مجرى الرمح فى الطعن
فحس بالدسة فى جوفه فقام المدهوش كالجنى | حتى علانى وأنا تحته أدعو على الحرمان باللعن
مندمى الجبهة من بعد ما أفلت منه صعدَى الأذن | ثم رمى وجهى بأترجة لم تخط لما أن رمى سنى
فَرحت مجروحاً بلا حاجة وقام أيرى ضاحكا منى | يقول لى والذنب كلٌ له كذاك من يفعل بالظن

قال : وشرب ابن بسام عند صديق له ، ووضع عينه على غلام كان هناك ، صبيح الوجه ، فلما سكر ونام قام ليدب إليه ، فلدغته عقرب ، فصاح ، فانتبهوا القوم ، وأتوه بأنواع الترياق.

فلما أصبح قال فى ذلك هذه الأبيات :

ولقد عزمت مع الهدوء موعد | حصلته مع غادر كذاب
وإذا على ظهر الطريق معدَّة | سوداء قد عرضت أوان ذهابى
لابارك الرحم فيها عقربا | دبَّابة دبَّت إلى دبَّاب

وأضاف بعض الأعراب: رجلا ، فنظر إلى جارية لهم ، فعزم على الدبيب إليها ، فلما كان فى أول الليل نهض فإذا عجوز قائمة تصلى ، فرجع فى آخر الليل ، فإذا كلب ينبح والعجوز تصلى والقمر قد طلع.

فانطلق وهو يقول :

لم يخلق الله خلقا كنت أبغضه | غير العجوز وغير الكلب والقمر
هذا ينوح وهذا يستضاء به | وهذه شيخة قوامة السحر

ولأبى نواس :

إذا هجع النيام لخل عنى | وعمن كان يصلح للدبيب
فإنى عالم فطن أديب | ولاينبئك مثلى فتى أديب
ألد النيك تأخذه سراراً | بمنع الحب أو منع الرقيب
ألا ويلى على ولد النصارى | قريب مفعق خنث أريب

بليـــــت بشـــــادن أحـــــوى	ربيـــب بعيـــد فـــى مودتـــه قريـــب
كـــأن تعطـــف الأعطـــاف منـــه	قضيـــب مـــال فـــى أعلـــى كثيـــب
ظفـــرت بمقعـــد الزنـــار منـــه	ومـــا ارتـــابت ظنـــون المســـتريب
فجلـــت بخفـــة فـــى الـــردف منـــه	فيـــا للهـــو مـــن لـــين وطيـــب
فلمـــا اشـــتد للشـــبق اصطبـــارى	ورفـــع مـــن ذلاذلـــه قضيبـــى
تنبـــه حـــين أمطـــره ســـحابى	وأنكـــر حـــالتى ورأى وثوبـــى
فقـــام يســـبنى ويحـــط قـــدرى	فقلـــت لـــه ترفـــق يـــاحبيبى

ومن المخدرات :

قال جالينوس :

مما يسرع السكر قشور الأترج، وصمغ الخشخاش، وبنج أسود، من كل واحد نصف درهم، جَوْزبوا، وسك، وعود، من كل واحد قيراط، يتخذ أقراصاً، الشربة منه دانق .

تفاحة تسكر سريعا إذا شمت:

ميعه، وزعفران، وحماماً، ولفاح، وقشور أصول اليبروج ينعَّم سحقه، ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشتم .

حب يُسْكِر: مرّ، وميعة، وبزرينج، ويبروح، من كل واحد دانق، أفيون وسك من كل واحد قيراط والشربه قيراط .

بخور يُسْكر : لفّاح بقشره، حماما، واصطرك، ولبنى، وزعفران، تجعل بنادق وتبخر به، فإنه يسكر .

آخر : بزربنج يطبخ بالماء حتى يغلظ، ثم يؤخذ يبروح وزن دانقين، أفيون دانق، ودانق سك، يجمع ذلك، ويعجن بوزن درهم من ماء البنج، ويذاب فى رطل شراب ويسقى.

دواء يسكر ولايُغشّى : قشور اليبروح، وأفيون من كل واحد نصف درهم، جوزبوا، وعود من كل واحد دانق وهى الشربة .

دخنة تنوم: تأخذ يبروج جزء، وقماشير مثله، ويسحق ويعجن بماء شجرة الحرمل الرطب، فإذا أردت أن تدخن به فسد أنفك بقطنة مروّاة من الدهن.

سراج : من كان بين يديه عُشى بصره، ومن كان خلفه رأى كل ما فى البيت: تأخذ شحم الدلفين، وهو المعروف بالدخس يذاب حتى يصير دهناً، ثم يؤخذ خرقة من الكتان، ويسحق شيئا من زنجار وينثر على الخرقة وتعمل منه فتيلة، وتسرج بذلك الدّهن فى سراج نحاس.

غالية منومة : يؤخذ أصل الشيح وأصل اليبروح وأصل اللفاح، وأصل الجوز بوا من كل واحد وزن دانق ومن بزر الخس، وأصله من كل واحد نصف درهم، يدق الكل ويصب عليه غمره ماء عذب ويجعل فى شمس حاره خمسة عشر يوماً، يحرك كل ساعة ويصفى ماؤه ويؤخذ تفله، ويلقى على كل شيء منه دانق مسك وقيراط عنبر، ودانقين بان، ويجعل فى إناء زجاج ويشد رأسه، فإن أردت أن تطيب به من شئت، فإنه ينام فإن تركته طويلا هلك .

حلّهُ : تجعل رجله فى ماء حار وتدلك لسانه بعصل، ويصب فى حلقه دهن لوز ويقطر فى أنفه نقطة فإنه يفيق .

دخنة تنوم : يؤخذ جزء الحمام وجزء لبنى يابسه، وجزء يبروح وجزؤ مقل أزرق، يسحق ويلقى على البان وتسد أُنفك لئلا تنام أنت.

دُخْنة أخرى : دانق بزربنج مثله أفيون مصرى ومثله بزرخس، يدق الجميع وينخل وقت الحاجة، ويسقى منه وزن دانق ونصف فى النبيذ .

وقيل لبينادخت: كيف ينبغى للمرأة المعاشرة للزوج ؟

قالت : الأزواج ثلاثة منهم: الديوث .

ومنهم: ربُّ البيت .

ومنهم: الزوج .

فأما الزوج: فينبغى للمرأة أن تعاشره بإظهار مودة محضة، وتلاطفه وتواتيه بالعفاف، وكثرة ذكر فضله عل الرجال وتصلح بيته، وتوقره، وتظهر الشفقة عليه، وأن يكون منها فى ذلك المبالغة، فإن رأت شيئا عليه عياناً كذبت بصرها، ولم تصدق .

وأما الديوث : فتقول له : نام فإنك رمد العين قد عملت مرهماً، وضعته على عينيه وشدته وتفرغت لعملها .

وأما ربّ البيت: فعاشريه بالتجربة، وعامليه بالجميل، فإذا فعلت ذلك بلغت هواك.

باب
فتاوى الباءة

سئل بينافس الحكيم: عن الكلمة الكاذبة فى سبب النيك؟

قال : إياكم معاشر الفتيان أن تخرج هذه الكلمة من أفواهكم، وإنها سر كبير، وهى قوام أمرنا، اعلموا أن حياتنا الكذب وحقاً أقول لكم : إن أصل النيك ومرامه ومطالبه والوصول إليه والظفر بما يلتمس منه إنما هو اليمين الكاذبة، فإن وقع أحد منكم على رتبة يتخلص منها، و لم يفلت إلا بها فأول أمر النيك وواسطه وآخره وحافته الكذب، ونحن معاشر المجّان لامخرج لنا من التهم عند من التمس عثراتنا،ولاعيش لنا فيما نطالب به النساء بغير الكذب، كما لاعيش للبذر بغير الماء.

وقال آخر : لولا اعتصامى بالكذب عند فرطات وقعت فيها واستغاثتى به، لعدمت حياتى.

وقيل لبينافس: أى الأيور أحب إلى النساء ؟ الغليظ الكبير أم الدقيق الصغير ؟

قال : ماسمعت قول القائل : أحسن أصنافه القشيرى الغليظ الكبير، الضخم الكمرة، المكتنز الناتئ العروق المشرف المتنين العريض القفا، الركين الأصل، الذى إذا اشتد نعظه طمح رأسه طموح الفرس الطامح، فذلك الذى يكرم مثواه، ولايستبدل به سواه.

وأما الأير الذى هو المعقف الشبيه برجل الغراب، الدقيق أصلا، الواهن وسطا، والذابل فرعاً، الملتوى عنقاً، فاعركوا أذنيه، وادفعوا فى قفاه، واطردوه، ولاتأتوه، وأهينوا مثواه، واتخذوا سواه.

وقيل له : أيهما أجود وألذ الحرّ الضيق أم الواسع؟

فقال : الضيق من الأحراج بمنزلة اللحاف الدفئ فى الشتاء .

وأما الواسع فبطىء العمل .

وأفضل أحوال الحر وأحمد تباشيره: ضم المرأة فخذيها عند جولان الأير فى **قعر حرها.**

وقيل له : الشعرة الطويلة، خير أم المحلوقة ؟

فقال : الشعرة الطويلة: تبرد النفس، وتطفئ الحرارة وتطرد الشهوة وتحل نيركى النيك.

والمحلوقة: تهيج الشهوة، وتضرم نارها، وتشعل توقدها والتهابها ويشهى النيك، ويشفى القرم .

سئل غيره عن الحرّ النقى والركب المحلوق ؟

فقال : إن ذاك يُشبه بالفرس المعقود الشعر، والذنب على حالة جريه فى الوحل والردعة.

وقال آخر : الشعرة الطويلة تطفئ شهوة النيك وتخمد نار الأير، وتذبله، وتصده عن الحر .

والمحلوق: يسحب الفؤاد ويحيى الشهوة، وينعظ الأير وينشطه، وإنما يحلق ميعاداً للنيك وتأميلا له .

وأما الركب المثقل الشعرة : فإنه يغلظ الأير، ويزيده استنباها، ونشاطا إذا أمرّ على تلك الشعرة .

وقيل له : ماتقول : فى شدة الرهز وقوة العصر وسل الأير بشدة فى هذه الحال ؟

فقال: إن هذه الصنعة شريفة، لها لذة قاصدة، ومثلها فى الطيب، واللذاذة كلذاذة نزوان فيل على شاة .

فأما الرهز فمنه تهييج الغلمة للرجل، ونشاط له، وشحذ لقلبه، وإثارة شهوته، وجلبا للنيك، وفضول إلى قضاء النهمة، كما أن السفن تسرع الجرى فى الأنهار، وتقطع الطريق البعيدة بشدة الحذف، وكذلك الأير يسرع عمله بالرهز، والسحق، والحك، واللمس، والعصر، والنيك يطيب بالغمز، وكثرة الرفع والخفض، والنصب، والنشط، والقبض، والتقديم، والتأخير، والهمهمة، والصهيل، والنخير، والحمحمة ومداومة الصفق، وجودة السحق، والتقريب بالأير فى الحر والتصعيد والجولان فى تربيعه وتثليثه وزواياه وأسكتيه، والتوقف به فى كل صدعة وهذه أحوال لا يظفر بها الأديب الماهر والأريب الخابر .

ووصف آخر الرهز بالبته قال : يكون من لدن فرج المرأة إلى السرة، وتدمن المرأة للضرب به على بطن الرجل متابعا جواب ضربه، ولهذه الصنعة من الفضيلة على سائر صنفوف الرهز كفضيلة المسك فى الذكاء على الأفاوية وفضيلة الذهب على كل الجواهر.

وقيل لبينافس الحكيم : هل يقصم الظهر إذا أخذها الشهيق وثارت شهوتها للجماع؟

فقال: كما أنه يتحرك من الرجل عند شهوته للنيك طوماره، كذلك للمرأ عرق متصل من لدن سرتها إلى ركبها يسمى عرق الرجل، فإذا اشتهت النيك قبض ذلك العرق، كما أن الإنسان إذا اشتهى الطعام والشراب لايجد لفيه حكاكا، ولكن تثور الشهوة من باطن الإنسان، وكذلك شهوة النساء للنيك .

وقيل له أيضا : أيها ألذ الحر الواسع أم الحر الضيق؟

فقال : الحر الصلب الضيق، إنما هو بمنزلة الدثار فى الشتاء، والحر الواسع يبطىء العمل فيه، ولكن إن كانت صاحبة الحر الواسع نحيلة، كان من الحيلة لها أن تضم فخذيها وتسخن النائك لها برهزها من أسفل.

قالوا : ونيك الأقلف ألذ للمرأة من نيك المختون، وذلك لأن السحق والمسح واللمس والشك مثل تلك الأيور على لون قلفها عليها، وهو ألذ للمرأة وأطيب لطعم نيكها من الأيور المختونة المعراة، التى تمرق من الحر مرغية ومسلوكة وساحقة .

وقالت بينادخت: يحتاج من أراد من النساء أن تظفر بلذة النيك من الشباب أن تعتمد التهيئ والتنضيف ليدوم لها مداعبة الرجال، ومفاكهتهم، وأن تخضع فى القول لهم برخامة المنطق، والأحداق بالنظر مرة ومرة مسارقة والتبسم فى وجوههم، وعرض نفسها عليهم، ودعاء كل رجل إليها، والبشاشة بهم مع حديث يشغل القلب، ويهيجه وأن تكون النورة والزرنيخ مخلوطين فى بيتها حتى لاتزال ركبهن محلوقا منضَّفًا، وذوائبها مقضبة، وثيابها نضاف مصبغة، وخدها ومعانيها مطيبة، وأن تكون لوجهها غاسلة، ولشعرها إن كان فيه فضلة من حاجب لاقطة، وأن تستعمل المُرْتك فى كل يوم بالماء البارد فى إبطيها فإنه رأس الطيب .

فإذا اشتهت النيك وأرادته، فلتغسل رأسها وتطيبة بالدهن، ثم اللخالخ الفاضحة الروائح وتستعمل السواك، والخلال ثم تمضغ ما يطيب الفم من الطيب، ثم تستعمل الكحل، فإنه داع لتهيج النيك، ثم يعمد الرجل الذى يريد أن ينكيها فليغسل رأسه

ويطليه بالدهن الطيب الرائحة، ويضمخ جسده ومعانيه بطيب غير الذى تطيب به المرأة مما يشمه الرجال، ويحشو منخريه وأذنيه بالغالية الفائقة، ثم يمزج له ماء الورد بالبنفسج، ويصبه على هامته، ومفرقه وأن يجعل طعامه وفى المرق الشىء المنعظ الزائد فى الماء المهيج للجماع، وتسقيه أيضا من الشراب الطيب ريحا، اللذيذ مذاقاً، الذى فيه بعض الحلاوة، الصافى الذى ليس بالصلب فيقطعه عن الجماع، وتجعل لباسها عند الشراب الثياب الرقاق، وهو أيضا ليرى حاله ولتقبض هى على أيره والرجل على حرها، ولاتزال المرأة تغمز أيره من غير أن تمدده حتى تستدر نعظاً، ويسخن وتمتد عروقه فى يدها، فإذا اشتده هاجا جميعاً، ثم تسقيه الشربة الثالثة بيدها اليمنى وهى ماسكة أيره بيدها اليسرى، وتثنى عصره، ولتقلب عينها، وتنود برأسها، وتلمض بفيها، وتدنو منه فاتحة فاها بعض الفتح كأنها تلهث، قد أرخت رجليها، وزحفت إليه حتى ألصقت صدرها بصدره ووضعت كمرته فى صدغ حرّها ثم ترفع رجليها، فتضعها على منكبيه وضعا يستبين به فلق حرها، وركبها، فعند ذلك يدس أيره فى حرها حريصاً جاهدا معتمداً نيكها بكل قوته ويديه مع الرهز، الذى كل ستة، اثنى عشرة هزة، فإذا فعلت ذلك جرت حلاوة النيك ولذته فى جميع عروقها ومفاصلها وأصلح لها جسمها وأنماه وأطراه كما يربو زكوا العطار من الشجر والكرمة إذا ساح بها الماء العذب الزلال .

فهذا نوع من كلام علماء الفرس بصناعة الباءة .

فأما فلاسفة الهند الذين تكلموا فى هذا العلم : فإنهم يختلفون فى إنزال المرأة .

وبعضهم يقول: إنها لاتنزل.

وبعضهم يقول: إنها تنزل إنزالاً متتابعاً، والدليل على ذلك أن أحدهم كان يذكر أن لذة الرجل عند الغشيان أفضل من لذة المرأة، وذلك أن الرجل ينزل والمرأة لاتنزل، وأعظم ما فى الغشيان من اللذة لذة الإنزال .

وقد تجد المرأة اللذة على مقدار ما فيها منها، لأن الذى فيها من قبل وجهين .

أما أحدهما : فإنه يحدث بها عند الغشيان حكة لايذهبها إلا حمل الذكر بالمجامعة، فإذا خالطها الرجل ذهبت عنها تلك الحكة .

والوجه الآخر : أنها إذا رأت هيئة صاحبها وجماله سرت بغشيانه إياها، وإقباله عليها فتجد لذة أخرى تنضاف إلى لذة الحركة .

ومما يستدل به على أن لذة الرجل، إنما هى الإنزال وأن لذة المرأة ليس فى الإنزال: أن الرجل إذا غشى المرأة لم يزل عليها مقبلا ولغشيانها مستلذا وعمله قوياً، حتى ينزل، فإذا أنزل؛ انكسر ذلك كله منه وفتر، وضعفت قوته، وتنحا عن المرأة، ورفض كل ما كان فيه.

والمرأة ليس يضعف قوتها ولاتفتر شهوتها ولاتزال لذتها متصلة لاغاية لها .

وإلا لو أنها كانت تنزل لأظهرت عند إنزالها من الضعف والفتور، والكراهة للرجل والرفض له مثل ما فعل الرجل عند إنزاله .

فإن قال قائل : فإنا قد نرى أحب الرجال إلى النساء أطولهم مجامعة، وأبطأ إنزالا .

فيقال : إنه ليس مايحب النساء من مجامعة الرجال إبطاء إنزالهن، إلا لطول لذتهن فى الحكة كما أن شفاء أصحاب الجرب أن يطول حكهم إياه، فلذلك أحببن طول المجامعة وهذا قول من قال أنهن لاينزلن .

وقال أيبران : إن بقاء شهوة المرأة لطول مجامعتها ليس لانتظارها الإنزال فى آخر أمرها كما قال أذالقى الحكيم، بل إنها لاتزال تنزل من حين مجامعتها للرجل إلى أن يقضى حاجته منها، فإنها تنزل إنزالا متتابعا مقبلا بعضه على أثر بعض، فهى تجد عند ذلك لذة وقوة .

أما الرجل فإنما يكون ذلك منه عند فراغه فى آخر أمره .

وعارضه فيلسوف آخر، إن قول أيبران إن النساء ينزلن إنزالا متتابعا متصلا لقريب من الصواب، وذلك أنا قد نعلم أنه يكون الحبل من المرأة إلا من التقاء مائها وماء الرجل فى حالة واحدة، نزل ذلك عل أن إنزالها مع إنزال الرجل الذى من إنزاله يكون الحبل بالتقاء الماءين .

وإنى لأظن أن أذالقى قد أخطأ فى قوله: إن المرأة لاتزال تنزل من أول مجامعة الرجل إلى انقضاء شهوته، لأنا قد علمنا ما شأن النساء الحب لطول المجامعة، والكراهة لقصر مدتها فإذا كانت تنزل ماءها الذى فيه لذتها وبه قوتها، فإن حاجتها إلى طول المجامعة،

وكراهتها قصرها، وقد قضت لذتها وذهبت شهوتها، وقد بحث فى قوله مستأنفا فى حاجة المرأة إلى طول المجامعة، وإن كانت تنزل فى أول أمرها، فذلك إنما تنزل ماءها متصلا شيئا بعد شئ، فيكون آخر ماتنزل من مائها من الرجل مايكون فى أوله، فلا تزال تجد لذة ما جامعها الرجل، ولاتزال تطلب المجامعة، لأنها من تتابع اللذة إلى أن تنزل آخر مائها،

فإن طعن طاعن فى قول من قال: إن إنزال المرأة متصل، ولذتها متصلة متتابعة، فقد أخطأ.

وقال أذالقى الفيلسوف : إن كانت شهوتها من حيث يغشاها الرجل إلى أن يفرغ مختلفة منها متصلة؛ لأن إنزالها الماء متصل متتابع فما بال أحوالها، مختلفة، فقد نراها يحدث فى حال الجماع من أوله إلى آخره من المرأة أشياء لاتشهد بما ذكر من اتصال لذتها وبقاء شهوتها.

فمن ذلك أن المرأة تبتدئ المجامعة حين يبتدئ بها المجامع ببعض الفتور والانقباض وضعف الشهوة، وقلة النشاط إلى الرجل، والإقبال عليه، ثم يكون ذلك منها فى وسط المجامعة، حتى ربما أفرط من بعض النساء فيذهب من أجله عقلها، ويذهلها عن كل شيء، ثم لايخلو أن يأتى عليها بعد ذلك حال تكره ماهي فيه، ويضعف قوتها لشهوتها له، حتى تبكى وتستعفى منه، فلو كان إنزالها متصلاً لاتصلت لذتها معه، وبقيت شهوتها ببقائه، وكان مع كل شيء من الإنزال قسط من الشهوة و لم يختلف فى حال ضعف ولا فى حال قوة .

وقد يرد ذلك عليه أن يقال له : إن فتور شهوة المرأة فى أول أمرها، وآخرها، وقوتها فى وسطه؛ ليس بدليل على أن إنزالها ليس بمتتابع، وأن لذتها ليست متصلة، وإن من شأن كل متصل من الأعمال الفتور، والضعف من أوله وآخره، والقوة فى أوسطه كالرّحا الذى يعمل عليها صاحب الفخار فإنه يديرها فى ابتداء إدارتها فتكون ضعيفة الدوران بقدر ماحركها، فكلما أدارها ازدادت قوة إلى وسط أمرها، ثم تزداد فتوراً وضعفا إلى آخر فراغه من عمله .

ومثل ذلك: دوارة العلاج فإنه إذا أرسلها يكون فيها بعض الاضطراب، ثم إذا استحكم دورانها اشتدت حتى يظن من رآها أنها قائمة، ثم تفتر فى آخر أمرها.

وكذلك تبتدئ المرأة فى الشهوة بعض الفتور والضعف والكراهة، ثم يقوى ذلك منها ويستحكم فى وسط أمرها، ثم يضعف فى آخره.

وقال مابتانى الفيلسوف: أما كراهة المرأة للغشيان عند آخر أمرها، فإنما ذلك لأن ماءها يضعف وتقل شهوتها وتفتر بقدر ماينقص من مائها، فتكرهه عند ذلك وتفتر عنه، ولذتها مع ذلك متصلة وشهوتها دارّة منذ حين ابتداء أن يجامعها إلى آخر أمرها مع بعض الضعف الذى دخلها النقصان وقلته، إذا أنزلت ماءها كله نقصت شهوتها كلها؛ لأن الشهوة هى مع الماء، فإذا أنزلت ذهبت شهوتها، وأما لذة الرجل بقاء شهوته وقوته فهو إلى إنزاله، فإذا أنزل، نقصت شهوته وضعفت قوته.

ويستدل بما وصفت من هذا؛ أنه كما أن الرجل جعلت شهوته ولذته فى إنزاله، فكذلك المرأة لاتنال اللذة إلا بالإنزال أيضا، هذا خلاف القول من أذالقى الحكيم : أن المرأة تنزل كما ينزل الرجل.

وقال آخر : ما بال المرأة لايكون فى بدو لذتها وقوة شهوتها ومايتبع الشهوة منها كالرجل، فهما من صنف واحد ماخلا التذكير والتأنيث.

فقوله : إنه لو كان لايجمع بينهما إلا الحياة وكانا مختلفين فى خلقهما وصورتهما لكان أقرب لقول من قال: إنها لاتنزل من الصواب وأحرى أ ن يكون حقا، فإن اشتبه على بعض الناس بأن لذتها ليست فى شئ واحد من قبل اختلافها فى عملها.

قيل له : إذا كان فاعلا والأنثى مفعول بها، فليس فى ذلك الاختلاف، فإن اختلاف العملين دليل على اختلاف مقدار لذتهما، وشهوتهما، لأن لذة المرأة فى غيرما شهوة الرجل، وأن ا لله عز وجل قدر فيما بين التقاء الذكر والأنثى مفعولا بها من غير اختلاف من لذتهما، فإن كل ما يرى من ظاهر عملهما مختلف، فإن الرجل ربما يطلب قضاء شهوته بالحركة والعلاج، ولايرى مثل ذلك من المرأة، فإن المرأة قد تعمل فى قضاء شهوتها، وربما عمل بعضهن فى ذلك عمل الرجل أحيانا من شدة الحركة، والمعالجة، وإن بعدوا وإن طلبا من قضاء اللذة شيئا واحداً، واختلف عملهما، أن يختلفا فى غير ذلك من أعمالهما، وقدرتهما فى أنفسهما فى الحال، وإعجابهما بما فيه، ولايكون فى شىء من ذلك دليل على اختلاف لذتهما .

فإن الرجل لما كان هو الفاعل بالمرأة فوهم أنها فى ملكه فإن له عليها سلطانا، فدخله لذلك عجب الملك والسلطنة .

وأما المرأة فإنها إذا رأت بصاحبها جمالا، ثم رأت إعجابه بها وإقباله عليها دخلها لذلك عجب لتفضُّل من صاحبها لها، والرضا منه بها.

هذا اختلاف من جهة قدرهما فى أنفسهما، وليس بواجب اختلاف لذتهما.

فإن قائل : فكيف صارت شهوتهما متساويتين مشتبهتين؟ وإنما اجتمعا جميعا على عمل واحد، فكانا جميعا أداة له وهو الجماع؟

فقد رأينا الأداة يعملن بها الأشياء لاتريد العدة منها على أن تعمل بها فى كل حال واحد شيئاً واحداً، كالفخار الذى يجتمع فيه عمل العامل والطين والرحا.

وغير ذلك من أداته أن يبلغ ذلك إناءً واحداً فى حال واحدة، ففى هذا دليل على أنه لايفضى فى اجتماع الرجل والمرأة على الغشيان أكثر من شهوة واحدة من الرجل، فإن الأشياء فى ذلك مختلفة فمن الآلة التى تعمل بها الأشياء ما لايكون فى اجتماع العدة منها إلا إحكام شىء واحد، فمنه مايكون فى اجتماعهما لكمال الشيئين كالكبشين إذا انتطحا، فإنه يصل إلى كل واحد منهما من ألم النطحة مثل مايصل إلى صاحبه.

وكذلك لو أخذت رمانتين فضربت إحداهما بالأخرى لانهشما جميعًا.

قالوا : فجائز لما كانت المراة من شكله فى الخلق، وعلى صورته، ومن جنسه، ثم علم أن فيها من اللذة مثل الذى فيه أن يلتمس تهييج لذتها، وتقويه شهوتها باللطف، والفكر عليها وإظهار العجب بها، وأن يتحمل لقضاء شهوتها قبل شهوته، ولايقضى هو شهوته قبلها، وأن يحرص على ذلك لأمرين :

أحدهما : لما يتعجل الرجل السرور واللذة، وقوة الشهوة وشدة الحرص، فإن فى ذلك تقوية لشهوته، وتهييجاً للذته.

وأما الآخر : فلقضاء ما يلزمه من حبها إذا كانت فى حالة وكان فاعلا، وكانت هى مفعولة بها وكانت لاتقضى شهوتها إلا بعلمه، فإنه لايقدر أن يقضى شهوتها منه إذ قضى شهوته قبلها فله عليها لأجل ذلك أفضل المنزلة، وبها إليه أمس حاجة.

وقال آخر : الرجال في أول الغشيان أقوى شهوة وأسرع إنزالا، ثم لاتزداد شهوتهم إلا ضعفا وإنزالهم إلا إبطاء.

والنساء: فهن فى أول الغشيان أضعف شهوة وأبطأ إنزالا، ثم لاتزداد شهوتهن إلا قوة، وإنزالهن إلا سرعة .

وقال كثير من العلماء : ما ماء الرجل بأسرع نفاذا من ماء المرأة، وقد يستحب للرجل أن يهيج شهوة المرأة قبل غشيانه إياها، فكيف له باتصال اللذه إلى المرأة وهو ليس لمائه مادة ولا لشهوته بقاء، ولا أحسبه يصل إلى المرأة كثير لذة؟

فيقال له : بلى قد تصل إليها اللذة، فإن كانت بطيئة الانزال لما يكون من الرجل إليها من الضم والقبل والغمز، ولما يرى من عطفه عليها، وإعجابه بها، وهى فى أصل طبيعتها مطبوعة على الحياء والشهوة، وقلة الحركة، فهى تكتفى فى قضاء لذتها به، فهذه قطعة مما ينسب إلى الهند من الكلام فى الباءة وأسبابه.

فأما اليونانيون: فوجدت كتاباً منسوباً إلى (انطباس الرومى) يشتمل على أكثر المعانى التى تضمنها كتاب (هربط بن طمشن) الهندى، فاقتصرت على إيراد ماوجدته زائداً عليها.

فمنها أنه وصف إحليل الرجل، واسع، وسط، وضيق.

فالواسع : مادخل فيه شعيرتان، وهو أقل قوة على النساء، وأبعده إنزالاً وهو أسلم للرجل.

والوسط: مادخل فيه شعيرة ونصف، وهوأسرع إنزالاً وأقوى على النساء وسلامته أقل من الأول.

والضيق: مادخل فيه شعيرة وهو أقوى على النساء وأسرعهم إنزالا وأقل سلامة.

قيل له : كيف صار الواسع أسلم من الضيق والضيق أعطب ؟

قال: لأنه إذا اتسع واضطرب الماء يخرج سهلا غير متضايق .

قيل له : كيف صار الواسع أقل قوة؟

قال : لما بعد إنزال الواسع قوى على المعاودة .

وقال : متاع المرأة لايخلو أن يكون مسه وجسه بين باطنه وظاهره مشاكلا لمس لسان البقرة وغلظة ولينة .

أو على مس شجرة يقال لها (بانقيوس)، وغلظها، ولينها، ولسان البقرة **أفضل لأنه** أحد وألين .

والثالث : على مس حياء الشاة، وهو أخشن هذه الثلاثة، **لأنه أخشن وأبرد وأرق.**

وإذا كان الفرج واسعاً مالحا خشناً أو سيالاً، فهو أذم مايكون .

وعلاج الخشن : أن يدهن بالأدهان وتتحمل المرأة فى قطنة دهنا من السمسم، أو دهن البان أو النرجس، فإنه يلينه .

فإن كان بارداً : فدهن الناردين، تأخذه المرأة بقطنة فتمسكها فيه .

وإن كان واسعا: أمسكت شيئا من مرتك وكحل مسحوق أو عفص أو طين أرمنى.

وإن كان مالحا : شربت النادر بطوس وأيارج جالينوس الكبير، أو تأخذ اللرعودا فى كل يوم قدر حبة، أو تداوم شراب الأفسنتين، فإنه يذهب بالملوحة، ويعذب بالماء.

وقال أيضا ومن الرجال: البطئ، والسريع، ومابينهما، وكذلك النساء .

فالبطئ: مابين الخمسين دفعة إلى الستين دفعة .

والسريع: من عشرة إلى عشرين .

والوسط: ما بينهما .

وقد يفرط الإسراع بين قوم، فيبلغون خمس دفعات، وأقل من ذلك، وكلامنا فى الأمر الأكبر لافى الشاذ .

قال : وربما أسرع الرجل فى أول أمره وأبطأ فى آخره، وربما أسرع إبطاءه فى أوله، ويسرع فى آخره، وربما كان معتدلا فى أمره كله، والنساء على مثل ذلك بالسرعة والإبطاء .

وكذلك اختلاف الرجل فى شدة الحفز، وضعفه، فإنه على مثل هذه المراتب، وموافقته للمرأة ومخالفته لها بحسب موافقة كل واحد منهما للآخر فى هذه الأسباب.

وذلك أنه إذا أسرع الرجل فى أول أمره، ثم أبطأ فى آخره، فإنه يكون قد قضى شهوته وترك صاحبته لم تقضى شهوتها، فكان ذلك سببا للبغضة، والحسرة منه على صاحبته، وإذا أبطأ فى أوله وأسرع فى آخره نزفت المرأة ماءها، فاشتد عليها الحفز بعد نزف الماء وأضجرها، وأذاها، وإنما يخف عليها الحفز عند نزول الماء، ولين ماهناك.

قال : وقد يكون سبب اتفاقهما واختلافهما موافقة ماء الرجل إلى المرأة فى الجودة والصحة، فإن المنى يختلف فى الرائحة والطعم .

فمنه : ثقيل أبيض حلو يشاكل رائحته رائحة الكافور، وهو غاية الموافقة للنساء، وغاية الصلاح للولد.

ومنه: مايكون فيه عرق أحمر، رائحته رائحة الزنجار .

ومنه: شيء من زهومة، وهو الثانى فى الموافقة .

ومنه: مايكون ريحته رائحة الصبر، أو المر، فذلك الذى تكرهه النساء وهو الذى تلتوى منه المرأة، وينقبض منه الرحم، فلا يكاد تتم الموافقة من المرأة للرجل إلا أن يكون ماؤها موافقا لمائه، فإن لم يكن ماؤه موافقا لمائها، فالأجمل إذ أحس بأنها تتأذى به أن يتنحى عنها ولايؤذيها بإيداعها إياه.

وعلاج ذلك: أن يأكل الرجل الأرز باللبن أربعين يوما لايأكل غيره .

وأما مايصلحه من الأدوية: أن يأكل الأترج عشرين يوماً وكذلك المرأة فهذا أجود ما يعالج به، وأنفعه، وأنفاه لملوحة الماء ومرارته، وسبيله بعد ذلك أن يأكل السمك الطرى، ولايقرب المالح، ويأكل بيض الدجاج مع الملح، ويشرب مريس التمر، أومريس الزبيب، والحُقن جيدة له بدهن الخروع، وكل الأدوية الحارة اللينة تقوى الدم، وهى جيدة له، ويجب أن لايقرب مايقوى المرة الصفراء، ولا السوداء، فإنه ضار له وكل ما أعان على البلغم وقواه كان جيدا كالبصل وماأشبهه .

قال : وماء المرأة خفيف أصفر رقيق وماء الرجل غليظ أبيض ثقيل، فإذا عذبا اتفقا، وإذا ملحا، وتمرمرا، أو حمضا اتفقا، فإذا كان أحدهما خلاف ماعليه الآخر اختلفا.

قيل له : وبما يعرف ذلك؟

قال : إذا سقط وقرب منه النمل والذباب، **فهو** عذب **وإذ** لم **يقربه شىء** من **ذلك** **فهو مر، وإذا** وقع على الأرض والثوب فسلخه، **فهو** مالح أو حامض.

قال : ويعرف ثقل النطفة برسوبها فى الماء، فإن رسبت **فهو يلقح، وإذا** ارتفع على الماء، **فهو** خفيف لايلقَحُ وإذا بات فى موضع نبت لم ينبت، **فهو** حامض **لايلقح.**

ومما يعرف به مرارة الماء : أن تكون المرأة يشتد عليها جماع الرجل ويشق عليها إذا أصابها فأنزل، تغير لذلك رحمها والتوت له وكرهته، إلا أن تكون المرأة مُرَّة الماء، فيوافقه ماء الرجل، فيتفقا على ماذكرناه.

من الرجال من يكثر إنزاله، ومنهم من يقل، ومنهم وسط بينهما، وكذلك النساء فى الكثرة والقلة.

فمقدار الكثير من الرجال: مثقال ونصف إلى مثقالين .

ومن النساء: مثقالين إلى ثلاثة مثاقيل .

والقليل من الرجال: من درهم إلى مثقال .

ومن النساء: من درهمين إلى مثقالين، وفى الماء حبة غليظة منها يكون الحمل، ألا ترى أن الرجل ينكح المرأة فى الأكثر مرارا كثيرة، فلا يلقح، وينكحها مرة واحدة فتلقح، بإذن الله تعالى .

باب
النقائص والجوابات

رأى **يحيى بن أكثم** غلاما وسيماً مُقَرْطقاً فى وسطه منطقةً، وله ردف قد نبا عن منطقته .

فقال : ياغلام، ما حالها؟

فقال : كأنهن بيض مكنون[1] .

قال يحيى : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين .

فقال الغلام : لن تنالوا البر حتى تنفقوا .

فقال يحيى : هذا مالدى عتيد .

قال الغلام : اهبطوا مصرًا فإن لكم ماسألتم .

فقال ابن أكثم : اجعل بيننا وبينكم موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى .

قال الغلام : إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب .

قال الراوى : وكان أبو نواس قريبا منهما يسمع كلامهما .

فقال : فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير .

قال : وجلس الفرذدق وجرير ينتظران زفاف عروس، فأقبلن النساء بها.

فقال جرير: قل فى هذه وهؤلاء.

فقال الفرزدق :

أتتك النساء بأحراجهن ... يقدن حرًا ضيقا جحره

فقال جرير :

سيوسعه مدمج مصمت ... شديد القوى مدرج ظهره

---

(١) وهذا من الاقتباس المحرم، لمكانة القرآن وعظمته، فلا يجوز بأى حال.

فقالت امرأة منهن تخاطب جريراً :

وانـــت حـــر أمـــك قـــد شـــقه   شـــديد القـــوى مدمـــج ظهـــره

فلما سمعا ذلك منها وثبا .

وكان زوج أم الورد قد هازلها ذات يوم بهذه الأبيات

اعـــددت ريحانـــاً فـــذا مضمـــرا   أزدى بـــه القـــرن إذا مـــا أصحـــرا

حتى تولى هاربا معصفرا

فقالت:

دونـــك قـــد لاقيـــت ليثـــا أعـــبرا   مملكـــا مدملكـــا مزعفـــرا

يـــترك مـــن لاقـــى إذا تغشـــمرا   منهزمـــا منكســـرا منذعـــرا

ينصـــاع منـــه فـــى البـــلاد مدبـــرا   كأنـــه عـــاين موتـــا أحمـــرا

أو ضيغمـــاً مجـــادلا غضنفـــرا   مـــن أســـد خفّـــان يـــدق العصفـــرا

وقال السرى بن عبيد ا لله لأم الورد: كيف قلت :

مثل السنام طار عنه وبره؟

قالت : نسيت وسوف أعيده عليك، ولكن اسمع ما أنعت به جهازى .

قال لها : هات .

فقالت :

إن حـــرى ململـــم أزوم   جهـــم المحيـــا باســـل ســـنيم

كأنـــه ضرغامـــة ضغـــوم   مســـتصحب كأنـــه محمـــوم

يهـــرب منـــه المدمـــج الهضيـــم   محببـــاً لـــيس لـــه كلـــوم

حتـــى تـــرى منخريـــه مرثـــوم   مـــن طـــول ماعضضـــه الشـــكيم

وقال سرحان بن ذؤيب الثعلبى لعمرة بنت الجمارس : وكان تزوج امرأة فتركته ورفعته إلى الوالى .

فلما جلست بين يديه قال لها الوالى : يا أمة اتقى ا لله، ولاتبلغ بك الغيرة إلى أن تختلفى لمن زوجك .

فقالت : أصلحك ا لله، ولعلى مثله تغار الحرة ولكنى شنيت منه قوله فى المجمع:

عرس تواری حرها كلهيع   جهم محياه رحيب المشرَع
يهرب منه كل حرّ أروع   يمص رأس الأير مص المرضع
بذى عجوز أمها لم تشبع   فبات يعوى كعواء الوعوع
جاع وأضحى ليله لم يضجع   ثم غدا يطلبه شر مطمع
من كل حرا راحتاه مشبع   من جشم الحمراء أو من أشجع
وذاك غال الموت يا ابن الأتلع   عند الكريم الماجد المفزع
فذاك أدنانى إلى ابن صقلع   فإنها ذات حرّ مستبلع
أو حر فيه فاج لم يرجع   ولم يزل يهوى هوى الأسقع
الأجذل الضارى الذى لم يشبع   عاين صيداً فى بلاد بلقع
فانصاع نحو الصيد مثل الأهوع   أرسله من بعد نوم المجمع

رام بصير بقصير الأضلع

فقال سرحان حين سمع نظمها : أصلح ا لله الأمير وأبقاه :

ما ذِهْن عرسى غير حب الأير   وإن أيرى مثل أير الغير
معترض للكرد كثير الضير   لكنها تطلب أير غيرى
أير تراه مدلجات السير   يخفق حرّ من بنى غير
فراقها حتى غدت كالطير   ذاهبة العقل وذاك خير

فلا تلمنى حسبها بغيرى :

وقال أعرابى آخر :

قلت لذات الكثعب العفاج   لما التنى بحر مجّاج
ملتطم الشفرين بالأمواج   منغمساً فى كسها المنعاج
كأنه فرخ من الدجاج   مكلل منتصب كالساج

لا ترهبين الله ذا المعراج … فجاوبتني أيها المناجي

إن حرى ليس بحق عاج … ولا بكتف موثر الأشراج

ولا ترسلت رضى الأزواج … لكنه كموسم الحجاج

فيه صناعات من العلاج … ما بين نجار إلى سراج

وبين نداف إلى حلاج … وبين بزاز إلى نساج

فاذهب كما جئت على الأدراج … وارجع كما عجت على معاج

وقالت عمرة بنت الجمارس للأغلب العجلى ولقد لقيته مفاجأة :

هل لك فى مزعفر محلوق … داخله مثل فم الإبريق

مثل سنام البكرة المفلوق … تخال فيه الأير كالمخنوق

أحلى من الشهد لمستذيق

فأجابها الأغلب يقول :

هل لك فى ملتوى العروق … محدودب الظهر عظيم الحوق

يقذف مثل اللبن المذوق

قال : ولقى أبو نواس أربع جوار قصريات .

فقلن له : يا أبا نواس انعت لنا أيرك، وننعت نحن أحراجنا .

فقال : بل انعتن أحراجكن .

فقالت إحداهن :

إن حرى لاأستحى أن أذكره … كجبهة الثور غليظ مشفره

قد زانه حلوقه وعنبره … أحسن شىء مارأيت منظره

كأنما الهانئ فيه ينشره … قد بث فى حافاته بجمره

فقالت الثانية :

إن حرى لناتئ أنيق … يزينه مجسّه والضيق

تخال فى داخله الحريق … منطف مطيب محلوق

مضمضع معطر مشقوق … من لم ينكه ماله توفيق

فقالت الثالثة :

إن حــــرى لنـــــاتئ بَهـــــىّ ‏ شـــفراه قلـــس قـــائم مطـــوى
يضـــرم فيـــه لهـــب خفـــى ‏ مـــن لم ينكـــه فهـــو الشـــقى
الخـــائب المغـــرق القمـــى ‏ ومـــن ينكـــه فهـــو الـــولى
الســـيد المقـــرب الصفـــى ‏ دونـــك زمـــه أيهـــا المشـــنى

فقالت الرابعة :

إن حـــرى لنـــاتئ مُنـــوَّر ‏ مخلَّـــق ممســـك مزعفـــر
قـــد زانـــه جبهتـــه والمشـــفر ‏ كأنمـــا فيـــه ضـــرام يُســـعر
وبـــين صدعيـــه قميـــص أحمـــر ‏ أو حـــب رمـــان إذا يقشـــر

من لم ينكه فهو حقا يخسر

فقال أبو نواس :

أيـــرى أيـــر طولـــه كـــالحبل ‏ ورأســـه كمثـــل رأس الطبـــل
مُلـــوَّز مثـــل قمنـــد البغـــل ‏ ويخـــرق الحـــرّ كخـــرق النصـــل
يخـــال منـــه الحـــر طعـــم النحـــل ‏ وينعـــج الحـــر برهـــز يســـلى

من ناكه فاز بطيب الدخل

فتضاحكن الجوارى من قوله، ومضين .

وقال أبو نواس : كنت أنا وجماعة من الأصدقاء نتمشى بالكرخ إذا استقبلنا نسوة وفيهن واحدة هى أحسنهن ظرفاً وجمالاً، وقلت وهى تسمع :

جعل ا لله بعضنا فوق بعض

فأجابتنى عاجلاً :

فى دوام رفع وخفض

قال : ودخل أبو نواس على جارية الناطفى، فقال لها : أجيزى لى هذا البيت :

إن لى أيـــــرا طويـــــــلا ‏ لونـــــه يحكـــــى الكميتـــــا
لـــو رأى فـــى البحـــر صدعـــا ‏ صـــــار للغلمـــــة حوتـــــا
او راه جـــــوف جحـــــر ‏ لتحـــــــرك عنكبوتـــــــا

فأجابته مسرعة :

زوجوا هذا بألف وأظن الألف قوتا
إنني أخشى عليه داء سوء أو يموتا
قبل أن ينتكس الداء فلا يأتي ويؤتى

وحكي: على بن ياسين عن معشوق جارية لبانة، وكانت تهوى لابن ثابت الصباغ وهو مؤاجر شرطه درهم عند الفسّاق، ولايزاد عليه لقبح وجهه، إلا أن له مؤخرا هو بالدرهم .

قال: فسألتها عن سبب حبها له مع كثرة ماترى من الوجوه الحسان، وأبناء الملوك.

فقالت : اسلك مسألة فيها بيان ماسألتنى عنه.

قلت : سلى، وكان ابن ياسين من غلمان أبى الهذيل العلاف .

قالت : أيما أصدق خبر الواحد أو خبر الاثنين، وهما فى العدالة سواء ؟

قلت : على هذا القياس خبر الاثنين .

قالت : أفليس الأكثر من اللاّطة يشهدون على طيب استه .

قلت : بلى .

قالت : فإن البغايين والنساء يشهدون على طيب أيره، فكم هذه الشهادة زائدة على تلك؟

فقلت : بقدر زيادة الاثنين على الواحد، وأمسكت عن الزيادة فى الكلام خوفا من الانقطاع .

خلا المأمون يوما بجارية له ماجنة خفيفة الروح، فأقام أيره، وقال لها: فى أى سورة فاستغلظ فاستوى على سوقة، فرفعت رجليها وقالت: فى إنا فتحنا لك فتحا مبينا .

وعرضت عليه أيضا يوما جارية، فنظر إليها وإلى عجيزتها، وكانت عظيمة العجز.

فقال : أترى هل أجنو؟ فقلبت الجارية ثيابها على رأسها وقالت : قل الحق من ربك، ولاتكونن من الممترين فأمر بشرائها .

قال : ونظر المتوكل إلى جارية فلم يرض عجيزتها، فقال لها: إنك لرشحاء، **فقالت** ياسيدى مانفضنا فى الطست بزيادة فى التوز.

وكان أبو نواس يوما عند بعض إخوانه، فخرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب خضر، فلما رآها مسح عينه، وقال: خير رأيته إن شاء الله، قالت : وما رأيت ؟ قال : رأيت أنى راكب أشهب عليه ثياب خضر.

قالت : إن صدقت رؤياك، فاستدخلت فجلة.

وعرضت على المتوكل جارية رومية ذات جمال ومنظر.

فقال لها : فى يدك عمل.

فقالت : لا ولكن فى رجلى، فاستحسن جوابها، وأمر بشرائها .

وعرضت عليه جارية رائعة الجمال فاضلة الأدب، فقال لها : أى شئ تحسنين؟

فقالت: عشرين أو ثلاثين من الرهز، فضحك، من مجانتها، وأمر بشرائها .

وعرضت عليه جارية فنظر إليها طويلا ثم قال لها : ما أنت من شَرْطى عافاك الله .

فقالت الجارية : ولكنك من شرْطى يا أمير المؤمنين فأمر بشرائها .

وعرضت عليه جارية بها خَمَع، وكانت فائقة الجمال والدلال فأعجبه جمالها وساءه عرجها، فقال: لولا عيبها لابتعتها، فقالت: وهل أنكر منى شىء غير العرج؟ قال: لا، قالت: فإن رجلى تكون فى وقت الحاجة من وراء حيث لا تراها فأعجبه قولها وأمر بشرائها .

واعترض رجل جارية، فقال لها : بكرا أو أيش؟ فقالت : أيش، فأعجبه قولها فاشتراها .

وقيل لأخرى : بكر أم ثيب ؟ فقالت : نعوذ بالله من الكساد .

واعترض رجل جارية، فقال لها : أى شئ تحسنين ؟ فقالت : أعُدّ الأجذاع، قال : وأى شىء أيضا؟ قالت : وطوابيق الدار، تعنى أنها تجمع بين الأمرين .

وقالت جارية مليحة للحمّار الشاعر : هب لى شيئاً مليحا .

فقال : حتى يجرى الماء فى العود، فأخجلها.

وحلف مزيد على امرأته بالطلاق أنه لايجتمع رأسها ورأسه على وسادة.

فقالت له: هذه يمين لك منها مخرج إن فى اجتماع أرجلنا كفاية .

وقالت امرأة لمخنث ما أعظم مصيبتى فيك، فقال لها المخنث: مصيبتك بحرك الأعظم، قالت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنه شُقَّ وسطه وسُود وجهه وقطع لسانه وحفر إلى جانبه كنيف يبخره .

وقال أبو إسرائيل المصحّف : مررت على الجسر يوماً فإذا فتى قد زاحم فتاة فغمز فخذها، فتأوهت، وقالت : مالك يارجل، فقال متمثلا بهذا البيت :

فى غمز فخذك لذة من ظاهر ... وألذ منه غمزة من باطن

فأجابته عاجلاً :

لو نلت ذاك لنلت أفضل ظاهر ... كُسيت محاسنه وأفضل باطن

واشترى رجل جارية فلما وزن الثمن، ونهض ليقوم من حجرة النخاس علقت به، وقالت : هل لك أن تأخذ واحداً هاهنا.

فقال الرجل :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

فأجابته :

وربما فات بعض القوم أمرهم ... مع التأنى وكان الحزم لو عجلوا

فلم يبرح حتى كشفرها وانصرف.

وجرى بين جمهور وجاريته مهرمنا قصص كثيرة وجميعها فى النكاح وذكر الأير والحرّ، وإن ذهبنا إلى إيرادها طال بذلك الكتاب.

فمن قوله فى ذلك :

كل يوم يزداد رجمك تيها ... وبه شدة لكم أنيها

هى تزداد غلظة كلما ... حاولت ردًا لها وان الويها

وتكلفـــت أن تزيـــد بـــه — فـى الشـدة لـمـا علمتنـى أشـتهيها

سـوف لـو مُـتَ علمـة واحـ — تكاكـا لم أكـن مـن خُلاقهـا أشـفيها

لسـت أدنـو لهـا ولا أتقيهـا — بعـد أن كنـت دائمـا أعطيهـا

فأجابته :

ليـس لى حكـة كحكـة أيـر — تعـرف الصُـدع منـه إذ يعطيهـا

إذا مـاوعدت بـالنيك أو — أعرضـت يـامليكى تيهـا

جئـت يامـالكى فنكتـك نيكـا — يـترك الأيـر دهـره يشـتهيها

وتمـردتُ أو أدعـك طريحـا — لاأبـالى مـن بعـد أن تشـفيها

فـترى مـن ظرائـف النيـك شـيئا — لاتـرى مثلـه الزمـان شـبيها

وكتب إليها أيضا :

لا كـان حـرُك حـراً تعجبـين بـه — لـو كـان رزقـا سـألت الله يقطعـه

أو كـان رزقـا علـى قحـط ومجوعـة — كنـا نريـد مـن الرحمـن يرفعـه

سـتندمين إذا ماجـاء حـرك — إلى أيـرى ليمنحـه نيكـا فيمنعـه

فأجابته :

فديـت أيـرك أيـرا يسـتلذ بـه — طيـب المنـاك إذا مـاجئت تدفعـه

ماكـان والله طـول الدهـر يحرمنـى — ولا لصدعـى طـول النيـك يمنعـه

يـاحبذا أيـرك العـالى بسـطوته — لعـى صُدعـى مـا فـى الليـل أخضعـه

وأهدى له موز فتنغص له بها وكتب إليها:

أتـانى المـوز يحـوى الطعـم منـك — ويحكـى اللـين لـين المـس منـك

وجـدت لـذاذة فـى الـذوق منـه — لـذاذة وقـت ذوقـى طيـب هتـك

وذكـر المـوز أيضـا هـاج وجـدى — وظلـت بـأدمعى للشـوق أبكـى

لأن الطعـم والمقـدار منـه لـمـا — أهـواه مـن معنـاك يحكـى

قال المصنف : وهذه أشعار لايحتمل هذا الكتاب أن يورد فيه منها أكثر مما أوردناه لنباهتها فى البرد والغثاثة واستحالة معانيها وكسر أوزانها .

باب
من المُصَحَّفِ

يقال للجارية : مسيت نابك !

تفسيره : متى تتنايك .

فتقول هي : مسيت سني بيدى !

تفسيره : متى شئت سيدى .

وتقول : أغظني واحد

تفسيره : أعطني واحد

وتقول : إبريقك شبه نقى!

تفسيره : أيرى فيك سنه بقى .

وتقول : بدِجلة كله يانش !

معناه : تدخله كله يابس .

وتقول : أير بغل في جحرك !

تفسيره : أير بغل في حجرك .

وتقول : لبيك يحيى وأنا أقبل جدّك !

تفسيره : ليتك تحتى وأنا أقبل خدك .

وتقول : حسّان بأبى على فاتنى وأخذ !

تفسيره :حبيبان باتا على فراش واحد .

وتقول : على غالب هارب !

معناه : على عانتها زُب .

وتقول : تحت الفهل مروحة الجهش !

معناه : تحب القبل من وجه حسن .

وتقول : قمقم زيت عتيق !

تفسيره : قم قمرى نعتنق .

وتقول : بعثت الكبريت !

معناه : بعثنا لك زبيب .

وتقول : قدح كحلى !

معناه : تدخل خلى .

وتقول : قواد فاره مقيد بحرير !

معناه : قواد فاره مقبل نحرير .

تقول : خرط عينيك حسن !

معناه : حرّ ظعينتك خشن.

وتقول : خوديعلى ثقيله !

معناه : جودى علىّ بقبلة .

وتقول : يونس تقى قمى !

معناه : بوسى فى فمى .

وقال فتى من أولاد القواد يوما لابن المعذل : ما هو تغرغر خزانى ؟ فأشار ابن المعدل إلى ذكره وقال: سل هذا عن ذا فإنه عارف .

وقرأت على ظهر دفتر هذا البيت :

ويقـــراه اللبيـــب بغـــير صـــادٍ ... اذل الحـــرص أعنـــاق الرجـــال

قال الناسخ لهذا الكتاب : فهذا نوع مما تداوله الأوائل بينهم، من التصحيف، وقد اخترع الأواخر فى ذلك فنونا فمنه قولهم :

السنج سقله !

معناه : الشيخ سفله .

وقولهم : أنت نور فى محراب !

معناه : أنت ثور فى محراث .

وقولهم : النوق بسلق بزن !

معناه : اليوم تسلق بزق .

وقولهم : اليوم تساق بالحراب !

معناه : اليوم يشاق بالجراب .

وتقول : نكتك جريب وبلت!

معناه : نكتك خريت وبُلْت .

وقولهم : بالفخر به حذى ختك!

معناه : ألف خريه ذى جنك .

وقولهم : شاء ربك فشبنا !

معناه : شاربك فِستنا .

وقولهم : ولجنتك خلقنا !

معناه : ولحيتك خلقنا .

وقال بعض الأماثل فى غلام : حسن وطنب.

معناه : جيد وطيب .

ومن ذلك قول الإمام الناصر :

كل عنب الكرم تعطبه !

معناه : كل عيب الكرم يغطيه .

وقولهم : المستنصريه جنة !

معناه : المشيص تضربه حيَّه .

ومنها : الحس نبت الماء !

معناه : الحسن بيت الماء .

الى غير ذلك من التصحيفات وهذا موضع اختصار .

باب
فى الغيـرة

لذة المرأة : على قدر شهوتها، وغيرتها، على قدر لذتها.

واستدللنا بإفراط غيرتها على إفراط شهوتها .

وكذلك قالت العلماء : الغلمة فى الرجال حدة، وفى النساء فرط شهوة.

وقد خالف على ذلك بعض من تكلم فى الباءة وقال : هذا خطأ؛ لأنا قد علمنـا أن الرجل أشد احتمالا من المرأة عند تسرى زوجهـا بالسرارى فبعضهـن : يكـون ذلـك فيهن لفرط الغلمة، وللظنن والكراهة والمشاركة فيه،وبعضهن : يكون فيهن علـى جهـة الأنفة من أن ترى ذلك، وبعضهن : يكون فيهــن علـى طريـق النفاسـة، وليـس يشـكل ماتلقى المرأة من ذلك إذا رأت على فراشـه رجـلا لأن المـرأة، قـد عذيـت علـى ذلـك وتعودته وألزمتها الشريعة.

وغاية الرجل أربع نسوة وألف جارية، ويطـأ ملـك اليمـين، ويعتـبر هـذا بغـيره مـن فحول جميع أجناس الحيوانَ على إناثهن كالغـيرة فـى الغايـة وتقـاتل دونهـا علـى فحـل يعرض لها فلايصير التفاته إلا إلى القاتل والغالب ومنِ رأى فحولـة الخيـل فـى المـروج كيف تحمى الحجور من الفحولة، ولو أن حجرةً عربيةً أو ناقة غريبةً دخلت فـى جملة تلك الإناث المحدقات بالفحولة التابعات لتلك الفحولة حين ذهبت لم تجد ناقة من تلـك النوق، ولا أتانا من تلك الأتن، ولا حجرا مـن تلـك الحجـور تقـاتل واحـدة مـن تلـك الغربيات، ولو رأتها إلى جانب الفحل .

قال الراجز فيها :

تغار والغيرة خلق فى الذكر

وقال أيضا :

والفحل يحمى شَوْله معوِّلا.

وقال رجـل لسـهل بـن هـارون : ليـس لغضبـان رأى، ولا لغـيران، ولا لجائع، ولا لعطشان، ولا للحاقن فقال : ولا للمنعِظِ .

وقد يحمل الرجل الغيرة، وفرطها على إطراح مايهواه، وإخراجه عن فكره، ولما يراد من مثله مع غيره، وطاعة كل أحد فمما قيل فى ذلك قول الأول :

تبعتك لما كان لى فيك حاجة ... وأمسكت لما كان نهباً مقسّما

فلا يلبث الحوض الجديد بناؤه ... إذا كثر الورّاد أن يتهدّما

وقال آخر :

لاتكرثى قولا منحتك ودّنا ... فقولك هذا للفؤاد مريب

تَعدين ما أوليتنى منك نائلا ... وللقائس العجلان منك نصيب

وقال آخر :

تمتع بها ما ساعفتك فإنها ... تكن شجى فى القلب حين تبين

وإن هى أعطتك الليان فإنها ... لآخر من خلانها ستلين

وإن حلقت لا ينقض النأى ... عهدنا فليس لمخضوب الباب يمين

وقال بشار :

لذاك اليوم لى وغدا لغيرى ... وبعد غد لأقربنا لديكا

إذا أحببت ذا فارقت هذا ... كأن فراقهُ حَتْمٌ عليكا

فأقدمهم أخسهم جميعاً ... وأخذلهم أحبهم إليكا

فكلهم وإن طرمذت فيه ... ستتركه سريعا من يديكا

قال : وهوى رجل امرأة، ثم علم بعد ذلك أنها؛ لاترد يد لامس .

فأنشأ يقول :

الا حىَ اطلالا لواسعة الحبل ... الوف تُسوى صالح القول بالرذلِ

ولو أن من اضحى بمدفع لخلة ... إلى رحتى فلج فسالقطة النعلِ

جلوس إلى أن يقصر الظل عندها ... لراحوا وكل القوم منها على وصل

ومن أبيات لبعض الشعراء :

ولااشتهى ريق المياه ولا التى ... تخاض ويغشاها مُعَبَّدة الجرب

ولكننى اهوى مشارب احرزت ... على الناس ليس فى الصعوة من عتبِ

وقال أبو نواس :

ومظهـــــــرة لخلـــــــــق الله ودًا ... وتلقــــــانى بـــــدل وابتســـــام

قصــــدت فؤادهــــا أشــــكو إليــــه ... فلـــم أخلــص إليــه مـــن الزحــــام

فيـــا مـــن ليـــس يكفيهــا صديـــق ... ولاســـبعون ألفــــا كـــل عـــام

أظنـــك مـــن بقيـــة قـــوم موســـى ... فهــم لا يصـــبرون علـــى طعـــام

وحكى : أن رجلا غاب عن ابنة عم له أديبة ظريفة، فبلغها أنه قد اشـترى جاريـة، فاشترت هى غلاما عوضاً عنه .

فكتب يعاتبها لما بلغه ذلك :

تبدلــت بعــدى صاحبّــا ثــم خُنتنــى ... وأعتبتنــى عــاراً ولم تخفــى إثمــاً

ســيجزيك رب النــاس مــا أنــت أهلــه ... فــإنك لم تــرع عهــوداً أمضــت قدمــاً

فأجابته :

بـــدأت بتغيـــير ولم تخـــف الظلمـــا ... وآثــرت غــيرى ثــم أبــدأت لى صرمــاً

فجــازيت فعــلا كــان بمثلــه فدونــك ... فــاطلب ســلمنا نطلــب الســلمَا

فباع الجارية واعتذر إليها .

ورأى رجل من بنى قشير من صاحب لهم من امرأة فى الرفقة فلاتك سوء.
فأنشأ يقول :

مـــا إن علمــت بهــا ســوءاً أقــول بــه ... إلا اتهــامى مــن فيهــا صــاحب الإبــل

كــانوا إذا القــوم أســروا صــدر ليلهــم ... يغــيران ومــا بــالقوم مــن ميــل

ويــــنزلان جميعــــا فــــى معرســـــنا ... فــلا نــزال نــرى أثــار مغتســل

وا لله يعلـــم مــــاتخفى نفوســــهما ... وا لله أعلـــم بالنيـــات والعمـــل

وقال أرطياس الرومى :

أسباب الغيرة مختلفة .

فمنها مايدعو إليه النفاسة، والظن من الرجل بالمرأة غيرة، ومـن المرأة علـى غيرهـا،

لأنه كلما اشتدت الغيرة بين الاثنين، فهو من علاجات الاثنين للمودة والرغبة فى الصاحب.

فينبغى أن يحمل من لايفرط به، فإذ أفرط فقد خرج من الحد المحمود، وصار فى حد الوسواس، وآية ذلك ألا يبالى ما بال صاحبه من البلاء والهلاك، أو فضيحة، أو مضرة، فعند ذلك تكثر الغيرة .

فأما العلاج لهن أدويته: أن يذاب دماغ أرنب أنثى بشراب يسقى من غير أن تعلم المرأة من غبار دقيق شعير الرّحا بماء المطر، ويسقى مرارة الذئب بعسل ويسقى سرطانا بحرياً.

قال : فإذا اقتصرت على المرأة واقتصرت عليك، ورضيت بها ورضيت بك، وأردت أن لايصل إليها غيرك، فاستعمل ماذكرناه، وإياك أن تستعمل ذلك مع من تريد فراقها، أو أمة تريد بيعها، أو امرأة تقضى لذتك منها، وتخليها، فإن أنت عالجتها بذلك أثمت فيها، وربما عالجت المرأة للرجل بهذا العلاج إذا عرف ألا تفارقه، واشتهت أن تعرفه ذلك من لذتها ليشكرها عليه، وليعظم موقعها معه إذا علم به، أو يدعوه أن يتعالج بذلك .

وهو أن يأخذ زيتاً جيداً ثم يمسح به ماهناك مسحاً جيدا، ثم يضاجع المرأة، فلايصل إليها غيرك وله لذة عجيبة.

أو تثقب عرف ديك، وتتمسح بدم تيس فإنه يفعل ذلك .

فأما حل هذه العلاجات :

فإن ما يُعمل بمرارة ضبع يحل بمرارة ذئب.

ومايحل بمرارة ذئب يعمل بمرارة ضبع.

وإذا عمل بدم عرف ديك أبيض، فإنه يحل بعرف دجاجة سوداء يثقب عرفها ويتمسح بدمها، ويجامع المرأة فيحل ذلك، فإذا عُمل بدم غَذَافٍ، حُلَّ بدم هدهد.

وإذا عمل بدم تيس أسود، حُلَّ بدم عنز بيضاء.

هذا التخليل كله يتمسح به الرجل، ثم يجامع المرأة .

ومن الخواص :

إذ عقد قضيب الذئب على اسم المرأة لم يندم عليها حتى تحل تلك العقد من ذكر الذئب .

خصية الضبع، تؤخذ وتجفف، وتدق، ويصب عليها شيرج، ويطلى به الإحليل، ويجامع به المرأة، فلا تمكن أحداً من نفسها غيره .

خصية ذئب، يسحقها بدهن شيرج طرى، ثم يمسح بها راحته اليسرى، ويمرها على فؤاد المرأة، فإنه حرز لها من الرجال.

دم الشفنين الذكر، إذا طلى به الإحليل أو جامع الرجل المرأة لم يقدر عليها غيره، فإن مات لم تتزوج.

وإذا أردت أن لايجامع امرأتك غيرك، فخذ خصيتى الذئب، فجففهما، ودقهما، وانخلهما ولتهما بزيت، ثم أطلى به ذكرك.

وكذلك إن أخذت شارب الضبع الذكر، وأشفار عيينه، وشعراً من لحيه الأسفل، وأحرقت ذلك وأسقيتها وهى لاتعلم .

وقضيب الثور الأحمر يجفف ويسحق، ثم تسقى المرأة منه وزن مثقال بنبيذ صلب، فإنه يقطع عنها شهوة الجماع.

قالوا : وأن أردت أن تقطع شهوة المرأة للجماع، فخذ ضفدعاً نهرياً على اسم المرأة، فشقه من استه إلى فيه، ثم ابسطه على الأرض، والحق المرأة وقل لها أن تتخطاه على ظهرها ولاتعود راجعه، فإنها تنتهى عن شهوة الجماع، ويرتفع عنها الصلة، ومعرفة الضفدع الذكر من الأنثى أن تغرزه بإبرة فإن خرج منه دم فهو ذكر.

قالوا: ويؤخذ قضيب الذئب فيقطع حيث لاتراه الشمس قبل طلوعها وقبل غروبها، ويجفف ثم تسقى المرأة فإنها تبغض الرجال أبداً .

وإذا أردت أن لاتعشق صديقة لك رجلا غيرك، ولايصل إلى نيكها، فخذ ذكر تيس من تيوس الظبى، وييسه فى الظل وتكلم عليه بما تريد ألف مرة ومرة، وأنعم دقه بخمر

صرف من غير أن تعلم المرأة ماهو، فإنها لاتقدر بعد ذلك على بذل نفسها لأحـد، ثـم خذ ثلاث طاقات من شعر رأسها واشددهن معا، وادفنهن فى مثانـة نعجـة فـى الأرض باسم تلك الجارية واعمل ذلك ثلاث مرات.

وقال سليمان لابنته : يابنيه لاتكثرى الغيرة على بعلك، فيجعله ذنبا، وإن كان مـن ذلك بريئاً .

وفى رواية أخرى أنه قال لابنه : يابنى لاتكثر الغيرة على أهلـك، فـيرموا بـالذنب، وإن كانوا من ذلك بُراء .

باب
فى القِيَادةِ

قد ألف فى فضل القيادة، أخبار من قاد من القدماء؛ جماعة من الأدباء وكتبهم فى ذلك مشهورة، ومعانيها معروفة، وفى اقتصاصها فى هذا الكتاب إطالة له .

ووجدت لبعض الأدباء رسالة كتبها إلى رجل عابه، قد ألف بين نفسين، فاقتصرت على إيرادها، وهى :

وفقنا الله وإياك للأخلاق الجميلة، وهدانا وإياك لكل فضيلة، وجعلك ممن يؤثر الحسن فيستعمله، ويقدم الجميل ويفتعله، ويأتى الخير ويلزمه، ويتقى القبيح ويتجنبه .

فكتب إليه الجواب: فهمت وفقك الله لرشد كتابك وماخصصتنى به من النصح، ونبهتنى عليه من الغبطة بالذكر، وخصصتنى عليه من جميل الأخلاق، وأظهرت لى من الإشفاق، وأظهرت به من تجنب الفعل المنكر؛ لما خفته علىّ من سوء الأير، ومن طلب أكرمك الله عيباً وجده ومن بحث عن داء أظهره .

وقد قال الشاعر :

فإن لسان الباحث الداء ساخط ... بنى عنا ألوى ألدّ كذوب

وربّ معتب يمسى وعاتبه به أولى، وملوم ذنب لم يأته وموم على مالم يجنه

وأنشد ابن الأعرابى :

وإن امرءا يمس ويصبح سالماً ... من الناس إلا ماجنى لسعيد

والناس أعزك الله أعداء ... ماجهلوا وإخوان ما ألفوا

وقد قال :

تلك المساعى إذا ما أخرت رجلا ... أحب للناس عيبا لم يكن عجباً

وإن كان ما نسبتنى إليه وعرضت لى به من الاسم الشنيع والفعل الدنىء والسعى المذموم إنما هو للتأليف بين المحبين، والتقريب بين المتباغضين، والصلة بين المتقاطعين فإنى أقول كما قال أبو ذؤيب :

وعليك أكرمك ا لله ما إليك وليس إليك ما عليك، فإنك قد أغفلت ما للساعى فى ذلك من الثواب المدخور، والحديث المذكور، والأثــر المـأثور، والخـبر المشـهور والبـاقى على مر الأيام والدهور، و لم تر ماحدثنا به فى التأليف عن النبى ﷺ وهو :

مارواه عبد ا لله بن موسى قال :

حدثنا موسى بن عبدة عن عباد بن عمرو بن عبادة قال : قال لى أبو أيوب قال: قال لى رسول ا لله ﷺ **«يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبهـا ا لله ورسـوله تصلـح بـين الناس إذا غضبوا وتحاسدوا»**.

حدثنا عبد الرزاق قال : حدثنا معمر عن الزهرى لم يُرَّخص لنـا رسـول الله ﷺ فـى شيء يقول الناس من الكـذب إلا فـى ثـلاث : **«الرجـل لزوجتـه، والمـرأة لبعلهـا فـى المودة، والإصلاح بين الناس، والتأليف فى الحرب فإنها خدعة»** .

وحديث أبى العباس المدائى :

قال : حدثنا عبد ا لله بن معمر الجشمى، قال : أخبرنا معمر بن سلمى عن أبيـه عـن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : إنى لأكره أن أفرق بين المتألفين.

وحدثنا شريح بن يوسف، قال :

حدثنا إسماعيل، عن ابن عون عن عمر بـن إسـحاق قـال : إن أول شـىء يرفـع مـن الناس الألفة والتأليف .

وحدثوا عن هارون بن معروف قال : حدثنـا سـفيان، عـن مـالك بـن مُغـول، عـن طلحة عن خيثمة قال : أما الذى أحلى من القتل، ولا يقطع، هى الألفة التى جعلها ا لله بين المؤمنين .

هذا إلى حديث كثير ورد عـن الصحابـة والتـابعي،ن ولـولا خـوف الإطالـة وحـذر الإملال لاستقصينا؛ فى ذلـك، ومـا أغفلنـاه، ونسبته لـك ومـاتوفيقى إلا بـا لله عليـك توكلت وبه اعتصمت، وإليه أنيب .

فأخبرنى أيها العائب لنا المرازى علينا، وعلى أفعالنا، وشريف سعينا، وهو فوق المساعى الشريفة، وأصحابه ذوى الحيل اللطيفة، والأخلاق المرضية، والأفعال العليه لم صار المؤلف بين المحبين، والساعى بين المتفرقين يسمى قواداً ؟ و لم يسم قائدا و لم خص من قاد الجيش باسم القائد، ومن قاد حبيب إلى حبيب باسم القوّاد، والمعنى لهما جامع وعليهما مشتمل ؟

وكيف كان لهذا دون ذلك أشنع الاسمين، والمعنى قد يجمعهما فى نفس الفعل ؟

و لم خصت الشناعة بهذا الاسم دون الآخر ؟

وكيف نسب إلى الفساد وهو ساع فى الصلاح و لم يجتنبوا مخالطته، وكره قربه، وذكره، وعشرته، ومنادمته، وخلقه، ومداخلته؟

وكيف لايكون عندهم مأجورا بسعيه، و لم جعلوه مأثوما بفعله، وعاد ملوما، و لم يعد محموداً، وزعموا أنه فاجر لئيم، وهو برٌّ كريم .

وكيف صار عندهم خسيس الهمة، زرى الطعمة، دنىء الصناعة، وله الحيل اللطيفة، والمداخل الخفية، والسياسة المقومة، والرياضة المقدمة، والهمة البعيدة، والمحاضرة العجيبة، قد سبق من تقدمه، وأعجز عن اللحاق به، يسهل له ما استصعب على الرواض قبله، ويهون له ما توعر على من سلك طريقه وقصد تجارته وحوائج الناس إليه أكثر من قايدته منهم، وشقوتهم باسعادهم أكثر من سعادته منهم.

فكيف عموا عن محمود فعله وسعيه، وفطنوا لريبته ودنىء فعله، و لم عنوا بكشف قبيحة، واعتزوا بهتكه، وتشاركوا فى ذمه، و لم جهلوا شجو بيانه، وبلاغة لسانه، ونحو حديثه، ومضحك نوادره، حتى يبلغ لهم الإرادة وحتى سهَّل لهم المدخل وانتهز الفرصة وقطع الحجة ووقف بهم على القصد والمحجة بالأصالة فى الرأى والصدق عن العزم والأخذ بالحزم والقصد للصواب عند الخطأ وسلوك الجد عند توعر السبل ومضيق الطرق، واشتباه المسالك ووعر المنهج.

فتسهلت تلك الفجاج له بفعله الغامض، وعزمه الناهض ففتح بعزمه المقفل المستغلق حتى تناهت الأمور إلى أمره وبحثت الأراء ورأى رأيه ويستأمن الخائف من إقدامه ويسكن المستوحش إلى إيناسه فكيف يعمى عن نفسه بصرفه، وينظر فى حق غيره والسداد فى محبة من يسعى له .

ماهذا التركيب المتضاد والمزاج لفاسد والاجتماع المنافى والتأليف المتجاين؟ وماهذه الجهالة الظاهرة مع هذا العقل الأصيل وهذا الاسم الشنيع مع هذا الفعل الحسن؟

ولم صار هذا المؤلف بالعيب مشهوراً وعرض من يسعى له مستورا وما بالهم إذا احتاجوا إليه ألفوه، وإذا غنوا عنه باعدوه وأخروه، أليس قد خلع عذاره فى طاعته وخالف هواه لاتباع أهوائهم وأبدى صفحة الذم فى اكتساب حمدهم فأمن من خاف وظفر من خاب فأقفنى أكرمك ا الله على هذه الأسباب وأرشدنى منها إلى الصواب واكشف لى عن واضح البرهان ولاتكن كما قال الشاعر .

وترى اللبيب مجسدا لم يجترم ... شتم الرجال وعرضه مشتوم

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن ... لوجهها حسداً وبغيا إنه لذميم

فإن شهد التصفح عن عيب وكشف لك عن غيب ووقفك على ريب أو ذلك الفحص عليه أو قادك البرهان إليه عرفنيه لأجتنبه وأعذرك وأفارقه، واتبعك.

فقد قالوا : الحمد والمغنم مع السلامة، خير من الذم مع العتاب والذلة.

وقد قال القطامى :

والناس من يلق خيراً قائلون له ... مايشتهى ولائم المخطىء الهَبَلُ

وقال المرقش :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لايعدم على الغى لائما

وماسمعت أيها الجاهل الغبى ماروى عن عمر بن الخطاب ﷺ قال لى أدركن عروة وعفراء لجمعت بينهما.

هذا؛ ومكان عمر من الدين والنصيحة والخلافة والشدة على أهل الريب، والهيبة فى حدود المسلمين، أفتراه قال ذلك، وهو يرى أنه يعاب عليه بقوله أو يأثم على فعله.

هذا، وقد حدثنى محمد بن الحسين، قال: حدثنا الفيض بن النيل قال حدثنا السرى ابن إسماعيل عن الشعبى قال : جاءت جارية لعلى بن أبى طالب ﷺ تشكو إليه مؤذياً لها وقالت إنه يؤذينى وما مررت به إلا قال لى : أنا وا الله لك محب.

فقال لها الإمام على ﷺ إذا قال لكِ ذلك فقولى : أنا والله أيضـا لـك محبـة ففعلت ذلك وقالت له كما قال .

فقال : تصبرين ونصبر حتى يوف الله الصابرين أجرهم بغير حساب .

قال : فجاءت الجارية فأخبرت عليا ﷺ فاستعبر لقوله تصبرين ونصبر.

ثم إن الإمام أرسل إليه فوهبها له، وجعل الجماع بينهما ثواب صبره .

هذا، إلى غير ما نقله رواة الآثار، وسارت بذكره الركبان فى الأمصار.

وفـى بعـض مـا أوردتـه كفايـة لمـن طلـب الإنصـاف وأحبـه، والله يوفقـك لذلـك ويلهمك إياه بمنّه وكرمه تمت الرسالة .

قال : ووقع حريق فى بنى عدى فسلم بيت قوادة كانت هناك .

فقيل لها فى ذلك :

فقالت الحَسَنُ الفعل معانٍ .

ولبعض أهل المدينة فى مريد حين أمسك عن ضربه .

كـل مـن قـاد فـى زمـانك هـذا	**نـال حظًـا بـه وكـل زمـان**
هـى إحـدى تجـارة حازهـا النـاس	**وأغنـى صناعـة وامتحـان**
فلزموهـا يـاإخوتى ففـى الحـظ	**الـذى قـد حمـى أذى الشـيطان**
لم يدعهـا مـن البريـة إلا كـل	**مـن نجمـه أخـو الدّبـران**

وروى صفوان بن يحيى :

عن عمار الساباطى، قال: ألح أصحابنا سنة من السنين فى المتعة فكرهت ذلك لهم.

فقلت لنفسى : ليس لهؤلاء دواء إلا أن أدخلهم جميعا على أبى عبد الله **فأسأله** بـين أيديهم عن المتعة وأشنّع عليهم حتى يجيبنى بما يحرم عليهم المتعة .

قال : فقلت لهم على هل لكم فى الدخول على أبى عبد الله ؟

قالوا : نعم .

قال : فاستأذنت لهم فدخلوا.

قال : فقلت له جعلت فداك ما تقول فى المرأة تسمى نفسها دلاّلة وهى **قوادة**؟

فقال : سبحان الله، هى دلاّلة كما سمَّت نفسها .

قلت : فإنها تجمع بين النساء والرجال.

قال : فإنا نحن نجمع بين من نعرف .

قال : إنما على الناس أن يصدقوا فى أنفسهم .

قلت : فإن الرجل يأتيها فيقول لها زوجينى امرأة فتقول له : اجلس حتى أزوجك فبينما هو جالس إذا خرج رجل ومعه امرأة من البيت فيمضى الرجل ويذهب وتبقى المرأة فتقول له زوجتك هذه، وقد كان الرجل خلا بها فى البيت.

قال : فإن كان خلا بها فلعله أخوها أو أبوها أو كان معها فى حاجة غير ما ظننت.

قال : قلت جعلت فداك فإننى جمعت هؤلاء لأفسد عليهم وأشنع عليهم فى مسائلى فما رأيتك إلا جوَّزت لهم .

فقال : ياعمَّار إن الله قطع عُصَاه .

وحكى بعض الأدباء قال : كنت فى مجلس أبى أيوب المورياني وهو يتولى ديوان الخراج فى أيام المنصور فأتاه رجل يسأله كتابه إلى رجل يشفع له إليه فى حاجة.

فقال أبو أيوب : قد والله اخلقتمونا، وأرقتم ماء وجوهنا، ومنعه منعًا قبيحًا .

فلما مضى الرجل قال له بعض جلسائه قد والله وفقك الله فإن هذا الرجل قواد أغر فاجر ردىء، **فقال له أبو أيوب** : قواد ؟

قال : نعم .

قال : وهذا عندك عيب؟

قال : وأى عيب أكبر منه .

فقال أبو أيوب : قبحك الله أتدرى ماكانت العرب تسمى القواد وماهو عندهم؟

قال : لا وا لله ما أدرى .

قال : كانوا يسمونه الحكيم وذلك أنه يأتى الصعب فيذلله ،والحزن فيسهله والبعيد فيقربه والقريب فيباعده والخائف فيؤمنه والجازع فيصبره والآيس فيطعمه والمغلق فيفتحه والمتحير فيرشده والوحيد فيؤيده يحيى بين نفسين ويجمع بين محبين وله يتطأطأ الشامخ الممتنع ويبرز المصون المحتجب وبه يسهل الصعب المتوعر.

ثم قال : ردوه، فرلد الرجل، فقال : أتدرى لم رددتك؟

قال : لا .

قال : إن هذا الجاهل الغبى أراد أن يضعك عندى فرفعك ووصفك بحكمة وظن أنه قد عابك بها فزينك بما نحلك من اسمها وكانت أقرب وسائلك إلينا وأنجح لشافعتك عندنا، اكتبوا له بحاجته وأدنى مجلسه، وقربه، وقال : ارفع حوائجك إلينا نقضها لك .

قال : ورفع إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد أن رجلا يقود ويجمع بين الرجال والنساء، يفعل ذلك على سبيل التزويج والنكاح، لا السفاح.

فقال : وماسبيلهم على رجل وسع فى منزله لصديقه، وأسبل عليه سترة وسعى له فيما يحلّ ويطيب لذته مستراح الأخوان الأحرار وذوى الشرف والأخطار .

قال مصنف الكتاب : ونحن نعلم أن الرجل الشريف المستور الأديب الريب قد يكون عنده امرأة من بنات عمه ونساء قومه وأكفائه ونظرائه فتتوفر عليه شهوته، زتملك عليه أمره وهى وهى أقبح وأسمج من القرد وأهرّ من الكلب وأشد تعدياً من الليث العادى فيريد شراء جارية أو تزويج حرة فلا يتمكن من ذلك، حتى يستريح إلى مثل هذا من الفتيان ويقتنى منزلة من الإخوان فيجعله شاكية فيساعده على حاجته، ويسعى له فيما يحب من لذته ويستره فى منزله.

وأنشدت للتّمَار[1] :

قد تمشيت فى الجميل فأسرعت	**وإن كنت لست تأتى الجميلا**
إن من مدّ للقيادة رجلاً	**لحر أن يكون فيها نبيلا**

(١) التمار، هو : أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب، الكوفى، مولى بنى أسد، أبو عبد ا لله، محدث، له النوادر، توفى سنة (٢٠٣هـ) .

وقد ذكرنا قطعة مما قيل فى فضل القيادة فلنذكر الآن ماقيل فى مدح أهل الصناعة وما وصفوا به من الحذق.

فأول ذلك : قول عمرو بن أبى ربيعة فى أبياته التى تقدمت فى باب الرسول :

فأتتهـــا طبَّـــة عالمـــة ... تخلـــط الجـــد مـــرارا بـــاللعبْ

ترفـــع الصـــوت إذا لانـــت لهـــا ... وتراخـــى عنـــد ســـورات الغضـــبْ

وحكى، عن أبى عتيق أنه قال لما أُنشدتْ هذه الأبيات :

الناس فى طلب خليفة مثل هذه القوادة مثل مقتل عثمان بـن عفـان ﷺ لم يقـدرون عليه .

وقال جران العود من قصيدة :

ومكتومـة رمـزا سـددت بجزمهـا لهـا ... فهـى أمضـى مـن سُـليك والطـفُ

تلـمّ كإلمـام القطـامى بالقطـا ... وأسـرع منـه لمَـةً حـين تخطـفُ

وقال دعبل بن على الخزامى فى وصف قوادة :

دســـت إليهـــا شـــيخه عبدليـــة ... بعضت بهـا الأجفـان فـى العطـر فـايز

مضـــى حرهـــا إلا الـــترفق بـــالهوى ... تتيـــه بلطـــف مـــرة وتراهـــز

وقـــوع بمـــا تهـــوى إذا مـــاتمكنت ... وتســـمع مـــالا تشـــتهى فتحـــاجزُ

وتهـــزل أحيانـــا وإذا مـــاتحدثت ... فتبلـــغ أقصـــى حدهـــا وتجـــاوز

تدانـــت إليهـــا بالخديعـــة والرُّقـــا ... فتعـــرض أحيانـــا وحينـــا تـــاجز

وقال إسحاق بن حلف النهرانى فى أمر عبد الصمد بن المعدل العبدى :

اسـئل إذا شـئت عـن اخبـار زرقـاء ... ام الدواهـــى وأم الرفـــق والـــداء

لايعمـــل النقـــب إلا فـــى مخـــدرةٍ ... تـــاوى إلى شـــاهق فـــى رأس حلفـــاء

حـــم فـــى والـــص الخضـــرى تســـحبه ... كلفـــت جوانبـــه منـــه بأســـواء

بلـــوح فـــى يدهـــا مشـــباح موجهـــة ... عنـــد اختـــلاف إلى ســـوق وكـــلاء

حمم فـي واقـص الخضـرى تسـحبه … كفّـت جوانبـه منـه بأسـواء
لـو أنهـا بـين بـئر مقفـر جـدب … وبـين بحـر زنـا حـوت بعفـراء
أخفـى مـن الريـح إن دبـتْ … إن عزمن مشت إذا عرضت منه على المـاء
لـو أنهـا نفثـت فـى صخـرة نطقـت … فـأذن خرسـاء أضحـت غـير خرسـاء
تُصغـى فتسـمع سـر القـوم عـن كثـبٍ … وليـس يخفـى عليهـا قَبْـل إصغـاء
أم الدواهـى التـى لم تُحصَـى عدتهـا … وأم أسمـاء جـاءت قبـل أسمـاء
مـا يلبـس الليـل منهـا حـين يلبُسـها … ومـا تجـئ بـه فـى كـل ظحيـاء

وقال أحمد بن أبى طاهر :

فأرسـلتها أمضـى مـن السـيف مقدمـاً … وأسـرع مـن سـيل أتـاك بـه الوَبَـلْ
تـدب دبيـب الخمـر فـى كـل مفصـل … لطافتهـا فـى القـول والـرأى والحيـلْ
يَـذِل لهـا المصعـب الجمـوح قيـاده … وتُهـدى إلى بـاب الضـلال ولاتَفَـلْ
يـرى الفطـن الداهـى عليهـا غبـاوةً … إذا مـا رآهـا وهـى أختـل مـن خَتَـلْ
وتسـتخرج الخـود الكعـاب ودونهـا … حجـاب إذا مـا ألقيـت دونهـا الكلـل
ولـو أنهـا سـاع بـأهون سـعيها … لألفـت الذئـب الخليـع مـع الحمـل
يَقـرُّ عيـون زُهدهـا وخشـوعها … وتسـبيحها عنـد الشـروق وفـى الأصـل
ولـو جبـلٌ رامـت إزالـة ركنـه … بنفثتهـا يومـاً لـزال لهـا الجبـل
تسـتهل اكـان زوعـرا سـبيله … وتفتـح مهمـا كـان أُغلـق وانقفـل
تذكـره بـالله احفـظ أهلهـا ومـا … فـى المثـانى السـبع منـه وفـى الطـول
أصـاخ إليهـا مسـمعاً فاطاعهـا … وأعصـى لهـا مـن لام فيهـا ومـن عَـذَلْ
تُجـاب إليهـا دون بـابٍ وحـاجبٍ … ورقبـة بـوابٍ وراع ومـا غَفَـلْ

وقال آخر :

إذا أردت يـا أخـى غـادة … مـن المغنـى صعبـة القَـادَه

ان ترحــــم الصـــبُّ وأن تـــرَادَه   لكـــن تـــرى مـــن التقـــى ابعـــادَه

فادســـس لهـــا عجـــوزا قـــوادة   أدبُّ فـــى الظلمـــاء مـــن جـــراده

قـــد انحلـــت مـــن شـــدة العبـــاده   تـــولج فـــى جبهتهـــا ســـجاده

كالحســـن البصـــرى أو قتـــادة   فـــى يدهـــا ســـبحتها الصيـــاده

قـــد أحكمـــت غرائـــب القيـــادة   لأنهـــا تدخـــل كالمرتـــاده

تذكـــر كـــل عـــامل بعـــادة   وتصـــف الشـــقاء والســـعاده

حتـــى إذا نصبـــت لهـــا الوســـادة   وأجلســـوها جلـــس مســـتفاده

أطـــردت فـــى موجهـــا إطـــوادة   ولاحظـــت بمقلـــة وقـــاده

ثـــم خلـــت بالغـــادة المرتـــادة   تَرُوضُهـــا بلجُـــم المقـــاده

حتـــى تـــرى طاعتهـــا ســـعادة   جـــواد حصـــن ســـفبت جـــواده

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

هـــل مـــن رســـول ظريـــفٍ إلى غـــزال ثقيـــف

لســـانه مدنـــيّ وقلبـــه قلـــب كوفـــيّ

فـــى حـــد رفـــق عجـــوز وفـــى حســـارة صوفـــى

لـــه ســـريرة ذئـــب وتحـــتِ قُـــسٍّ عفيـــفِ

تكـــامل الظـــرف فيـــه ففـــاق كـــل ظريـــف

وقال ابن حاجب :

زنـــتِ الدهـــر ثـــم قـــادت   فلمـــا خـــالط الركبتـــين منهـــا فتـــورُ

ســـخفت للمخنثـــين زمانـــاً   فعلـــى ظنهـــا تشـــوب الأمـــور

ومن أمثال هذه المذمة :

أقود من ظلمة والناس يصحفون فيه فيقولون : ظُلْمَةَ، وإنما هو اسم سوداء كانت تجمع بين الرجال والنساء فلما عجزت عن ذلك أخذت تيساً وجعلت تحمله على الأعنز، فعميت فصارت تدور على الأبواب لتغلقها لأن لاتجد شيئاً يلج فى شىء.

قال : ولما قال عُمَر بن أبى ربيعة المخزومى :

مَـــــن رســـــولى إلى الثريــــــا لأنـــــى ضقـــت ذرعـــاً بهجرهـــا والكتـــاب

بذلك ابن أبى عتيق فقل وا لله ما أراد سواى فركب بغلته حتى أتى مكة، فدق باب عمر.

وقال : اخرج أنا رسولك الذى أردت فركب معه حتى أتى به الثريا وأصلح بينهم ثم انصرف إلى المدينة، والأخبار فى مثل هذا كثير جداً، وفى ذكرها هنا إطالة الكتاب.

قال : ولما قال العرجى :

ولمـــا أتيتهـــا يومـــا ولم أنـــس قولهـــا لجارهـــا قومـــى اســئلى لى عـــن الوتـــر

فجـاءت تقـول النـاس فـى سـت عشـرة فـلا تعجلـى عنـــه فـــإنك فـــى أجـــر

فقال ابن أبى عتيق : هذه أفقه من ابن المنكدر، أشهدكم أنها حُرَّة من مالى.

قال : واجتمع أهل المدينة إلى أمِيرها، فشكوا مايلقون من فساد مَزيد أحداثهم فنفاه ونزل على فرسخين من المدينة، فاجتمع أهلها بعد أيام، ودخلوا على الأمير.

وقالوا : قد صاروا أحداثنا يغرمون أجرة الحمير، ولاينصرفون ليلاً ولا نهـاراً، وقد ألفت حمير المدينة الذهاب إلى منزله حتى هى تأتيه من غير إذنك، فامتحن ذلك فوجده بها.

قال : فجرده ليضربه فضحك مزيد.

فقال له : ويلُ لك ما الذى يضحكك؟

قال : وا لله ماغسلنا وجوهنا ولا رؤوسنا من قَولِ اليمين مع الشهادة فكيف صرنا نقبل شهادة الحمير فأطلقه .

قال : وجمع مزيد يوماً فى منزله بين رجل وامرأة، فاقتحم عليه الشرب، فأخرجوهم فاستشفع الرجل والمرأة على الوالى فأطلقهما وبقى مزيد.

فلما أتى به الحبس.

قال مزيد : لم تحبسنى؟

قال : لأنك قَوَّاد .

فقال : أصلحك الله وجدت زوج حمام فيٍ مزجلة، فأطلقت الحمام وتعلقت بالمزجلة، فضحك منه وأطلقه.

قال : وكان فى مدينة السلام مُقتنٍ يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارِ جماعة ذوات حسن وإحسان وكان خبره فاشيا متعاليا يقصده المتصوّن وغيره، فبلغ خبره رجلا من الكتاب المذكورين، فتشوقت نفسه إلى قصده.

قال : فمضيت إليه يوماً فرأيت أحسن منزل وآلة، فلما استقر بنا المجلس، قال لغلماني: إذا كان من غد بكروا، فجيئوا بالدواب فاستوحشتِ من قوله.

فقلت : بل يقيم بعضهم عندى، وينصرف الباقون، فأبى وحرِد، فاتبعت ما أرادوا، وأحضر أحسن طعام وأنظفه، فأكلنا، وأتى بأنواع الأشربة، والفواكه، فأخذنا فى أمرنا، وخَرَّج إلينا وجوه كالبدور، وكنت رأي عند دخولى على بعض الأبواب طيلا معلقا، فظننته لبعض الجوارى فلم أسأل عنه.

فلما قعدنا على حالنا أخذ منا الشراب، وأحضر عمودا، فجعله بي يديه فأوحشى جداً، وقلت فى نفس رجلٍ غيور، كما لُقب وجوار حسان، وشراب شديد، ولست آمن إذا أخذ منى الشراب أنْ أعبث بهن، فيغار منى، فيضربنى بالعمود .

قال : فلما طابت نفسه، قلت له جُعلت فداك مامعنى هذا العمود مع الشراب؟

قال : أخبرك، اعلم أننى رجل غيور كما بلغك، ويحضر منزلى قوم معهم سوء أدب، فما هو إلا أن تغنى الجارية حتى أرى الواحد قد لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه، فأقول فى نفسى أقوم بهذا العمود، فإنما هى ضربة فأقتلها وأستريح، إلا أنى على ماترى رجل معى تأنٍ شديد، فأقول شرب الرجل يُسِرٌّ ويضحك، ولعله يعرفها، وتعرفه، فضحكتْ إليه، وضحك إليها، فأمسك، فلما ذكر ذلك طابت نفسى، وأصغيت إلى حديثه.

فقلت : ثم ماذا؟

قال : ثم إن الأمر الأمر يتزايد حتى أرى أنه قد دنا فسارها وسارَّته، فتقوم علىّ القيامة، وأقول: ضحك إليها، وضحكت إليه للمعرفة، فما موضع السرار، ثم أهم بضربها بالعمود فللتّأنى الذى عندى، أقول: لعله طالبها بصوت تغنيه فأُمسِكُ، فلا يطول الأمر بينهما حتى أراه قد أدخل يده تحت ثوبها، فقرصها وعبث ببدنها،

فتداخلني الغيرة، فأقول: ليس بعد هذا شيء، وأهمّ بضربها بالعمود، إلا أنى على ماترى معى تأيد وثبات، فأقول: بعد لم يبلغ بها القتل، وهذه أوائل سيكون لها أواخر، فإذا أنا رأيت مايوجب القتل قتلتهما، واسترحت فأمسِك فلا يطول الأمر حتى أرى الواحدة منهن، قد قامت، وقام الرجل فى أثرها، فيدخلان ذلك البيت وبابه يثق جداً، فأسعى خلفهما بهذا العمود لقتلهما ألبتة، فيطبقان الباب من داخل، وأبقى أنا خارج، وأنا غيور كما قد علمت.

فأقول متى سمعت حركتهما مت، وقتلت نفسى، فلا يكون وا لله يا أخى لى اعتصام إلا بذلك الطبل المعلق فأتناوله وأضعه فى عنقى فلا أزال أضربه حتى يخرجا.

قال: فأقمت عنده على طمأنينته منى، ولم أر أوفى منه قولاً وفعلاً .

ومن أبيات للحسن بن هانئ أبو نواس :

عجبت من إبليس فى تيهه	**وخبث ما أظهر فى نيته**
تاه على آدم فى سجدةٍ	**وصار قوادًا لذريته**

باب
فى فضل الثيب على البكر

قَالَ يزدجرد فى رسالته:

فى فضل الثيب على البكر، وهو أحسن ما وضع على هذا المعنى.

قالت الثيب للبكر: ما دلك على أن فضل الثيبات العارفات، والممرَّات المسيرات، أفضل من الأبكار؟

قالت البكر : فضائلنا كثيرة، ومحاسننا مشهورة، ولكن يُقتصر على اليسير منها، والصغير من أنحائها؛ ليكون الظاهر من خَصْرها دليلا على الباطن منها، فلو لم يكن من فضائل الأبكار إلا أن إحداهن إذا عرفت بعلاً لم تعرف سواه، وألفت شيئاً لاعهد لها بمثله، فلم تعلم الطيب من المنتن، ولا الصالح من الطالح، والجيد من الردىء، والشكل من الضد، والسمج من الجوّاد، والفاضل من المفضول، والصحيح من العليل؛ فاسشعرت بما لاعلم له بمثله أن اللذات كلها والشهوات جميعها مقسومة عليها منحازة إليها، فيطيب لها عيشها يؤمن بها غوائلها، ولايبخسن فى فعلها، وهذه خاص لايدفع القول بها، ويمتنع الإذعان بمثلها إلا من له خوف من ا لله عز وجل، ولا نصيب له فى الدنيا .

قالت الثيب : إذا فسد الشجر، حمض الثمر، وإذا قُلعت الأصول تهافتت الفروع، والمنطق لعمرى ينتجه العقل، والغالب أشرف من المغلوب وقد نبأتِ عن عقلك، ومقدارك فى حكمك، وقد كان يظن لك ذلك، ولو كانت البكر والثيب جنسين منفصلين وشيئين متباينين، وإلا فهل رأيت قط ثيباً لم تكن بكرا مرة، فكأنك إنما تحدثيني عنى، ألم أكن مثلك بكرا ؟ ألم أتطعم ألم الذكر؟ ثم إن من أحل الذكران بأنفسهم قدراً، وأجملهم أمراً وجمالا وكمالا وفضلا وإفضالا، حتى إذا أحالت الأيام بيننا، وفارقت الأحكام دوننا، وكان من قدر ا لله تعالى ماكان.

ولعمرى إنا لو وجدنا بكرا يتداولها الرجال، ولم يلحق بها شناعا الخصال، ولم تهتك أخاً، أوتفضح أباً، وتنأ أهلا، وتوكسن بعلا، فذلك لنا لا علينا.

قالت البكر : لـو عقلـت واقتصـرت علـى الحـاصل، و لم تسـمعى بـإحدى أذنيـك، وتبصرى بالواحدة من عينيك لارتفع التبجيل، وصرنا جميعاً إلى الحـق، والمحصـول، وإلا فمن أزين أمراً وأستر ستراً وأخف بطناً وظهـراً بـين عـاتق أبصـرت الدنيـا بغـير نـاظر، وعرفت صفوتها من كدرها، وخيرها من شرها، وصالحها من طالحها، فنظرت لنفسـها نظر المستبصر العاقل، والحر الفاضل والأمانى لذة محمودة، وشهوة محمودة وخير عاجل ونعيم آجل وهو موفَّرُ مجموع، ومصـور مرفـوع فـى الفتـى والفتـاة والمهـاة للمهـاة، لا حائل بينهما، ولا مانع دونهمـا، ممتزجـات بـالعقول والأرواح، متلاصقـان بالأجسـاد، والأجـلاد، مخلوعتـا العـذار، عنيَّتـان مـن الاعتـذار، لم يُثرن عـاراً، و لم يـبرزن شــناراً، مصونات الستور، متلاصقات الخدور إلا أنـك تزعمـى أن الطيـب، والطـرب، والفخـر والحسب، إنما هو فى الحمل والرضاع، وحق الأطفال، والصبيان، والجلـوس فـى الزبـل والأصنان.

قالت الثيب : إن إلى كل واضحة دليلاً، وإلى كل علامة حق سبيلا، وبين التعريـض والتصريح منزلة لايفوت حالها المستبصرون كما لايفوز بمثلها المبهرجـون، فإنـه يقـال : من خالف عيباً بَصَره، ومن لابس سواء غمره، وقد عّرضت بمعنى، وصرحت بـالآخر، لو لوّحت بالسوية وكشفت عن التشبية والمخرقة، وذلك بكن أشبه، وأشكل بأمثـالكن مما زدت على أن نبهت على عقلك، وكشفت عن اعتقادك، وصرحت بقـول مـابى ود يصان، وقد دق وصار فنون كـأنك أردت بتفريـق الشـمل وبتقطيـع السبل، وإلا فهـل يكون بين المهاة والمهاة والفتاة والفتاة أن يؤثروا الأنبياء، والمرسـلين، والملـوك، والخلفـاء الراشدون والأدباء، فإن كان كما تقولين فهو كذلـك، وإلا فقـد علـم المتحققـون بحق ا لله والقـائلون بأحكـام ا لله، والملتجئـون إلى سـنن رسـول ا لله، وسـنن الحـق، ومخـائل الصدق، إن ا لله لم يبعث رسولا هو أشرف محلا ولا أرفع مكانا ولا أكثر ملّة من نبينا محمداً ﷺ حتى نقل الصديقون عن ا لله والعالمون بحكم ا لله ان لولاه ماخلقت الأرض، ولا من عليها، ومن كان هذا مقاله وسائر أحواله، فقد علمنا أن ذلك إذا كان كذلك، فإن ا لله عز وجل لم يدخر فضلا آجلاً، ولا جزاءً عاجلا إلا وقد جعل نصيـب رسـول ا لله منه الأكثر، وحظه منه الأوفر.

وإذا كان هكذا بإجماع منا معشر المقرين بنبوته، والمنقادين لرسالته، فليس لنا أن نعدل عن إذنه، ونأخذ بغير سنته، ولا ننافس على ماحث إليه، ووقف عليه، فإن إنسانا لو وجدناه يقول أحب الصلاة والصلاة هى حبيبة رسول الله ﷺ كما ورد لعلمنا أن الله تبارك وتعالى قد فَتَنَه بحب الصلاة، فصار تبعاً لرسول الله فى ذلك، ولما وجدناه صلى الله عليه وسلم قد حبب الله إليه نوعاً من لذات الدنيا حتى جعله الله تعالى عنده فى أعز المراتب وأكبر المطالب، قد علمنا يقينا أن الله تبارك وتعالى حبب إلى نبيه ﷺ النساء، ويمكن أن يكون غيرهن أطيب وألطف وأعذب وأشرف، فإذا وضح ذلك، فيحتاج أن نعلم بأى الحالات حببن النسوان إليه.

فأما إن وجدناه صلى الله عليه وسلم قد بدأ بتزويج الثيبات، فقدمهن وابتداهن، كما قدمهن الله وتعالى فى كتابه فقال ﴿**ثيبات وأبكارا**﴾[التحريم :٥] ولم يقل أبكاراً وثيبات، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة بنت خويلد ثيباً، وأم سلمة ثيباً، وزينب بن جحش ثيباً، وزينب بنت خزيمة ثيباً، وميمونة بنت الحارث ثيباً، وصفية بنت عبد ثيباً، وأسماء ابنه عميس ثيباً، وعساك أن تحتجى بعائشة -رضى الله عنها- فأقول إن عائشة واحدة من بين جماعات، وفى العدد صغير من كثير.

فإن قلت: كما قال الله تعالى من الحور العين حين سماهن أبكاراً، فنحن قد علمنا أن تأويل ذلك ليس يدلنا على أن الحور العين تفتض عذرا من عذرتها، وإنها ذات دم وحيضه، لكنه عز وجل خاطب الناس بأقرب ما يتأتى فى أهوائهم، وقَرُب من محابهم، كما قال: خمرا وعسلا، ونحن نعلم أن الخمر فى الجنة لايسكر ولايلهى عن ذكر الله عز وجل، ولاهو بخمر.

ثم لانجد الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين والفقهاء من التابعين، افتتنوا بالعواتق الأبكار، بل عشقوا النساء الثيبات.

فمنهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه أحب هاجر.

وداود عليه السلام أحب امرأة أوريا[1] .

---

(١) حب داود عليه السلام من امرأة أوريا قائده، هذا من البهتان البين الذى لصقه اليهود بالأنبياء ظلماً، وعدواناً، ولتراجع القصة فى تاريخ الطبرى، ففيها شفاء، وزب عن ساحة الأنبياء.

ويوسف عليه السلام أحب امرأة العزيز، ثم تزوجها على كبر سنها، وبعد أن عميت لما أن كان في نفسها منها.

ونبينا ﷺ استأثر بأم أيمن، امرأة زيد[1]، وهن جميعاً ثيبات .

ومن الفقهاء والتابعين: عبد الرحمن بن أبى بكر، وعبد الرحمن بن عمّار فقيهى الحجاز، والمغيرة بن شعبة، أحد الصحابة، وأبو عبد الله الكبير، وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، وهو فقيه المدينة، واستشهد على عشقه، وهؤلاء، كلهم فقهاء.

ومن الخلفاء: المهدى، والرشيد، والمأمون، والواثق، والمعتصم، والمتوكل، ومن هو دون هؤلاء الطبقات من الوزراء والأمراء والوجوه والكبرا والشعراء : ابن أبى ربيعة، عشق الثُريَّا، و لم تكن بكراً، وجميل عشق بثينة، و لم تكن بكرا، وكذلك كثير عزة، وهن جميعاً ثيبات .

قالت البكر : الحقيقة فوق مادونه وإن تظاهرت الأباطيل، واشتبهت الأقاويل، وأى لطيفة ألطف، وتحفة أشرف من مادٍ يده إلى ثمرة شجرة لم يطعمها سواه، و لم تمسسها يد غيره، و لم تنبدل قبله ولابعده، فإذا استعذب منها مجتناها، واستطابها، واستحلاها، وورد حاصباً ليأكلها، فحازها، واحتواها، وحرسها وغطاها، موقوفة عليه منسُوبة إليه لاشريك له فيها ولامنازع له عليها.

قالت الثيب : إن المجرب للأمور واقف من أمرً بين حالى الشك، واليقين، والمحمود والمذموم، والمجرب للثمرة غير مأمون أن يظنها حلوة فتكون مُرّة، أو عذبة فيجدها علقماً، أو مُدْركة فتكون مهلكة، أو عادية فتكون قاتلة، أو ما علمت مع ذلك أن الباكورة مذمومة مدحورة، والمبكرات من الفواكه والثمار غير مأمونات من الأعراض والأمراض، وأن أطيب الرّطب فى وسطه ومنتهاه، وأعذب العنب فى غايته وآخره، وأن المشمش والبطيخ والسفرجل والتفاح غير مأمونة الأوائل، وأن أوائلها تعد من القواتل فى عفوصة الرمان، وحموضة التفاح، وفجاجة التين، وزعارة الزيتون، قبل

---

(١) زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش لم يكن لشغف النبى ﷺ كما ذكرت هنا، بل كان أمراً من الله تعالى، لينهى عن عادة التبنى، ولمن أراد الزيادة فليراجع كتب التفسير فى ذلك، والله أعلم .

إدراكها وتزعمى أن الموفق من الناس يختار عن شدة الجوع أن يأكل فرُّجاً نيئاً، وهو يقرقر، والجزور حيٌّ يبربر، وسائر الحيوان غير مصنوع ولا مدبر فلا أرى مع ذلك أن الفرق بين من رام متنزها فأتاه، وهو يفعل فعلاه وبستاناً فدخله، وعمراناً فوصله، وبين من رام ذلك فوجده ممنوعاً بالأبواب وأنواع الحفظة والحجاب، لاسبيل له إليه، ولا سلطان له عليه، دون اضرم الحرب والطعن والضرب، لغير أن يرمى وجهه المصرن، وجسمه المكنون مما لايدرى يكون أولا يكون، وما الفخر الآن والنطق يأكُل قدر لم يذقها طباخها، ومالفضيلة فى أكل فراريج يؤذينا ريحها بأيدينا، ولانطعم من حيوان لم يتقلد بحره سوانا، وما المنافسة على ركوب فرس لم يرضها سواسها، ودخول بلد لاعهد لإنسان بدخوله.

فإن حسن ذاك واعتدل، وعز الأخذ به وفضل، فإنا نجد أن أعز المنجمين من صاغ خاتمه لنفسه، وأهنى الطاعمين من ذبح وطبخ وعجن وخبز وأكل دون غيره، حتى نجد الناس ينافسون على أن يتعلموا السياسة والحجامة والصناعة والنجارة، وسائر الصناعات؛ ليتولوا على ذلك لأنفسهم، هذا إلى الحد نزوع القطن بأيدينا ونجمعه ونحلجه وننذفه ونغزله وننسجه ونقصره ونقطعه ونخيطه، ونلبسه، فإن كان هذا جائزا والقول فيه واجباً فما أمر الإنسان أن يحتاج متى هم بالمرأة أن نعرف أيضا منشأها ومنتهاها، وأن يعرف أيامها وساعا، وحواضنها وداياتها، وأن يحضر ميلادها ونفاسها ويسوسها صغيرة ويصونها كبيرة، فإن فاته ذلك و لم يعلم منها ماوراء سترها من خيرها وشرها وما فى مخبئات ضمائرها وفكرها، وماتحوى عليه مكامن صدرها من الميل إليه والتشاغل بسواه، والرغبة عن نحوه وإلا لم يرها أهلا له ولا موضعا لمثله.

فإن أوجب ذلك لنفسه وادّعى إلى القول بقوله، فعليه أن يعلم الغيب، وخافية الأعين وما تخفى الصدور.

ثم قالت الثيب : وقد حدثنى الإقلندسى قال : غدوت إلى صديق عريساً أهنيه ثم رحت إليه أعزيه.

قالت البكر : وكيف كان ذلك ؟

قالت : لأنه ابتنى بأهله بعد شدة شديدة وجهد جهيد، ثم إن الجارية غفت معنا، ثم استثقلت فى نومها نصبا لما نالها وألجأها وأضعف جسمها وحلّ بها، ثم انتبهت تنتفض فزعا، وتستغيث جزعاً، فقيل لها فى ذلك، فقالت: رأيت فى النوم كأن بعلى يقتضّى بأمنه، فلم تذل على ذلك من اضطرابها حتى قضت فرقا وخوفا، فصار العرس مأتماً.

وحدثتنى زريق: جارية إبراهيم بن أمير المؤمنين المهدى با لله فى عكس ذلك، وقد حدثتها سلمى وكانت لأحد الوجوه، قالت: أصبحت مؤنسة من برسام كان بها، فلما لم يبق إلا آخر رمق إذ وثبت جالسة مع شدة ضعفهما، وإنحلال قوتها، واستبشر أهلها ودعت بطير لها، وسئلت عن ذلك.

فقالت: إنى رأيت خليلى فى النوم بخيالى كما أحب خياله، فصددت إلى قوتى، وزالت عنى علتى، وكانت ثيبا، وذلك يدل على فضل الثيب على البكر من فضل الحياة على الموت، فولت البكر باكية منتحبة ساكتة .

باب
مناكح الحيوانات

ذكروا أن كثرة السفاد والمبالغة فى الإبطاء والدوام، وكثرة العدد قد يكون لضروب من الحيوان، والإنسان يغلب تلك الأجناس كلها؛ بأن ذلك دأب منه فى جميع الأزمنة.

فأما البطاء فى حال السفاد : فإنه للحمل، والذباب، والخنازير، وهو فضلة لها.

فأما كثر العدد: فهو للعصافير.

قال : وروى أبو المعمر عبد الله الغنمى، أن التيس الذى يقال لـه : المشـارطى قـرع فى يوم واحد نيفاً وثمانين قرعةً، إلا أن ذلك منه ومن مثله.

قالوا : وقد يعرض للسنانير كما يعرض للخنازير .

وحكى بعض العلماء: أن الزنج أشبهوا الحمير فـى كـل شـىء، حتـى فـى الحُـلاّق، والحلاق: أن يكون هو الطالب والنبيذ: يهتك ستر الحلقـى وينقـص مـن عـزم المتحمـل وهم يشربون النبيذ أبداً سوء الاجماد له وسرعة السكر لهم عامٌ فيهم.

وكان فى مـنزل يعقـوب بـن إسـحاق، عظيمـان، هـرَّان عظيمـان، فنكـح أحدهمـا الآخر، وذلك كثير مما يكون .

فحكى يعقوب : أن المنكوح منهما لايمانع الناكح، ولايلتمس نه مثل الذى يبدل له

قالوا : وليـس العقـاد والتحـام الفرجـين إلا فـى الكـلاب والذئـاب، إذا تعـاقلت وتسافدت رأيت أمرا عسيراً.

والحيوان الذى يطاول عند الفساد: فإنما هو الكلب، والذئب، والحَمل، والعنكبوت، فإذا أراد العنكبوت السفاد جذبت العنكبوت، بعض خيوط نسـجها مـن الوسـط، فـإذا فعلت ذلك فعل الذكر مثله، ولا يزالان يتدانيان حتى يتنايكان، فيصير بطن الذكر قبال بطن الأنثى.

وذلك على سفادات الضفادع .

وحكى عن بعض الأعراب أنه قال : إذا هجم الرجل على الذئب، والذئبة، وقد التحم الفرجان قتلهما الهاجم عليهما كيف شاء، إلا قليلا ما يوجدان كذلك لأن الذئب وحشى جداً، صحب نفرة وخلوة وانفراد، وتباعد، فإذا أراد ذلك من الذئبة توخيا موضعاً من الديار لايطأه الإنس خوفاً على نفسه وضناً بالذى يقدر فى المطاولة من اللذة.

قالوا : وخص ذكورا الطيور، يكون فى أول السفاد أعظم وكل ماكان من الطير أكثر سفاداً كانت خصيته أعظم من الديك، والقبج، والحجل وخصية العصفور أعظم من خصيته مايساويه فى الجثه مرتين.

وليس فى الأرض من جميع أجناس الحيوان ما للذكر حجم ظاهر إلا الإنسان والكلب والقرد.

وليس فى الأرض شيئان يتسافدان فيبلغ من لذاذة كل واحد منهما لصاحبه حتى يلتحم عضو الذكر وعضو الأنثى ويصير إلتحامهما التحام الحلقة غير الكلاب.

وزعم أرسطاطاليس : أن الذئاب فى ذل مثل الكلاب.

وكان ابن غزوان قد تعشّق امرأة شبير بن عمران وكانت إذا وقعت به لم تمكث عنده إلا مقدار مايقع عليها وقعة فإذا فرغ ليست خفها وطارت، وكان إسماعيل ابن غزوان يحب المعاودة ويزيد فى الحديث والقرص والشم والتقلب والتقبيل، والتجريد، وتعلم أن فى التكرير للثانى والثالث أجدر أن يبطئ وأجدر أن يشفى، وكان ربما ضجر وذكرها بقلبه، وهو فى المجلس، فيقول: يارب امسخنى وإياها كلبان ساعة من نهار، أو ليل حتى يشغلها الالتحام عن الفكر فى غضب مولاها إذا احتبست .

وفى طباع الكلاب أعجوبة : فمنها أنها تلقع من جميع أجناس الكلاب، وتلقح من أجناس أُخَر غير الكلاب، وتلقح من كلال مختلفة الألوان فتؤدى شبه كل واحد وتملى أرحامها جزءً من سفاد كل واحد، ومن مرة واحدة، كما تمتلئ من عدة كلاب، ومن كلب واحد، وليست هذه الفضيلة إلا لأرحام الكلاب.

والفيلة : إذا صنعت من ذكورها شىء أحاله الكلاب والفيلة إذا صنعت من ذكورها شئ أحاله حتى يكومه ذكر آخر، فإذا كامه خضع أبداً .

ويقال : إن أكبر الأيور من إيـور الحيوان الفيـل، وأصغرهـا الظبى، ونصيـب البـط لايذكر مع هذه الأشكال، وقد صح أن للضب أيرين وكذلك الجرذون والسقنقور.

قالوا وإنما صار الخصى من كل جنس أسمن؛ لأنه لايسفد ولايهيج.

والسقنقور : إنما ينفع أكله إذا صيد فى أيام هيجه وسفاده فصـار لحـم الهيـاج يهيـج لمن يريد العلاج به . .

وذكروا : أن المرأة إذا حملت شيئا من نجو الفيل، بعد أن تخلطه بشىء مـن عسـل لم تحبل أبداً.

قال أرسطاطاليس : أي الفيـل اصغـر مـن مقـدار بدنـه، وخصيتـه لاحقـه بكليتيـه، وكذلك يكون سريع السفاد .

قال ابن الوشحار : أقبلت من خراسان فى بعض طرق الجبال، فرأي أكثر من ميلين متصلين فى مواضع كثيرة من الأرض أن رجل، فسألت المكارى عن ذلك؟

فزعم أن الخنزير الذكر في زمان الهيج يركب الخنزيرة، وهى تروح أو تذهب نحـو ميتهـا، فلا تقطع سفادها أميالا، ويداه على ظهرها، ورجلاه خلف رجلاها يكون فى الأثر.

والفيل يشتد خلقه فى زمان الهيج، والفيالون يحمونها النّزو، لأنهـا إذا نـزت جهلـت جهلاً شديداً، فاعتراها هيج لايقام له، فإذا كان ذلك الزمان أحادوا عقله، وأرسلوه فى الفيل الوحشية.

وأما الخنزير والكلب: فإنهما لايجهلان على الناس ولو كانوا ألفاً .

وزعم قوم : أن إناث الخيل تمتلئ وتحامى فى زمان هيجها، فـلا يـاعدون الذكـورة عنها، فإذا اعتراها ذلك ركضت ركضاً شديداً، ثم لاتأخذ شـرقا ولا غربـا، بـل تـأخذ فى الشمال والجنوب، ويعرض مثـل هـذا لإنـاث الخنـازير، فتطـأطئ رؤوسـها، وتحـرك أذنابها تحريكاً شديداً متتابعاً.

والخنزير ينزو : إذا تم له ستة أشهر .

وقال بعضهم : إنى رأيت الخنزير الذكر، وقـد ألجـاه أكثر منـه عشـرين خنزير إلى مضيق زاوية، ثم ينزوا عليه واحد بعد واحد حتى يبلغ آخرهم.

وزعموا : أن الأول يتقدم فلا ينافسه ولايسابقه من الباقيات أحدهم، ثم يستعمل مثل ذلك الثانى على الولا، وعلى النسق حتى كأن جماعة لخنازير الذين يقدمون فى مثل هذا الصنع الأنبل، فالأنبل، والأرفع، فالأرفع.

قال : وذكورة الخنازير يطرد الذكر عن الأنثى، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعاً.

وكذلك الذبب والكباش والنمور فى أقاطعها وهى قبل ذلك متسالمة .

فإذا كان ذلك الوقت أراد كل واحد منهما أن يكون هو المستولى على القطيع، والحمل فى ذلك الوقت لايدع إنسانا ولاحملا يدنو من هجمته وكذلك الذئب.

قال: والذئب والأسد ليس ذلك فى صفاتها، لأن بعضها لايأوى إلى بعض بل ينفرد كل ذكر بما يليق به .

ويحكى عن القرد : الزواج والغيرة على الأزواج، مالا يحكى مثله إلا على الإنسان لأن الخنزير يعانق فى عامة الدهر كله، وأجناس الحمام تزوج ولاتغار، واجتمع فى القرد الزواج والغيرة، وهما خصلتان كريمتان واجتماعهما من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان.

وليس للحيات سفاد معروف ينتهى إليه علم ويقف عليه عين، وليس عند الناس علم إلا مايرونه من ملاقاة الحية للحية، والتواء كل واحد منهما على صاحبه حتى كأنهما زوج خيزران.

وحكى : من عاين أمر الحمام، أن الحمام الذكورة والإناث إنما يتسافدان بالاستاه فمن أى وجه كان تلاقيه ربما كان ذلك تناكحهما، والذكر يأتى على مايريد، والأنثى تأتى على ماتريد، ولكل واحد جهة وضرب من الشهوة والحمام ذرته وبوله من جهة واحدة، ومكان واحد.

فلذلك فرج الذكر لذى يسفد به، إنما هو عضو يكون فى مثل المكان الذى يكون فيه للأنثى، وإنما يختلفان باختلاف العضوين باختلاف المكانين .

والدجاجة تمكن كل ديك، والديك يثب على كل دجاجة.

والحمام الذكر ربما غير حمامه كلها، ولايمقط إلا أنثاته، وكذلك الأنثى لاتدع إلا زوجها وربما أمكنت.

وسبيل الخجل والقبح سبيل الديكة والدجاج .

باب

مساحة الذكر والفرج

إنا لما وجدنا مقادير الذكر مختلفة فى الرجال، فمنها: الضئيل الدقيق.

ومنها: الوافر الغليظ.

ومنها التام الطويل.

ومنها الصغير الحقير.

فاحتجنا إلى اتخاذ تمثال لأوسطها، وأعدلها كما تكلم جالينوس على المزاج المعتدل من بين سائر الأمزجة.

فوجدنا أوسط مقادير الأيور ماذكره الهندى :

ماكان ثمانى أصابع، فجعلنا زلك طول التمثال الذى اتخذناه من الخشب، وجعلنا امتلاءه فى سعة الدرهم، إذا كان ذلك المقدار الأوسط فى امتلاء الأيور، وجعلنا شكله موازناً لشكل الذكر سواء فى الفيشة، وفى جميع الصورة، ثم عمدنا إلى إناء صحيح التجويف الاستدارة، ومسحنا دايره؛ فكان اثنى وعشرين إصبعاً، ثم صببنا فيه ماء حتى انتهى إلى موضع عرفناه، وحصلناه، ثم ألقينا التمثال فيه، وعرفنا الموضع الذى ارتفع الماء إليه، ومسحنا ما بينهما، فكان إصبعا واحدة، فضربنا إثنى وعشرين فى مثله، فبلغ ذلك أربعمائه وأربعة وثماني، فزدنا عليه نصفه وربعه وهو ثلاثمائة ثلاثة وستين فصار الجميع ثمانمائة سبعة وأربعين، ثم قسمنا ذلك على اثنى وعشرين، فكان مائتى وثلاثين إصبعا، ونيفاً، وهو مساحة الداير، فضربناه فى مقدار مابين حد الماء الأول، وحد الماء الثانى، وهو واحد، فكان ثمانى وثلاثين إصبعا ونصف، وهو ماخرجت به تكسير مساحة الذكر فى أوسط المقادير فى الطول والاستدارة .

وأما الفرج :

فذكر جالينوس: أنه ليس يستوى مقدار الرحم فى جميع الدنيا وذلك؛ أن الرحم من المرأة الحامل أعظم مقداراً من رحم المرأة التى ليست بحامل بكثير، وما دامت المرأة لاتحمل أصلا، فالرحم منها أصغر.

وأما مقدار الرحم المعتدل: فنجد طوله فيما بين السُّرم والفرج، وكذلك طرفه

الأعلى، وهو قعره قريب من السُرم، وطرفة الأسفل، وهو أقصى رقبته ينتهى عند الرحم الخارج مسافة متساوية فى جميع النساء، يكن نحو إحدى عشر إصبعاً، فهذا مقدار طول الرحم.

فأما عرضه : فبحذا عظمين الحالبين، وذلك أن الرحم زيادتين فى قعره يشبهان القرنين فى أول نباتهما، وبعضهما يُشبهها باليدين، وهما مقوستان شاخصتان نحو عظمى الحالبين، يتصل طرفاهما بالأنثيين من المرأة بعرقين فيما بينها يمتعان.

وأما حد الرحم فى السُمْك: فهو على ماقلنا متقدما بين المثانة والسرم، إذا كانت المثانة مطبقة على الرحم، والسرم مغروساً فى الفرج، وهو الفضاء بين عظمى العانة، وله من خارجه مايغطيه من طية الجلد ونظيره من الذكر القلفة .

وأما شكل الرحم: فهو على هذه الصفة فى كل بدنه، وخاصة فى قعره شبيه بالمثانة، ويخالفها بالزيادتين اللتين على جنبهما وللرحم المعتدلة فى مقدارا فيما بين الأمعاء الدقاق.

وأما إذا اعظمت : فهى تملأ الحالبين، وأسفل البطن، وتماس كثير من الأمعاء.

وإذا كانت الرحم شبيه بالمثانة على ماذكر وليس يتساوى عرضيهما من جهتهما فالوجه فى مساحتها أن تضرب طولها وهو على مايحكى أحد عشر إصبعاً فى أوسع موضع فى فتحها، وهو على تقريب ثمانى أصابع، يكون ذلك ثمانياً وثمانين إصبعا، فإذا أسقطنا من ذلك سبعة ونصف سبعة، وهو ثمانية عشر وستة أسباع صار الباقى بعد ذلك تسعة وستين إصبعاً، وهو مساحة القطع من أعلاها إلى أسفلها، فإذا ضربنا ذلك فى أربعة، كانت الجملة مائتى ستة وسبعين إصبعا وهو مساحة وسط الرحم .

فأما ما يخرج من كل جريب أرض من الأحراج فنقول : إن الأشل ستون ذراعاً يكون بأصابع اليد حساب كل ذراع إحدى وثلاثين إصبعاً وثلثى إصبع ألف وتسعمائة أصبع، فإذا ضربنا ذلك فى مثله كان سبع أصابع، الجريب ثلاثمائة ألف وستمائة ألف وعشرة آلاف إصبع، فإذا قسمنا ذلك على ضلع أصابع الحرّ، وهو مائتان وست وسبعون إصبعاً كان ذلك ثلاثة عشر ألف أجراب رطبا، وعشر الحبّ كذلك على أظهر المتعارف بين الناس الذين قد اعتادوا ذكره، وهو عشرة وأربعة فصار ألفاً وتسعة وثلاثين ألفاً وخمسمائة وأربعة وعشرين درهما ونصف وثُمن .

باب

فى عدة الباءة

العرب تضرب المثل بابن الغز .

فتقول : أنكح ابن الغز.

وهو القائل:

وتـــراه بعـــد ثـــلاث عشـــر قائمـــا   نظـــر المـــؤذن شـــك يـــوم ســـحاب

قالت العرب: أقود من ظلمة.

وأزنى من قرد.

وأزنى من دبّ .

وقالت العامة : أغوص من زرّ، يراد بذلك أنه أبداً غائص فى العروة كغوص الزب فى الرحم .

وقالوا أيضاً : ألوط من قنفد، يريدون بذلك أنها أبداً على باب الحجر كتفخيذ اللوطى للغلام .

وقالو : أدخل من غلق .

وتفلسف بعضهم فقال: أدخل من الهواء، يريد بذلك أنه ليس من مكان إلا وفيه الهواء مملوءًا.

وقرأ إسماعيل ابن غزوان، سورة يوسف عليه السلام فلما بلغ إلى قصة امرأة العزيز ويوسف، وكيف اعتصم يوسف، منها قال: أخ، كيف لا يكون بى تحككت، وكنت أريها من صنوف النيك شيئا لم تر مثله، ولكنها عبثت بنبىّ صديق معصوم صلوات الله عليه وسلامه.

وقال داود بن سهل : دعوت أبا نواس الحسن بن هانئ .

فقال : إن شريطتى عليك أن أجيء بسعد الفلك .

فقلت : لك ذلك، فجاء به معه، وصار إلى صديقين فلما كان الليل.

قال أبو نواس لسعد الفلك: لابد أن تجعل الليلة مبيتك بقربى خوفاً عليك من غيرى، فأجابه إلى ذلك وكان ممتنعاً عليه، فلما اضطجع أدخل أبو نواس يده بين فخذى سعد الفلك .

فقال : ما آمن عليك إلا أن أفعل هذا، فلما أغفى أخرج يده، وأدخل أيره مكانها، فاستيقظ الغلام منكراً لذلك وقد قضى أبو نواس حاجته.

فقال له أبو نواس: انصفنى فى القياس، ولاتظلمنى أليس أيرى بمنزلة كفى ؟

ثم أنشأ يقول :

قل للغزال غزال آل مخلد	**ياكافرى نعمى عليك وجاحدى**
أترى مصافحتى تحل ولاترى	**بعيب ما وراء الساعد**
إن كنت تنظر فى القياس	**فإنما أيرى وجلدى من أديم واحد**

وحكي، أن العرود الغرابية، كانت لاتزال تفعل فعلا بعد فعل، فتزوجها رجل قصير الفرق، قليل الباءة، فلما واقعها استحيا من خفة ماعنده ومن بضعته.

فقال لها : أنت واسعة الحرّ .

فأنشأت تقول :

إنى تبعّلت من بعد الخليل	**فتى نزرا فما أن له عرق ولاباه**
ماغرّنى منه إلا حسن طرته	**ومنطق حسن قد كان يقناه**
فقال لما خلا بى أنت واسعة	**وذاك من خجل منى تغشّاه**
فقلت لما أعاد القول ثانية	**أنت الفداء لمن قد كان يملاه**

قال : وكان عند رجل من أهل العراق مغنية مشهورة بالحذق يختلف إليها وجوه الناس يرتبطون بها، وفعلقت بعض من كان يدخل إليها حتى أمكنته من نفسها، وحملت مولاها على أن لايدعو فى اليوم الذى يكون هو عندها غيره، ففعل وكانا يسكران المول،ى ويتعاملان.

فقال لها ربيطها : أحبّ أن أفعل ومولاك يرانا .

فقالت : كيف يكون هذا؟ قد وا لله أبغضتنى .

قال : و لم؟

قالت: لأنى إن لم أجبك إلى ماسألت تجنيت وغضبت وإن أجبتك كانت القطيعة هجران مولاى إياك .

فقال: لابد أن تحتالى فيه بما شئت، فلما ألح عليها فى طلب ذلك حملها حبها، ومافى نفسها على إسعافه.

قالت: فَمِل على مولاى بالشرب حتى يسقط، كأنه ميت من السكر لانهوض به، وتستلقى على ظهرك وأقعد أنا على أيرك، وأديم أنا الغنى والضرب لئلا يفطن بما نفعل.

قال: فأسكروه للمولى وفعلت، فوافق فراغه وهى تغنى هذا الصوت :

ليت شعرى أول الهرج هذا	**أم زمان من فيه من غير هَرْج**
إن يعش مصعب فنحن بخير	**قد أتانا من عيشنا ما نرجى**

والشعر لابن قيس أخى الرقيات والغنى ليونس، ففتر غناؤهاواسترخا صوتها، وضعف بدنها لكون الأير فى بطنها، فانتبه المولى، فرآهما على أمرهما.

فقال : نعم هذا أول الهرْج، إنا لله وإنا إليه راجعون .

قال : ولاعب بعض الخلفاء جارية له بالنرد إمرة مُطاعة، فغلبته.

فقال : مرى بما شئت .

فقالت : قم نكنى ففعل، ثم عاود الثانى، فقمرته .

فقال : مرى بما شئت .

فقالت: نكنى فناكها .

فقال : مرى بما شئت .

فقالت: نكنى فناكها .

ثم لعب الثالث، فقمرته .

فقال لها: ارسمى .

فقالت: تعاود.

قال: ليس يمكن .

قالت: فأكتب به عليك كتاباً .

قال: نعم، ودعا بدواة وقرطاس، وكتب هذا ما أقر به أمير المؤمنين لفلانة بنت فلان أن طاعية فرداً تطالب به متى شاءت من ليل أو نهار .

قال: وكان على رأسها وصيفة بيدها مروحة .

فقالت: ياستى اكتبى فى الكتاب ومتى ما أقيم بالمطالبة أحد فهو وإلى قبض ما فيه، فضحك الخليفة وأمر لها بجائزة .

وقال : وكان فى ناحية الحسن بن وهب الكاتب فتى ظريف، يقول الشعر وكان الحسن يعشق بيان جارية محمد بن حماد كاتب لاشر المعرى، فأهدى إليها الحسن غلاله ممسكة.

فقال الفتى على لسان الحسن :

اهـــدى إليهـــا قميصـــاً ينيكهـــا فيـــه غـــيرى

لياســـعادة حرهـــا ويـــا شـــقاوة ايـــرى

قال : وقعدن جوار من العرب فى محلة مقمرة يتحدثن!

فقلن بعضهن لبعض : أى الرجال أحب إلى النساء ؟

قال بعضهن : ابن الأربعين خير حامل ما اعتدل بدنه، واشتد دفعه.

فقالت الأخرى : ابن الثلاثين أقوى منه وأعرف بأمور النساء .

فقالت الأخرى : ابن العشرين يعللنى كيف شئت وأركبه إذا هديت، وأحفظه إذا حييت.

فقالت الأخرى : أبو الخمس عشرة الذى فذه فذى، وخده يشبه خدى، أصفيه حبى، وأمحضه ودى .

فقالت الأخرى : قوموا بنا إلى ظلمة وهى جهينة فعندها علم هذا، **فقمن جميعاً.**

وقالت إحداهن : فعند جهينة الخبر اليقين، فضربتها مثلاً .

فأتينها فقلن : ياظلمة أى الرجال أحب إلى النساء وأشفى لهن؟

فقالت : بأبى الفتى الأعمى المكفوف .

وقال الهيثم بن عدى : أقبل أعرابى بقطعة من غنم، ترفعه أرض وتخفضه أخرى، إذا رفعت له خيمة من بعد كأنها كلب مقع، فقصدها ووقف بباب الخيمة، **فقال السلام** عليكم فخرجت إليه عجوز معها ابنتان متبرقعتان كأن وجوههما مرأتان.

فقالت العجوز : بعد أن ردت سلامه ماجاء بك؟

فقال : رجل أقبل فى بغاء الباءة .

فقالت : قد وقع على سعديه إن كان عنده أجره وثمنه.

قال : أجل وإن لها فى هذه الليلة أجراً إذا فعلت أن تأخذ حاجتها من الغنم.

قالت العجوز : شأنك فاختار إحداهن وتجللها، فابتدرت عيناها وتدفقت عرقاً، فلما أولج أيره فى رحمها.

قالت لها أمها : يا أمه، واحدة، واحدة، واحدة لاتزيد على واحد حتى فرغ من مباضعتها.

فقالت لها أمها : ويحك مالك، أشغلتك الغلمة عن أن تخسرينا من الغنم أكثر من واحدة، ولكن أختك لو كانت أخصبتنا غنماً.

قال الأعرابى : إنى لأحبها على شرطها.

قالت : فدونك.

قال : فتجللها الأعرابى، ثم شد نحوها، فلما أخلط لها الباب، **قالت: يافتاه كيف** تكررها حتى نزل عنها.

فقالت العجوز : أما والله لو أتانى لحرمته الغنم.

قال الأعرابى : فإنك على شريطة ابنتك حتى أنيكك.

قالت : فدونكم.

قال : فأقسطه لها، وطعن به سرمها، ثم أجاله على كسها، ثم سحج به سماطى ركبها، ثم وضعه على سمت دماغها، ثم صعد وصوب حتى إذا بدت ودرت، انتحى فيها بمثل الجعبة المستلقية، فلما وجدت طعمه وحرارته فى بطنها.

قالت : بنتى تحته تمه، حتى فرغ فقام عنها وقد ظفر بهن وخبن وخسرن.

وحكى أبو المنذر : حكت لى إعرابية قالت : كانت ظلمة، برهة من الدهر تزنى، وأوبة من الزمان تقود، حتى كبرت عن ذا وذا، وخانتها رجلاها، وأقعدت كبراً فأشترت تيساً وشدته على بابها، فكن جوارى الحى يأتينها، فيضحكن منها.

فقلن لا ذات يوم: ياظلمة ماهذا التيس على بابك.

قالت إليكن عنى اشم رائحته، وأسمع هنتمته فيسكن عنى بعض ما بى.

وأنشدت الأعرابية :

إن سرك العدد فنكنى وانظر	**إلى حرى وما حرى وما حرى**
إنك لو قد نكته لم تصبر	**عنه وما الخابر كالمخبر**
لما إلتقينا قذفت بالقرقر	**ونفرى عن الفتى ونفرى**
وهى بما قال له لم تشعر	**بمثل سلك اللؤلؤ المعنبر**

وقيل لبنت الحسن الزرقاء : وكانت أعقل نساء العرب: اى متاع الرجال أحب إليكن؟

قالت : العظيم ضمره، الكثير بشره، والشديد عيره، والبطىء قره، والمبلبل مطيره .

ويقال : إمرأة قعرة بعيدة، ويقال: إن التى تشتهيه فى قعر رحمها.

والشفرة : التى تشتهى على الشفرين.

والعهر : الزباء، وهو العهار أيضاً، ورجل عاهر وإمرأة عاهرة.

ويقال للمرأة : أشعرها شعوراً، إذا رفعت برجليها للنكاح .

والقشوش : المرأة التى يخرج منها عند الجماع ريح النخاحة، التى يخرج من الماء .

قال الراجز : مهلاً بنى النخاخة والقشوش.

والعفافة : التى يسمع لها صوتاً عند الجماع .

والغضيوط : الذى يحدث إذا جامع .

والربوخ : نعت يوصف به المرأة عن النكاح، وهى التى يسمع لها حنق عند النكاح، أى صوت هناك.

وقد وصفوا مشى النساء، وهى التى توصف من شهوة الرجال فى مشيتها إذا رأتهم.

ويقال : رجل حجاه، كثير الجماع.

وقيل : لعجوز إلى كم تناكين؟

قالت : مادمت أبول .

قالوا : ويستحب من النساء كل ناهدة الثديين، قائمته وكل خميص البطن نظيفة، وكل صغيرة القدم مخصرتها، وكل عظيمة الاليتين، ذات أوراك، هذا عند جمهور الناس، والذين غرضهم الباءة.

فأما عند من يطلب الولد: فالرشحاء أفضل؛ لأن ولدها يخرج شبيهاً بها، فيكون أثبت على السرج، وإذا كانت أيضا رشحاء عظيمة مقدمها، وذات الثدى أفضل لكثرة اللبن، وهو للولد، وذات البطن العظيم، فيكون الحمل عليها أسهل وأرفق بولدها، وهى أشد موافقة للرجال؛ لأنها أشد حرصاً عليهم.

ومن كان أيضاً من الرجال على مثل هذه الصفة، كا أشد حرصًا على النساء فإن اجتمعت فيه خفه الشعر، ودقه الساق، وتلوين العينين، كمل ذلك على شهوته للنساء.

والمرأة كلما عظم مقدمها؛ كان أثبت لولدها ويقال أن كل عظيمة القدم مباركة، ومن كان من الرجال ذا يدين كيدى المرأة كان أقوى على النساء.

وزعم العوام : أن الولد يكون من البيضة اليسرى.

والخصى : ينكح ويشتد شبقه وشغفه بالنساء، وشغفهن به، وهو إن كان مجبوب؛

فلإنه قد بقى له ماعسى أن يكون أعجب إليهن، وقد يحتلم ويخرج منه عند الوطء ماء، ولكن لايخرج إلا بعد كد وجهد شديد، وعلاج طويل ولايمنعه من المعاودة الماء الذى يخرج منه إذا كان ذلك المقدار لايخرجه من القوة إلى الضعف.

وقال الجاحظ : ومن العجب أنهم مع خروجهم من شطر طبائع الرجال إلى طبائع النساء لايعرض لهم التخنيث، وقد رأينا غير واحد من الأعراب مخنثا مفككا وذلك فى الزنج والأبجاج.

وخبرنى من رأى كرديا مخنثاً و لم أر خصياً مخنثاً، ولا أدرى كيف كان؟

ولا أعرف المانع منه ولو كان الأمر فى ذلك إلى ظاهر الرأى كان ينبغى أن يكون ذلك فيهم عاماً.

قال : وكان أبو صالح بن عمار، الذى يتولى الوزاره ينزل بباب الشام من الجانب الغربى من مدينة السلام، وكانت له جارية مغنية فعشقت خادماً، وكانت تكاتبه وتراسله، وتسأله الاحتيال فى خلوه معها.

فلما ألحت عليه وأكثرت، كتب إليها :

أيرضيك منى قد أصبت منصفه وبالثلث بعد النصف منه وبالعشر

فلم يبق منه غير حجم كأنه بقيه رأس القرد أو حلقة الزر

قال بعض الأدباء : مر أبو برده الحاسب، وأنا أنشد هذا الشعر، فلما سمع ذكر النصف والثلث والعشر.

قال : وكان الأديب هو يأتى أبا برزه فى مسائل الحساب، ظن أننى أريد أن أسئله عن هذه المسألة.

فقال : هذه المسألة تحتاج إلى دقيق نظر لا إلى خبر، ولا مقابلة وأصل هذه المسألة من ثلاثين نصفها خمسة عشر، وثلثها عشرة، وعشرها ثلاثة، فإذا ذهب منه النصف والثلث والعشر، فالباقى من جملة ماكان له ثلثا عشر.

قلت : أصبت يا أبا برزة، نعم له ثلثا عشر، ثم أنشدت له الشعر فمر خجلاً لا يلوى.

وقيل للحجاج القيسى : ما بال شعر استا المرأة ينبت اشرع وأكثف.

قال : لقربه من السماد وسقى الماء من علا .

قال بعضهم : نقش بعض المجان على خاتمه :

تعـــس الأيـــــر وانتكــــــس   دخـــــل الاســــــت فــــــاحتبس

وقال بعض الأعراب :

تقــول لمــا غــاب فيهــا وركــب   وعجبــت مــن أيــره كــل العجــب

أفضــــة أيــــرك هـــذا أم ذهــب   لا بــل جلــود وعــروق وعصــب

ينزل نحوى بولها مثل السرب

وقال آخر :

تقـــول لى وقـــد علـــت وجلاهـــا   واحمرتــا مــن غلمـــة عيناهـــا

كم من فتاه قد أصبت ذاها

وقيل لبرجان وحباحب : ماالذى يفضى بالنساء إلى التهتك؟

قالتا : شرب النبيذ، وغفلة الرقيب.

وقالت جميلة النميرية : وقد زوجت مولى لهم، يقال له صبيح وكانت شبقة :

لــه ورك ضخـــم ورمـــح بقـــرة   كهامـــة هـــر فـــى قـــذال معجـــر

ينيـــك بـــه ســـبعا وســـبعا   ستة ومــاكل هــذا فــى يمنــى بمنكــر

وانــــى قــــد فوهتــــه وعلوتــــه   كــأنى عليــه خــاطب فــوق منــبر

وقال محمد إن على أنا زبيدة بنت حماد :

قال : باتت عندنا قحبة، وكنا فى صمة، فقمت إليها فنكتها بأير كبير، وهى ساكتة، ثم قام إليها آخر فناكها بأير أكبر من أيرى، وهى ساكتة إلا أنها تلتبس، فلما قام إليها جميع إلا حرس الحنفى، وأبو جعفر الحنفى، وأبو جعفر بن يعلى فحين أودعه فيها : قالت صلى الله على محمد النبى الأمى القرشى المكى، بأبى وأمى رسول الله خاتم النبيين ورسول رب العالمين، فما زالت فى مثل تدرس درساً فاض بصوت رفيع

وهو يكويها حتى فرغ وأخرجه منها، ثم قال أخزى ا لله من أمر الدنيا، فإن أمـر الدنيـا إلى انقطاع، وهذا من أول الليل، فلا وا لله مانمنا تلك الليلـة إلى الصبح مـرة نضحـك، ومرة نعجب.

وقال ابن خشرم المروذى : ماأعجب أسباب النيك؟

قالوا له : إنما سمعنا ماأعجب أسباب الأرزاق، وأسباب الآجـال، وأسـباب الأمـور، و لم نسمع أحداً يقول ماأعجب أسباب النيك.

قالوا : أرحام الروميات أكثر لحماً ورطوبات؛ لأن غسل الفرج بالماء البـارد يرطـب الأرحام، وينقى البخر والعفن.

ويزعمون : أن المرأة إذا كان فرجها نظيفاً، وكـانت معطـرة قويـة المنـة قبـل حملهـا وأفرطت فى السمن عاد حملها عاقراً .

وسمان الرجال لايكاد يعتريهم ذلك .

قالوا : والبظراء تجد من لذة الجماع ما لاتجده المختونة، فإن كـانت مسـتأصله كـان على قدر ذلك.

قالوا : ودج الشاه تمسكه المرأة معها فتصير كأنها بكر.

وقيل : إن ضعيه الجرذون الحرى، إذا جففت وشرب منها وزن قيراط قطع المنى .

وقال رجل؛ مرة فى مجلس إبراهيم ابن هانئ : إنما يصغر أير الابن على قـدر ركـب الأم، ثم أقبل على إبراهيم، فقال له: مالك وماحالك أنت فى هذا الأمر، تريذكبير أيـره أو صغيره.

فقال إبراهيم : أنت تريد أن تعرف مقدار حرمى.

وروى صفوان بن عبد الملك ابن عمرو:

قال سألت أبا عبد ا لله عن الرجل يجامع المرأة فى دبرها؟

قال : لابأس هى لعبة الرجل يلعب بها كيف شاء .

وأنشد أعرابى :

والله رب البيت يا تواب ... ما ينفع الجارية الخضاب

ولا الوشاحات ولا الثياب ... حتى يجد السير والركاب

ويخرج الأير له لعاب

وقال عاصم المرى لما توفيت امرأته :

وكنت خليلتى وغلاف أيرى ... فأمس الأير ليس له غلاف

في النساء : من شرطها الشاب وهى أغبطهن.

ومنهن : من شرطها الكهل.

وأما الشيخ : فما أضيع حاله عندهن، وأكسد سوقه بينهن، ولا أعلم له مستشرطاً.

وزعم صاحب المنطق : أن الكلاب السلوقية كلما دخلت فى السن كان أقوى لها على المعاضلة، وهذا غريب.

وقد علمنا أن الغلام أحد مايكون وأشبق وأحرص وأنكح عند أول بلوغه، ثم لايزال كذلك حتى يقطعه الكبر.

ولاتزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة شهوتها بمقدار واحد من ضعف الإرادة، وكذلك عامتهن، فإذا اكتهلن، وبلغت المرأة حد النيف، فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة، والحرص على الباءة .

وقالوا : أن بعض النساء يكرهن وقوع صدور الرجال على صدورهن .

قالوا : والعلق الرطب يجفف ويسحق ويخلط معه القيصوم، ويطلى به الإحليل، فيكبر، ويعظم.

قالوا : وشعر الضبع الأنثى يدق ويسحق بزيت، ويطلى به دبر رجل غير مابون، فيصير به ابنة، ويدعوا إلى نفسه.

وقد روى عن خصى يتلاوط ويطلب الغلمان على جهة المصادقه.

قالوا : وكان فى قطيعة الربيع خصى أثير عند مولاه، فأشرف عليه يوماً، وقد شد يدى شاة وهو يكومها فى مؤخرتها فزوجه من جارية له .

ولفرط إرادتهم للنيك والحسرة التى نالتهم والأسف الذى دخلهم، أبغضوا الفحول أشد من تباغض الأعداء.

قالوا : وكان الجماز يعشق جارية لآل جعفر يقال لها: طغيان،وكان لهم خصى يحفظها، وكان أشد عشقاً لها من الجماز، وكان قد حال بينه وبينها والدنو منها.

فقال الجماز :

ما للمفتت منا وللظباء الملاح   **أليس ذات خصى غار بغير سلاح**

قال : وجاء رجل إلى على بن أبى طالب ﷺ فقال: إن هذه زوجتى مجنونة.

قال : وماجنونها؟

قال : إذا غشيتها ذهب عقلها.

قال : قم فلست لها بأهل .

قال : وتزوج رجل قاضى بامرأة من أهل المدينة، فكان إذا غشيها أجهرت فى القول، وأفحشت.

فمن ذلك قولها : شقه شقه، ويلك حر أمك هى، ويلك شقه شقه، حر أمك هى.

فاشتد ذلك على القاضى ونهاها عنه، فلما رجع إليها، وصمتت فتر وذهب نشاطه.

فلما رأى ذلك، قال: عودى إلى عملك وقولى: خيراً .

تم كتاب جوامع اللذة، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه .

الفهرس


جوامع اللذة